تيسير الهواري

معن بن زائدة الشيباني

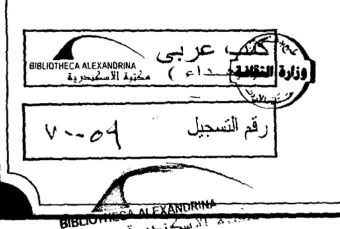
(حياته وأخباره)

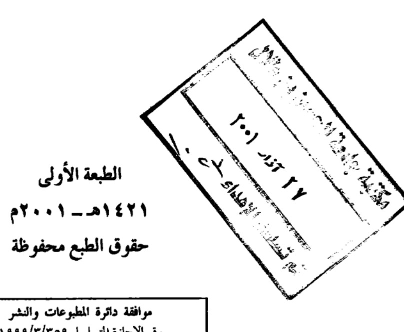


٢٠٠١

معن بن زائدة الشيباني

تيسير خلف الهواري





الطبعة الأولى

١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

موافقة دائرة المطبوعات والنشر

رقم الاجازة المتسلسل ١٩٩٩/٣/٣٥٩

رقم التصنيف : ٩٢٣

المؤلف ومن هو في حكمه : تيسير خلف الهواري

عنوان الكتاب : معن بن زائدة الشيباني

الموضوع الرئيسي : ١ - التاريخ والجغرافيا

٢ - معن بن زائدة الشيباني - تراجم

رقم الايداع : ١٩٩٩/٣/٤٦١

بيانات النشر :

* - تم اعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية

الطابعون

جمعية عمال المطابع التعاونية

هاتف ٢ - ٤٦٣٧٧٧١ - فاكس ٤٦٣٧٧٧٣

ص . ب ٨٥٧ - عمان ١١١١٨ الأردن

« الآراء الواردة في الكتاب لا تعبّر بالضرورة عن رأي الجهة الداعمة »

تقديــم

يشكل هذا البحث محاولة أولية جادة لبناء صورة مقاربة لشخصية عربية فذة ، ولانموذج إنساني فريد قلما تجود الأعصُر به إلا إذا كان ثمَّ ما يوثب الحيوات فيها من دين ، أو ثورة شاملة ، أو حدَث كوني يؤرخ به . ولقد جهد الباحث في لملمة أجزاء هذه الصورة من مظانّها في بطون الكتب ، وفي تركيبها على نحوٍ يفي بما هدف إليه من إقامة مثل يتنوّرهُ القارئ للفارس القيميّ - نسبة إلى القيمة - ذي المروءات ، وهو مثلٌ تتزاورُ عنه مناهجنا التربوية ، أو لعلّها لا تراه ، على شدة احتياج واقعنا الشعوري إليه ، وعلى بالغ ما نحن فيه من فقر إلى ما يوحيه من معادن نبيلة ، ومكارم وكمالات .

لقد عاش معن بن زائدة على مفرق عصرين ، وفي مضطرب أحداث جسام دالت في أعقابها دولة الامويين وقامت دولة العباسيين . وان من شأن ذلك أن يخالف بين الرجال وبين أنفسهم ، وأن يرد وجوهاً على أعقابها ، وأن يمحص القلوب ويمتحن العقول ويذهب بالارادات . لكن « معناً » ظل هو هو ، لم يستبدل وجهاً بوجه ، ولا غيّر جلداً ، على الرغم من خوضه معترك الصراعات الدائرة آنذاك وله حضوره المرموق فيها .

ولعل باحثنا الكريم قد رأى معنى « الثبات » في هذه الشخصية العظيمة ، فأراد أن يبثه في وعي الاجيال العربية مرة أخرى ، من خلال جهده المخلص هذا . وان يرسله فيها ، توكيداً - ربما - منه لرفضه العميق لما هي عليه من تقلب وميدان . (وانه لجهد خيّر منه ، وعسى أن يثمر خيراً ، وأن يكتب له في الباقيات الصالحات) .

ابراهيم العجلوني

السبت السادس عشر

من صفر ١٤٢١هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

قال رسول الله ﷺ : « من لا يشكر الناس لا يشكر الله »

شكر وتقدير

في مفتتح هذا الجهد الذي أفضى إلى هذا المؤلف ليس لي إلا أن أقدم الشكر والتقدير لكل من ساعد في إخراج هذا الجهد إلى حيز الوجود وأخص بالشكر وزارة الثقافة ، وجميع الأخوة العاملين في مكتبة جامعة مؤتة وإلى جميع السادة الاساتذة التالية أسماؤهم :

ابراهيم العجلوني ، عزمي خميس ، زياد أبو لبن ، نايف النوايسة ، الدكتور يحيى العبابنة ، الدكتور أمين العضايلة ، منصور الهواري ، الأخ محمد الهواري ، الدكتور حسين المحادين ، الدكتور أحمد عبدالله الطراونة ، حكمت النوايسة ، ذياب الطراونة ، الدكتور إبراهيم النعانعة ، يوسف سالم الصرايرة ، أحمد حسين بني حمد ، مروان بن أحمد ، أحمد المجالي ، علي عبد المحسن العقيلي ، علي ضيف الله الجعافرة ، الأخوة المدرسين في مدرسة مؤتة الاساسية ، ومحمد خير بني هاني ، والأخ عيد الهواري ، ومعاذ البطوش ، وخلدون الصرايرة ، وفيصل المجالي .

وإلى جميع من قدَّم أي مساعدة

المؤلف

تيسير الهواري

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء

إلى روح والديّ الكريمين

تقديـراً لفضلهمـا علـيّ

إلى إخوانـــي وأخواتـــي

إلى زوجـــتي « أم همّـــام »

إلى أبنـــائي همّـــام وبـــراعة وأنـــس

تيسير خلف الهواري

١٩٩٩/٣/٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

لعل هاجس الكتابة عن شخصية ما يتطلب أن تنحصر هذه الشخصية في نفسية كاتبها ، بحيث تشكل إطاراً مستقراً دوماً نحو حديثٍ ما ، وهذا ما كان بيني وبين دلالات ذاتية في ولوج شخصية « معن بن زائدة الشيباني » منذ زمن ليس بالقصير .

والتاريخ شاهد لا يمحى ، ومنصف لا يحيد عن الحق ، ولا ينحاز إلى باطل حسبه أن يحفظ الوثيقة ليقدمها لكل من يشاء خالية من أي زورٍ متى ما نُفض عنها غبار النسيان ، وتعهدتها كف الأمان ... والتاريخ من خلال الوثيقة المكتشفة إنما هو سجل أمين لجلال الفعل الانساني وإن احتفظ في الوقت ذاته بحواشي سوداء أرّخ بها لأولئك الذين وأدوا الحق وتجاهلوا الصواب واصطفوا مع أعداء الانسانية ، والتاريخ بعد ذلك بصفحاته الناصعة وحواشيه السوداء ، خير راو لحكاية الوجود وما يتخللها من معانٍ سامية وأخرى هابطة ، فالمجد لأمة أذن الله لها أن تبلغ السمو في مسيرتها التاريخية . وتعانق الذُرى عبر تتالي العصور ، والخزي المقيم لأولئك الذين استقروا في مستنقع الدنايا ، فحازوا لعنة الأبد وإزدراء الجميع بما أتوه من ظلم وافتراء والتاريخ في كل زمانٍ ومكان ، مرآة تعكس للشعوب مناهج أسلافها من خير أو شر لتكون قدوة لمن يريد أن يعتبر من أجيالها الصاعدة ولم يكتب التاريخ ليكون ثوباً تكتسيه الأمم لمجرد الافتخار والتباهي بالأمجاد المنصرمة ، وإنما التاريخ يتأثر بالحوافز فينشط بنشاطها ويخمد بزوالها .

فقد عنَّ لي أن أكتب عن شخصية « معن بن زائدة الشيباني » الذي كان فارساً من فرسان الميادين ، وقائداً من الطراز الأول ، وفتىً من فتيان العرب الأمجاد الذين سطروا بسيوفهم سطور الخلود ، وبسطوا بأيديهم ركاباً للمعوزين ، ونثروا أموالهم للمعتفين .

ولم يكن معن بن زائدة الذي نتحدث عنه بطل شيبان الأوحد ولكنه واحد من مجموعة أسماء تاريخية ضخمة أنجبتها عشيرته ، وما كنتُ لأعمد إلى إبراز شخصية

هذا البطل وإظهار ما خفي من أثاره لولا أن البحث في سيرته يوصلنا إلى معرفة جزءٍ كبير من تاريخ بني شيبان وقبيلة شيبان معروفة ، لدى قُراء السِّير والتاريخ في الجاهلية والاسلام . لأنها غرّة العرب كما يقولون ، وأن معظم حروب هذه القبيلة في جاهليتها كانت ذات طابع تحرري ، وأن أول السيوف العربية التي امتشقت خارج الجزيزة العربية ، وأخذت بالفتح الاسلامي كانت من شيبان ، وإنّ آخر سيف عربي في صفوف أمية أغمد أمام سلطان بني العباس كان شيبانياً ، كما أن آخر قائد بقي في القرن الثالث للهجرة يرمز إلى النضال العربي أمام النفوذ المغولي الذي بدأ يشد على خناق الخلافة العباسية كان من شيبان أيضاً . وقد اعتمدت في الكتابة عن معن بن زائدة السّرد التاريخي خوفاً من ضياع بعض الحقائق . فقد نال هذا البطل شهرة واسعة وخلّده الشعراء بشعرهم وذكره المؤرخون في تواريخهم وإن كانت قد ضاعت بعض أخباره ، فإن ما بقي منها يعطي صورة واضحة المعالم لهذا الرجل . ومعن بن زائدة جديرٌ بالدّراسة فهو بطل من عائلة قدَّمت أبطالاً ، وهو كريم تناقلت كتب الأدب ما قيل عن كرمه وجوده حتى صار مضرب المثل فقيل : « حدّث عن البحر ولا حرج وحدّث عن معن ولا حرج » وهو حليم اشتهر بحلمه . ولعل قلة المعلومات المتوافرة الآن عن أخباره التي وصفها بعض المؤرخين بالكثيرة ، كما سنرى في البحث ترجع إلى ضياع هذه الأخبار سواء التي كانت تتعلق بحياته في العهد الأموى أو تتعلق بحياته في العهد العباسي ، كما ضاع شعره ولم يبق منه إلا بعض الأبيات ، وعلى كل حال فقد بذلتُ جهداً في سبيل جمع أخباره ، وما قيل فيه من شعر مدة سنتين ، لأضع أمام القارئ « معن بن زائدة الشيباني » أحد أجواد العرب وفرسانهم شاخصاً يستثير الهمم ويهز الأريحية ولا أجزم إن كان هناك من كتب عن شخصية معن بن زائدة في مصر أو العراق ، وحسبي أني حاولت .

والله من وراء القصد

المؤلف

قبيلـة شـيبان

هي من أصل عدناني ، وفرع من قبيلـة « بكر بن وائـل » ينحدر نسبها على الشكل الآتي :

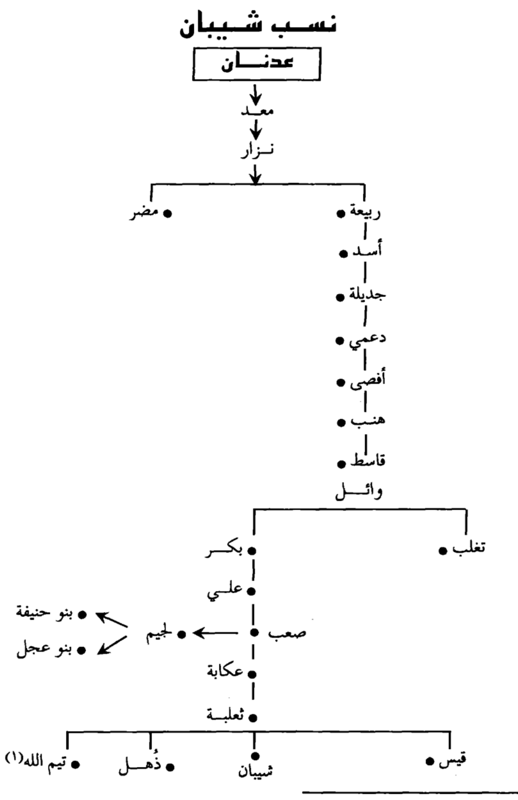
ولد لعدنان ولدان هما : « علكْ ، ومعد » والنسب فيه ينحدر من معد وولد لمعد ثمانية أولاد ، كان النسب فيهم إلى « نزار » .

وولد لنزار أربعة هم : « اياد ، وأنمار ، وربيعة ، ومضر » وإلى ربيعة ومضر ينسب ولد نزار ، أما إياد فليست لهم قبائل مشهورة وأما أنمار فقد صار أولاده إلى اليمن . والمشهور من أولاده « ربيعة » وأسد ، وضبيعة . ومن أسد تفرعت بطون وأفخاذ ، من أشهرهم « جديلة » ، ومن جديلة تفرعت عدة بطون اشتهر منهم ثلاثة هم : « عبد القيس ، والنمر بن قاسط ، وبنو وائل » .

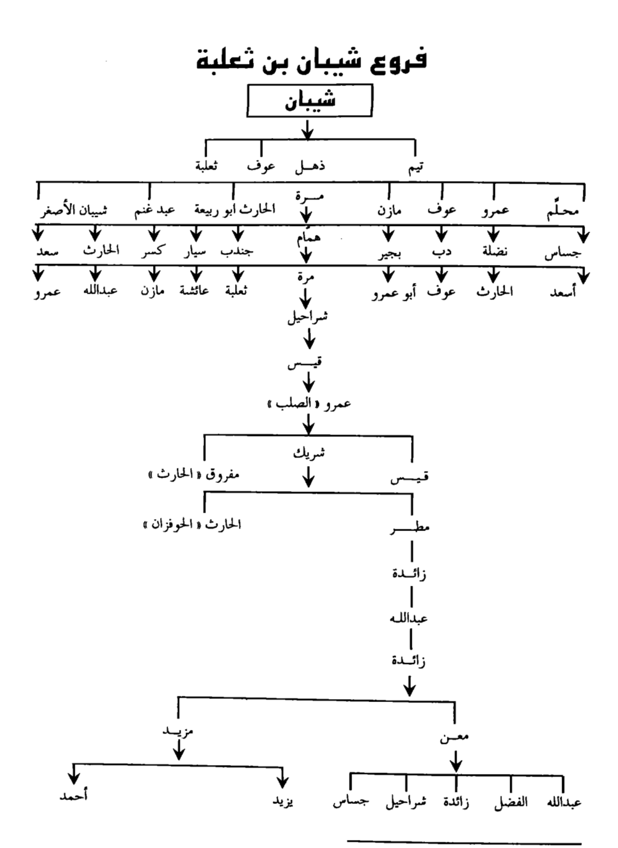
وقد ولد « لوائل بن قاسط ، بن هنب ، بن أفصى ، بن دعمى ، بن جديلة ولدان هما : بكر ، وتغلب » ومنهما تفرعت القبيلتان المشهورتان بكر وتغلب ، اللتان لعبتا أدواراً خطيرةً في تاريخ العرب الجاهلي والاسـلامي ، وأصبحت قبيلة بكر ، من أكبر « جماجم » العرب قاطبة لكثرة ما تفرع منها من أفخاذ وبطون ، صارت فيما بعد قبائل كبيرة لها أسماؤها وتواريخها ، اشتهر منهم « بنو يشكر » و « بنو حنيفة » بن لجيم بن صعب بن علي بن بكر ، و « بنو عجل » بن لجيم ، ثم بنـو ثعلبة بـن عكابة ، ابن صعب بن علي بن بكر .

وكان « ثعلبة بن عكابة » هذا من كبار سادة العرب ، ويلقب بـ « الحصين »[1] وقد ولد له أربعة أولاد ، صار كل منهم أباً لقبيلة مشهورة ، وهم : « قيس ، وذُهل ، وتيم الله ، وشيبان » .

١ ـ جمهـرة أنسـاب العـرب : لأبي محـمـد بـن علـي بن أحمـد بن سـعيد بن حـزم الاندلسي (٣٨٤ ـ ٤٥٦هـ) تحقيـق عبد السلام هارون الطبعة الخامسـة ص ٢٩٥ وفي روايـة أنه يلقـب بـ « الحصن » بكسر الحاء .



١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني / الدكتور عبد الجبار الجومرد ، الطبعة الأولى ١٩٦١ ، منشورات دار الطليعة / بيروت ص٢٥ .



١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني / الدكتور عبد الجبار الجومرد . ص ٢٦ .

وقيل : ليس في العرب رجل ولد له أولاد فصاروا كلهم آباء لقبائل مشهورة غير ثعلبة هذا بأولاده المذكورين [1] .

و « شيبان » بن ثعلبة هذا ، هو أبو القبيلة التي اشتهرت باسمه وهي كبيرة تفرع منها على مرّ الأيام ، بطون وأفخاذ وعشائر أيضاً وظهرت فيها بيوتات وأسر ، قام أبناؤها بأعمال جليلة ذكرها لهم التاريخ ، وبنوا أمجاداً ومحامد ، رفعت اسم قبيلتهم « شيبان » إلى مصاف كبريات القبائل العربية الأخرى من عدنانية ويمانية على الاطلاق .

وأبناء « شيبان » بن ثعلبة « أربعة هم » : « عوف ، وثعلبة ، وتيم ، وذُهل » وكان البيت والعدد في بني ذهل ، الذي ولد له تسعة بنين هم : « مُحَلِّم ، وأبو ربيعة ، والحارث ، ومازن ، وعبد غنم ، وعوف وعمرو ، وشيبان الأصغر ، ومرة » .

وقد انحدر من هؤلاء الأخوة التسعة أبناء وأحفاد كثر ، نذكر منهم أبناء « مرة ابن ذهل » وهم عشرة : « جساس ، وفضله وسعد ، ودُب ، وكسر ، وبجير ، وجندب ، وسيار ، والحارث وهمّام » . وكان البيت والعدد في بني « همّام بن مرة » الذي كان أباً لعشرة من البنين هم : « أسعد ، والحارث ، وعوف وعمرو ، وأبو عمرو ، وثعلبة ، وعائشة ، ومازن ، وعبدالله ومرة » ، وكان لبعض هذه الأسماء سير رائعة ، حدثنا عنها تاريخ الجاهلية ، كما تفرّع من بعضهم أبناء وأحفاد ، لعبوا أدواراً مهمة في حقب زمنية مختلفة وتكوّن منهم بطون وعشائر ، اشتهر منها قبل الاسلام « بنو الحارث بن ذهل » وبنو « أسعد بن مرة » وبنو « همام بن مرّة » ، وبنو « أبي ربيعة بن ذهل » وبنو « جساس » ، وبنو « هند » ، وبنو « الشقيقة » وغيرهم . وإذا كان من الصعب احصاء كل من تناسل من شيبان ، ممن اشتهروا في التاريخين الجاهلي والاسلامي فالذي نعلمه هو أن هذه القبيلة كانت من أسرع القبائل تبرعماً وتضخماً ، واحتلت المكانة العليا بين قبائل ربيعة من بكر وتغلب ومن العرب أجمعين

١ ـ الأغاني : لأبي الفرج الاصفهاني المتوفي سنة (٣٥٦ هـ) تحقيق الاستاذ عبد والاستاذ علي مهنا دار الكتب العلمية الطبعة الثانية ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ج ١٦ : ٩٩ .

فصاهرها الملوك من بين « كندة » والأقيال من « لخم » وغيرهم من سادات العرب من اليمانيين والعدنانيين على حدّ سواء .

ويمكن القول ، بأن بطن « بني همّام بن مرّة » كان واسطة العقد في بطون شيبان ، لكثرة ما ظهر فيه من البيوتات الرفيعة التي اشتملت على عدد من السادة في عزتهم وفروسيتهم وجلال أقدارهم . نخص بالذكر منهم « عمرو بن قيس بن شراحيل ابن مرّة بن همّام » وكان يلقب بـ « الصُلب » لشدة بأسه ومراسه في الحروب وقد ولد له ثلاثة بنين عرفوا كلهم بالفروسية والنجدة هم « قيس ، ومفروق ، وشريك » ولشريك هذا تاريخ حافل ، سنتحدث عنه ، وهو أبو « مطر » الجدّ الثالث لمعن بن زائدة .

الشيبانيون في الجاهلية

كانت قبائل « ربيعة » في أوائل نشوئها ، تقطن أرض تهامة ، غرب الجزيرة العربية فحدث بينها وبين جيرانها من القبائل المضرية منازعات وحروب طال أمدها ، فنزحت من هناك نحو الشرق ، وأناخت ببطونها في مواقع متجاورة مبعثرة ، فكان نصيب « بني وائل » بشقيّهم ـ بكر وتغلب ـ البحرين وقسماً من أرض اليمامة ، وهضاب نجد ، وما جاورها . فعاشوا هنالك زمناً متساندين في الحوادث والملمات حتى حدث بين بكر وتغلب ما فرّق بينهما من عداء وحروب ، فضربت تغلب في الأرض نحو الشمال ، ودخلت تخوم العراق ، وتوغلت فيه على نهر الفرات ... وبقيت بكر في مواقعها ، حتى إذا تشعبت بطونها وتضخمت ، وكثر عددها مع الأزمان والحوادث في بقـاع متفرقة من تلـك الأرض ، وجاورت عشـائر وبطوناً من قبائل أخرى وصعد بعضها نحو الجنوب الغربي من العراق .

وكان موطن شيبان ـ يومئذٍ ـ البحرين وكاظمة ، ثم امتدت رقعتهم إلى أرض اليمامة وهضاب نجد ، وصعد بعضهم في العهد الجاهلي الأخير إلى نهر الفرات أيضاً ، حتى مدينة « الحيرة » وهم بين مدّ وجزر ، شأنهم في ذلك شأن الكثير من العشائر البكرية الأخرى والقبائل العربية النازلة قرب تخوم الأراضي العراقية الخاضعة للنفوذ الفارسي[1] وتاريخ شيبان ، في جاهليتها ، لا يختلف عن تاريخ باقي القبائل من سكان الوبر ، التي تعيش على إنتاج مواشيها ، والتنقل في طلب الماء والكلأ والمرعى ، وليس لها مدن ومساكن ثابتة أو أرض خصبة مزروعة . وهو تاريخ غني بالحروب والغزوات والملاحم ، كما هو ضحل من نواحي المدنيّة والحضارة إلا ما كان يستساغ عندهم من جوانب الأدب والفكر ، كالشعر والخطابة والحكمة والقول المأثور ، مع شيء قليل من الصناعة اليدوية لسدّ الحاجة ، قد لا يستحق الذكر ، فأخبار هذه القبيلة تكاد تنحصر

---

١ ـ صفة جزيرة العرب : لسـان اليمن الحسـن بن احمـد بن يعقوب الهمذانـي تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث اليمن / صنعاء ط٣ /١٩٨٣/ ص ١١٤ .

بأخبار حروبها ومغامرات أبطالها ونشوء القادة والفرسان من أبنائها ، وهي دون شك من أشهر القبائل في هذا المجال ... ففي أخبار العرب و(أيامهم) من تلك الحقبة الجاهلية المظلمة ، نجد لقبيلة بكر بن وائل كلها ، وعلى رأسها بنو شيبان غارات وغزوات كثيرة ، كانت لهم وعليهم ، ونقرأ بين قصص تلك الوقائع أسماء أبطال من شيبان عرفوا بالجرأة والإقدام والتضحية ... ولو أمعنا النظر قليلاً في أهداف تلك المعارك ودوافعها ، لرأينا معظمها يتصف بطابع التحرر والانعتاق من قيود الغير ، أو بطابع قومي ضد نفوذ أجنبي ، وبتعبير آخر : هي انتفاضات دامية على الظلم والاستبداد ، ومغامرات خطيرة في سبيل الإنعتاق والإنطلاق أو كفاح حقيقي في سبيل الكرامة ولذلك قيل : « ليس في العرب أعز من شيبان داراً ، ولا أكثر حليفاً » (١) .

وكانت أول حرب تحررية ، عرفناها لهم ، هي حرب « خزاز » ، وقد اختلف الرواة في تفاصيلها لبعد عهدها ... وتتلخص في أن أحد ملوك اليمن من « مذحج » كان قد فرض أتاوة على القبائل النزارية المجاورة له ، وفيهم جماعة من ربيعة ، فامتنعوا عن دفعها ذات عام لما فيها من رمزٍ للخضوع والمذلة ، فساق عليهم جيوشه ، فتجمّعوا لها ، وعلى رأسهم « كليب بن ربيعة التغلبي » وعلى قيادة فرسانه جماعة من شيبان . ودارت الحرب قرب جبل « خزاز » بين البصرة ومكة ، فانهزم اليمانيون ، وتحرر النزاريون من قيودهم ، وبقيت ربيعة مجتمعة على شكل إمارة في أواسط الجزيرة العربية والقسم الشمالي الشرقي منها بزعامة « كليب »(٢) .

---

١ ـ الكامل في التاريخ / ابن الاثير . عز الدين أبو الحسن ... (ت ٦٣٠هـ) ج٣ / ١٢٧ ، دار صادر بيروت ١٩٨٠ .

٢ ـ نقل الكثير من المؤرخين القدامى أخبار (يوم خزاز) فجاءت متناقضة في تفاصيلها متفقة في أهدافها ونتائجها وقد بقيت هذه الحرب مدار فخر للنزاريين عامة وبني ربيعة بوجه خاص . وفيها يقول عمرو بن كلثوم التغلبي من معلقته المشهورة .

ونحن غداة أوقد في خزازى ... رفدنا فوق رفد الرّافدينا
فكنا الأيمنين إذا التقينا ... وكان الأيسرين بنو أبينا
فآبوا بالنّهاب وبالسبايا ... وأبنا بالملوك مصفدينا

وكان كليب هذا تغلبياً ، وصهراً « لمرة بن ذهل بن شيبان » الذي كان أباً وجداً لعشرات من الأبناء والأحفاد ، وكلهم من الفرسان المغاوير وقد زادته هذه المصاهرة عزة ومنعة في قومه ، فطغى وتجبّر ، وبغى على رعيته بغياً مبيناً ، واتخذ لنفسه ما يتخذه ملوك الأعاجم في رعاياهم ، واستأثر في كل شيء على حساب الآخرين ... كان إذا نزل أرضاً اختار أطيبها مكاناً ، وأوسعها فسحة ، تكون مجالاً لصيده ، فلا يصيد أحداً منها شيئاً ، وإذا نصب بيته في مكان ، قذف فيه جرواً ، فيعوي ، فلا يرعى أحد ذلك الكلأ مسافة ما يسمع فيها صوت الجرو ؛ وإذا جلس لا يمّر أحد بين يديه ، ولا يحتبي أحد في مجلسه غيره .. إلى آخر ذلك من العتو والطغيان حتى ضرب به المثل ، فقيل « أعز من كليب وائل » ولم يرق هذا الاستبداد جماعة أحرار قومه ، ممن عرفوا بالأنفة ومقت الظلم والاستعباد ، وكان بنو شيبان في طليعة المتذمرين منه ، وعلى الرغم من كونه صهراً لهم ، وكان يقدمهم على غيرهم ويجالسهم ، ولا يترفّع عليهم . ولكن نفوسهم ـ كما يظهر ـ تأبى هذا اللون من الطغيان ولو كان على غيرهم من أبناء العشيرة والتابعين . فتحينوا الفرصة للتخلص منه ، حتى كانت حادثة « البسوس » المعروفة في التاريخ الجاهلي ، وقصتها طويلة ، مملوءة بأخيلة الرواة [1] .

وتلخص بأن امرأة من شيبان تدعى « بسوس » جاءت تزور ذويها فنزلت في بيت ابن اختها « جساس بن مرة الشيباني » وكان لديها ناقة عزيزة عندها ، تركتها طليقة في مرعاها ، فدخلت حمى كليب الممنوع على غير إبله ، فرآها كليب ، فأنكرها ، وشدّ عليها بسهم خرم ضرعها ، فنفرت إلى بيت صاحبتها وهي تقطر دماً . فاستاءت « البسوس مما حل بها ، واعتبرت ذلك إهانة لها فشقت ثوبها وصاحت « واذلاه ... واجاراه » فخرج إليها جساس ، وعرف الخبر ، فأسكتها قائلاً « سيقتل بناقتك اكبر رأس في العرب » ، ثم حمل سلاحه وقصد مكان الطاغية كليب ، وهناك بدأ عتاب ولوم بين الرجلين ؛ فذكر جساس لصاحبه ظلمه وطغيانه ، وذكرّه بأعماله التي كانت شديدة على قومه ، كما كانت غريبة عليهم وعدّدها له واحداً واحداً ،

---

١ ـ أيام العرب في الجاهلية / محمد أحمد جاد المولى وآخرون ـ دار الجليل ، بيروت ١٩٨٨ ، ص ١٤٤ .

حتى استشاط كليب غضباً ، وأجابه بما لا يجب . وفي بعض الروايات أنه أدار له ظهره تكبّراً ، ولم يجبه في شيء ، فحمل عليه جساس برمحه فقتله . وعاد إلى قومه ينذرهم بويل شديد [1] . وكان في الحقيقة ويلاً كبيراً ، أدى إلى حرب دامية بين بكر وتغلب زهاء أربعين سنة ، وكادت تؤدي بالقبيلتين فتفنيهما جميعاً . فقد روي ، أن قبيلـة تغلب أجمعـت أمرها لأخذ الثأر بقيادة أخـي القتيل « عدي بن ربيعة » الملقب بـ « المهلهل » وكان فظاً غليظ القلب ، واستعدت شيبان للأمر ، ولم يكن معها في البداية إلا قليلاً من عشائر بكر . فقاتلها عدي بعددٍ كبير من قومه . وهزمها في عدة مواقع ، وقتل كبار رجالها ، وشرّد بقاياهم في البلاد . ولكنه لم يكتف بذلك ، ولم يقصر انتقامه على شيبان وحدها ، بل راح يقتل كل بكري أمامه ، ممّا أثارهم عليه ، فاجتمعوا أخيراً تحت راية زعيم منهم هو « الحارث بن عبّاد » من بني ثعلبة ، فجهزهم للنصر أو الموت ، وحلق رؤوسهم ليمتازوا عن عدوهم ، وشدوا على تغلب في مواقع كثيرة ، فهزموهـا وأجلوها عن الجزيرة العربية إلى شـمال العراق ، واسـتقلوا في ديارهم ، بيد أن هذه الفترة الطويلة المشحونة بالحروب والفجائع ، أحدثت انقلاباً محسوساً في مجتمع البكريين ، فانتابتهم الفوضى ، وغلب على أمرهم جماعة من مجازفيهم وعشاق المعارك وطلاب الشر ، فساءت حالهم ، وتذمر أولو الرأي فيهم ، يقول « أبو عبيدة »[2] صاحب الأخبار : « لما تسافهت بكر بن وائل وغلب عليها سفهاؤها ، وتقاطعت أرحامها ، ارتأى رؤساؤهم ، فقالوا « ان هؤلاء قد غلبوا على أمرنا ، فأكل القوي الضعيف . ولا نستطيع تغيير ذلك فنرى أن نملّك علينا ملكاً ، نعطيه الشاء والبعير ، فيأخذ للضعيف من القوي ويرد على المظلوم من الظالم ، ولا يمكن أن يكون هذا من بعض قبائلنا ، فيأباه الآخرون ، فتفسد ذات بيننا ، ولكن نأتي

---

١ ـ العقد الفريـد / ابن عبـد ربه ، احمـد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) تحقيق عبد المجيد الترحيني ط ٢ . دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ ، ج٣ / ٣٥٤ .

٢ ـ هو أبو عبيدة ، معمر بن المثنى ، من علماء الأخبار في العصر العباسي الأول « ١١٠هـ ـ ٢٠٩هـ » .

ـ تُبَّعاً ـ فنملّكه علينا ، فأتوه وذكروا له أمرهم ، فملّكوا[1] عليهم الحارث بن عمرو الكندي ، المعروف بآكل المرار » .

وكانت أم الحارث هذا شيبانية تدعى « أم اياس بنت عوف بن ملحم بن ذهل ابن شيبان » [2] وبذلك أصبحت قبائل بكر مجتمعة تحت راية ملك ، له حكمه وسلطانه وجيشه ، وله أنظمته وقوانينه ، ولأول مرة تخضع هذه القبائل في تاريخها لنظام دولة ، كانت بدائية ناشئة ، في قلب الجزيرة العربية .

ولبث الحارث فيهم ملكاً ، فاستقامت أموره ، وقويت شوكته وغزا المناطق المجاورة ، فأخضعها لسلطانه ، وحارب ملوك « الحيرة » في العراق ، فردهم إلى أقصى أعمالهم ، وقاتل الغساسنة فتفوّق عليهم ، وقلّص ظلمهم في نطاق حدود الشام ، وقام بأعمال كثيرة ، جعلته في مصاف مشاهير حكام العرب ، في تلك العصور . فلما مات ترك وراءه عدداً من الأبناء ، اختلف منهم اثنان على الملك « شراحيل ، وسلمة » فجمع كل منهما فريقاً ممن كان يواليه ، فالتحقت بكر بن وائل ومن معها بصفوف « شراحيل » واجتمعت تغلب وحلفاؤها حول « سلمة » .

واقتتلا في مكان بين الكوفة والبصرة على ماء يدعى « الكُلاب » فهرب شراحيل ثم قتل ، وانفرط عقد جموعه ؛ ولم يطل أجل سلمة بعده . وعادت تلك القبائل إلى مواطنها ، مبعثرة كما كانت من قبل[3] . وبقيت بطون من بكر بن وائل تجاور العراق ، وتنتقل في مراعيه الخصبة على الفرات كلما اشتد القيظ وجفت البوادي في نجد وما حولها .

---

١ ـ العقد الفريد / لابن عبد ربه ج٣ /٣٦١ .

٢ ـ جمهرة أنساب العرب / لابن حزم ٣٠٣ .

٣ ـ أيام العرب في الجاهلية / محمد احمد جاد المولى وآخرون / ٤٦ .

فكان طبيعياً أن تنشأ بينهم وبين المناذرة ملوك الحيرة ، الخاضعين للنفوذ الفارسي ، صلات اقتصادية تجارية ، لوقوعهم على الطريق المؤدية إلى أسواق العرب في الجزيرة . ثم تطوّرت إلى أن أصبح البكريون يساهمون في الحروب التي كانت تنشب بين المناذرة والغساسنة بسبب التنازع بين النفوذين الفارسي والرومي على رقعة الشرق الأدنى وكانت الفترة التي مرّت على البكريين ، بين اجتماعهم تحت راية الملك الحارث بن عمرو ، وبين ظهور الاسلام ، فترة شغب وفوضى وحروب مع القبائل المجاورة لها من « تميم ، وطي ، وعبس » وغيرها وربما امتازت هذه الفترة التاريخية على سواها بكثرة الغزوات والمعارك بين سائر البطون العربية في جزيرتهم ، واطلق عليها اسم « أيام العرب » وسمي كل منها باسم المكان الذي تقع فيه المعركة وكان معظم أيام البكريين بزعامة قواد من شيبان ، بفضل من نبغ فيهم من الفرسان المغاوير . ولذا ، كان تاريخ بني شيبان ، قبل العصر الأخير من الجاهلية ، جزءاً من تاريخ بكر بن وائل كلها ، لقلة عدد الشيبانيين يومذاك ، واشتراك البكريين معاً في الحوادث الجسام ولكنه بدأ يتميز ويستقل بعض الاستقلال ، في الأعوام العشرة التي سبقت الاسلام ، حين تكاثر عدد الشيبانيين ، وأصبحوا قبيلة ضخمة ظهر فيها السادة والزعماء ، فذاع صيت بعضهم في الغارات والملاحم من أيام العرب[١] وتقرّب أفراد منهم عند ملوك الحيرة[٢] ، واتصل بعضهم بملوك الفرس أنفسهم[٣] فكانت لهم شؤون وأحداث ذكرها التاريخ ... حتى كانت « واقعة ذي قار »[٤] وعند العودة إلى الجذور للبحث عن الأسباب التي أدت إلى وقوع معركة ذي قار بين الفرس والعرب ، تطالعنا مأساة حزينة خُتمت بها حياة شاعر عربي جاهلي ، هو « عدي بن زيد العباديّ » وكان رجلاً مثقفاً

١ ــ ممن برز في أيام العرب : حُصيصة بن شراحيل ، وبسطام بن قيس والحوفزان بن شريك ، ومفروق ابن عمرو .

٢ ــ كان شريك بن عمرو رديفاً للملك المنذر بن ماء السماء .

٣ ــ وكان قيس بن مسعود صاحباً لكسرى أبرويز بن هرمز ، وعاملاً له على « الأبلة » بجانب البصرة .

٤ ــ رويت أخبار ذي قار على صور مختلفة ، أخذنا المتواتر منها في المصادر القديمة .

يجيد اللغتين : العربية والفارسية ، ويعدُّ من أفصح الناس وأكتبهم باللغتين معاً ، وهو من أسرة عربية نصرانيَّة ، تقطن مدينة « الحيرة » ولها صلات كثيرة ببعض الدهاقنة والمرازبة[1] من الفرس مما يسّر لأفراد الأسرة أن يتعلموا الفارسيَّة ، وأن يتولوا أعمالاً لكسرى في ديوانه ، ومنذ أن شبَّ عدي وظهرت مواهبه الحقه كسرى بخدمته ، فكان أول من كتب بالعربية في ديوانه ، كما كان يترجم له إذا وفد عليه زعماء العرب ورؤساؤهم .

كان عدي من أظرف الناس وأذكاهم ، وكان جميل الصورة فائق الحُسن وكان شاعراً جيّاش العاطفة رقيق الوجدان ، وقد تمكن بمواهبه وذكائه من أن يشقَّ لنفسه الطريق ، فغدا من أقرب رجال الدولة في الديوان إلى قلب كسرى ، فكان لعدي مكانة في أهل الحيرة وكان لمكانته في الديوان الملكي الفارسي أن تزوج هنداً « بنت النعمان بن المنذر » وعندما مات المنذر اللخمي ملك الحيرة طلب كسرى أبناءه ليختار واحداً منهم يمُلّكه على الحيرة مكان أبيه ، فبذل عديٌّ أكبر جهده ليقع اختيار كسرى على النعمان ، فلما تم اختيار النعمان غضب الأسود أخوه ، وغضب معه بني مرينا ، وهم قبيلة من قبائل الحيرة العباديين ، وكانوا يؤثرون تمليك الأسود بن المنذر ، فأضمروا الضغينة لعدي وعزموا على أن يكيدوا له كل كيد عند النعمان حتى شحنوا صدره حقداً على عدي ، وزوّروا على لسانه كتاباً أوصلوه إليه ، فاشتد غضبه عليه ، وازمع أن يوقع به وينتقم منه وكتب إلى عدي بالمدائن يستزيره : « عزمتُ عليك ألاّزرتني ، فإني قد اشتقت إلى رؤيتك ، فاستأذن عدي كسرى لزيارة الحيرة فأذن له[2] فلما أتى النعمان أمر بطرحه في حبس لا يدخل عليه فيه أحد ، وبدأت فصول تلك المأساة الحزينة ...

---

١ ـ الدهاقنة والمرازبة : الرؤساء والأشراف .

٢ ـ معركة ذي قار : الدكتور صالح الاشتر ومجموعة مؤلفين ، دار الشرق العربي ، بيروت (د.ت) ص ١٥ .

وحكاية المأساة مفصّلة في أشعار عدي وقد قالها في حبسه يُذكّر فيها النعمان بما بذل في سبيله حتى مكّنه من الفوز بالتاج ، دون إخوته من أبناء أبيه ، فكان الجزاء على الإحسان عجيباً : يُلقى به في الحبس رهين السلاسل والقيود والأغلال . ولم يلتفت النعمان إلى كل هذا ، حتى أدرك اليأس الشاعر وبدأ يكتب إلى بعض إخوته بالمدائن ، لينقل إلى كسرى نبأ اعتقاله ؛ فكتب كسرى إلى النعمان يأمره بإطلاقه ، وبعث مع أخيه رجلاً بكتابه إلى النعمان فلما وصل رسول كسرى إلى الحيرة بدأ بزيارة عدي في سجنه فطلب عدي منه أن يبقى معه ، وأن يرسل أحداً بالكتاب إلى النعمان ليضمن ببقائه معه سلامته ، فأبى الرسول إلا أن يوصل الكتاب بنفسه ، فأيقن عدي بالهلاك العاجل ، وكان ما توقّعه ، فقد بلغ الخبر النعمان قبل وصول رسول كسرى إليه ، وأدرك أنه إن يطلق سراح عدي بعد سجنه وتعذيبه إيّاه ليكونن أكبر عدوٍّ له في الديوان الملكي في المدائن ، فبعث إليه من خنقه ودفنه ووصل رسول كسرى بكتابه ، فأكرمه النعمان وأظهر استعداده لتنفيذ الأمر وذهب الرسول إلى السجن ، فأعلمه حُرَّاسه أن عدياً مات منذ أيام ، فارتّد إلى النعمان غاضباً متوعداً ولكن النعمان عرف كيف يرشده ، وشهد بأن عدياً مات قبل وصوله إلى النعمان بكتاب كسرى .

بعد مقتل عدي بن زيد أدرك النعمان خطأه وعرف أن أعداءه احتالوا عليه في أمره ، فدفعوه إلى الفتك بأخلص مناصريه وخرج النعمان ذات يوم إلى الصيد ، فلقي ابناً لعدي ، فلمّا رآه عرف فيه مشابهاً من أبيه فسأله من أنت ؟ فقال :[1] زيد بن عدي ابن زيد ، فكلّمه ، فإذا هو غلام ظريف ذكي ففرح به وقرّبه منه ، وغمره بصلاته وعطاياه ، وقد استراحت نفسه إلى الإحسان إليه وكان زيد لا يقل ذكاءً عن أبيه فقد

١ ــ معركة ذي قار : الدكتور صالح الاشتر وآخرون ص ١٩ .

جمع الثقافتين العربية والفارسية وهو بذلك جدير بأن ينهض بالمهام التي كان ينهض بها والده في الديوان الملكي الفارسي وهذا ما جعل النعمان يبادر إلى تجهيزه وسيّره إلى المدائن وزوّده بكتاب توصية إلى كسرى يقول فيه :« إنّ عدياً كان ممّن أعين به الملك في نصحه ولُبّه ، فأصابه ما لا بُدَّ منه ، وانقطعت مدّته ، وانقضى أجله ، ولم يصب به أحد أشدَّ من مصيبتي ، وأمّا الملك فلم يكن ليفقد رجلاً إلا جعل الله له منه خلفاً ، لما عظّمَ من ملكه وشأنه وقد بلغ ابنٌ له ليس بدونه رأيته يصلحُ لخدمة الملك ، فسرّحته إليه ، فإن رأى الملك أن يجعله مكان أبيه فليفعل ، وليصرف عمّه إلى عمل آخر ! » .

وهكذا حلَّ زيد مكان أبيه بترشيح من النعمان قاتل أبيه واستطاع الشاب الموهوب أن ينال ثقة كسرى وإعجابه ، وكان يكثر الدخول على كسرى ويتفانى في خدمته ، وكان إذا سئل عن النعمان يحسن الثناء عليه وهو يترقّب الفرصة المواتية للإنتقام لأبيه منه ، وجاءت الفرصة المنتظرة بعد طول ترقّب ! فقد احتاج كسرى وبعض أولاده وأهل بيته إلى الزواج ، وكان ملوك الفرس يحبون النساء الجميلات الحسان ، ويشترطون صفات فيهن فأمر كسرى بالكتابة إلى أرجاء مملكته للبحث عنهنَّ ودخل زيد بن عدي عليه وقال : قرأت يا مولاي الصفات المطلوبة في النساء وأنا بآل المنذر عارف ، وعند عبدك النعمان في الحيرة من بناته وأخواته وبنات عمّه وأهله أكثر من عشرين امرأة على هذه الصفات ! ولكن العرب ــ أيها الملك ــ والنعمان بخاصةٍ لا يقبلون هذا بيسر ويرون فيه غضاضةً ، وهذا شرُّ شيء فيهم ! وأخاف أن يُخفي النعمان على رسولك ما تطلب ، أو أن يعرض عليه نسوةً من غير أهله وإن قدمت أنا عليه لم يقدر على ذلك لمعرفتي بهنَّ . وذهب زيد بن عدي إلى الحيرة ومعه رسول كسرى إلى النعمان وأخبراه برغبة كسرى ، فقال النعمان ، وما صفات هؤلاء النسوة فقرأ زيد عليه الصفات المطلوبة ، فرفض النعمان تزويج كسرى وقال لزيد التمس لنا عذراً عند الملك ! فأنت تعرف ما على العرب في تزويج العجم

من الفضاضة والشّناعة ! وكتب النعمان إلى كسرى .. إن الذي طلب الملك ليس عندي ! »[1] فغضب كسرى من هذا الجواب واستدعى النعمان مضمراً الشّر والانتقام فخافه النعمان وترك قصره ، وحمل أهله مع بعض سلاحه وأمواله والتجأ إلى الجزيرة العربية عارضاً على قبائلها حمايته فلم يقبله أحد غير أن بني رواحة قالوا : إن شئت قاتلنا معك لمنّةٍ كانت له عندهم . قال : ما أحبُّ أن أهلككم ، فإنه لا طاقة لكم بكسرى ونظراً للموقف الكريم الذي وقفه بنو رواحة فقد أشاد بهم زهير بن أبي سلمى في معرض رثائه للنعمان بن المنذر بالرغم من أنه حاول أن يظهرهم المجيرين الوحيدين له اتباعاً لسنة المبالغة الشعرية قال زهير :

ألم تر للنعمان كان بنجوة	من العيش لو أن امرأ كان ناجيا
فلم أر مسلوباً له مثل ملكه	أقل صديقاً أو معطياً أو مواسيا
سوى أن حيًّاً من رواحة أقبلوا	وكانوا قديماً يتقون المخازيا
فقال لهم خيراً وأثنى عليهم	وودعهم وداع أن لا تلاقيا [2]

ثم أقبل حتى نزل في ذي قار في بني شيبان سراً ، فلقي هانيء بن مسعود الشيباني[3] وكان سيِّداً منيعاً ـ فاستجار به فأجاره ، وقال له : قد لزمني ذمامك ، وأنا مانعك مما أمنع نفسي وأهلي وولدي منه ، ما بقي من عشيرتي الأدنين رجل . وإن ذلك غير نافعك ، لأنه مهلكي ومهلكك ، وعندي رأي لك ، لستُ أشير به عليك لأدفعك عمّا تريده من مجاورتي ، ولكنه الصواب ، فقال : هاته ، فقال : إن كل أمرٍ يجملُ بالرجل أن يكون عليه بعد الملك سُوقةً ، والموت نازلٌ بكل أحد ، ولأن تموت

---

١ ـ معركة ذي قار . الدكتور صالح الاشتر وآخرون : ٢٦ .

٢ ـ هانيء بن مسعود الشيباني / منذر الجبوري ، وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية (١٩٨١) . ص ٣٠ . وانظر ديوان زهير بن أبي سلمى تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ط ١٩٨١/١ ص ٢١٠ ، ٢١١ ، ٢١٢، دار الفكر المعاصر / بيروت .

٣ ـ في رواية : إن هانيء بن مسعود لم يدرك هذا الأمر ، وإنما هو هانيء بن قبيصة بن هانيء ابن مسعود .

كريماً خير من أن تتجرع الذُّل أو تبقى سُوقةً بعد المُلك ، هذا إن بقيت ؛ فامض إلى صاحبك ، واحمل إليه هدايا ومالاً ، وألقِ بنفسك بين يديه ، فإما إن صفح عنك فعُدت ملكاً عزيزاً ، وإما إن أصابك ، فالموت خيرٌ من أن يتعلّب بك صعاليك العرب ويتخطفك ذئابها ، وتأكل مالك وتعيش فقيراً مجاوراً أو تقتل مقهوراً ، قال : كيف بحرمي ؟ قال : هنَّ في ذمتي لا يخلص إليهن أحد حتى يخلص إلى بناتي . فقال : هذا وأبيك الرأي الصحيح ولن أُجاوزه .

ثم اختار النعمان خيلاً وحللاً من عصب اليمن[1] ، وجوهراً وطرفاً كانت عنده ، ووجّه بها إلى كسرى ، وكتب إليه يعتذر ويعلمه أنه سائرٌ إليه[2] ، ووجّه بها مع رسوله ، فقبلها كسرى ، وأمره بالقدوم عليه ، فعاد إليه الرسول فأخبره بذلك وأنه لم يَرَ له عند كسرى سوء .

فمضى إليه بعد أن استودع هانيء حلقته وأهله وولده وألف شكَّة[3] حتى وصل إلى المدائن[4] لقيه زيد بن عديّ على قنطرة ساباط[5] فقال له : انجُ نعيم إن استطعت النّجاء « يصغّر اسمه تحقيراً » فقال له : أفعلتها يا زيد ؟ أما والله لئن عشتُ لك لأقتلنك قتلةً لم يقتلها عربيٌّ قطّ ، ولألحقنّك بأبيك . فقال له زيد : امض لشأنك نعيم ، فقد أخيّتُ لك أخيَّة[6] لا يقطعها المهر الأرن[7]، فلما بلغ كسرى أنه بالباب بعث

---

١ ـ العصب : نوع من برود اليمن يعصب غزله أي يُشد ويجمع ثم يصبغ وينسج .

٢ ـ أيام العرب في الجاهلية : محمد احمد جاد المولى وآخرون : ص٢٣ دار الفكر للطباعة والنشر (د.ت) .

٣ ـ الشكة : السلاح .

٤ ـ المدائن : الموضع الذي كان مسكن الملوك من الاكاسرة ، فكان كل واحد منهم إذا ملك بنى لنفسه مدينة إلى جنب التي قبلها ، وسماها باسمه ، فسميت بالمدائن .

٥ ـ ساباط : موضع بالمدائن لكسرى أبرويز .

٦ ـ الأخية : عروة تربط إلى وتد مشقوق وتشد فيه الدّابة .

٧ ـ الأرن : النشيط .

إليـه فقيّده وبعث بـه إلى سـجن[1] أعـدّ لـه ، فلم يزل به حتى وقع الطاعون هناك فمات فيه[2] .

فلما قتل كسرى النعمان استعمل إياس بن قبيصة الطائي على الحيرة ما كان عليه النعمان ، وبعث إليه : أن يجمع ما خلّفه النعمان ويرسله إليه فبعث إياس إلى هانيء يأمره بأن يرسل له ما استودعه النعمان من الدروع وغيرها ، وقال له : لا تكلفني أن أبعث إليك وإلى قومك بالجنود تقتل المقاتلة ، وتسبي الذّرية ، فبعث إليه هانيء يقول : إنّ الذي بلغك باطل ، وما عندي قليلٌ ولا كثير ، وإن يكن لأمر كما قيل ، فأنا أحد رجلين : إما رجل استودع أمانة فهو حقيق أن يردّها على من ودّعه اياها ، ولن يسلّم الحرُّ أمانةً . أو رجل مكذوب عليه ، فليس ينبغي أن تأخذه بقول عدوٌ أو حاسد .

وكان لمقتل النعمان صدى استياء عظيم في بلاد العرب ، إذ كان ملكاً عظيماً من عظمائهم ، وحزن الاحرار من شيبان لما حدث لجارهم بالأمس ، فخرج أحد فتيانهم المغاوير « مفروق بن عمرو »[3] وأغار في جماعة من قومه على سواد العراق وأمعن في مدنه وقراه نهباً ، وحرقاً وتقتيلاً فاستدعى كسرى عامله على الأبلة قيس بن مسعود الشيباني[4] . « وكان قد ضمن له بكر بن وائل ، ألا يدخلوا السّواد ، ولا يفسدوا فيه فقال له : « لقد غررتني من قومك وزعمت أنك تكفينيهم ؟ » وأمر به فحبس . واستمرت غارات بكر في السّواد ، حتى اضطرب الأمن وساد الخوف في تلك المنطقة المجاورة لمقر الأكاسرة وعاصمتهم . وكان كسرى قد استعمل « إياس بن قبيصة الطائي » على الحيرة ، وعندما رفض هانيء تسليم كسرى ما استودعه عنده النعمان من دروع وغيرها ، غضب كسرى ، وأقسم أن ينتقم من شيبان .

---

١ ـ في رواية لابن الكلبي : ألقاه تحت أرجل الفيلة فوطأته حتى مات .

٢ ـ أيام العرب في الجاهلية : محمد احمد جاد المولى وآخرون ص ٢٤ .

٣ ـ هو مفروق بن عمرو بن قيس بن عامر بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان .

٤ ـ هو قيس بن مسعود بن قيس بن خالد بن عبدالله ذي الجدين .

وانتظر حلول الصيف ، حيث اعتادت بعض بطون شيبان مع جماعات من بكر ابن وائل ، أن يقيّظوا في « حنو ذي قار » وهو وادٍ مخصب قريب من الحيرة [1] .

وحلَّ موسم الصيف ، فأقبلت عشائر وبطون من بكر بن وائل ، وفيهم بنو يشكر ، وبنو عجل ، وتيم الله ، وشيبان بأموالهم وذراريهم وهم يعلمون بما دبّر كسرى لهم . حتى إذا استقروا في خيامهم أرسل إليهم أحد رؤوس العرب من اتباعه ، يقول لهم « إنَّ الرائد لا يكذب أهله ، وقد أتاكم ما لا قبل لكم به من أحرار فارس ، وفرسان العرب ، وإنَّ في الشّر خيراً ولأن يفتدي بعضكم بعضاً خيرٌ من أن تصطلحوا ، انظروا ما ترك النعمان عندكم من الحلق فادفعوها إلى كسرى وادفعوا رهناً من أبنائكم إليه بما أحدث سفهاؤكم » فقالوا له : « عُد ، وننظر في أمرنا » ثم استقر رأيهم على القتال حتى الموت أو النصر [2] .

واختاروا هانيء بن مسعود رئيساً لهم ، وتوزعوا قيادات الصفوف بينهم ، وقطعوا وضن الإبل التي تحمل نساءهم ليدافعوا عنهن ويقطعوا كل أمل بالتراجع ، ووزعوا حلق النعمان وسلاحه فيهم ، ريثما تضع الحرب القادمة أوزارها ، وتهيأوا للغد الموعود .

ويجدر بالذكر ، أن العرب في تلك الحقبة ، كانوا مشتتين أكثر من أي عهد مضى ، وقد فرّقت الحروب والثارات صفوفهم . وكان في العراق عدد من القبائل الموالية للنفوذ الفارسي ، وبينها وبين بكر بن وائل ضغائن وعداء قديم ، استغله كسرى ، فجمع من فرسانها فرقة ضخمة ، وأردفها بفرقة أخرى فارسية ، جعل على رأسها « الهامرز » عامله على أرض السواد مع كتيبتين مشهورتين في جيشه ، هما « الشهباء » و « الدوسر » وأمدهم بفيلة مدربة على القتال ، فوقها رجال يحسنون رمي السهام ... وساقهم جميعاً إلى حنو ذي قار .

---

١ ـ ذي قار : ماء لبكر قريب من الكوفة .

٢ ـ يزيد بن مزيد الشيباني للدكتور عبد الجبار الجومرد : ٣٦ .

وفات كسرى ، عند تكوين جيشه وضم بعض العرب إليه ، أن مقتل النعمان بن المنذر كان قد استثار الشعور القومي ، العربي في كل مكان ، وأثار النقمة إلى حدٍّ طغى فيه على الأحقاد والثارات بين قبائلهم فلما وقفت بكر ، وعلى رأسها شيبان ، موقفها من ذي قار ، دفاعاً عن ذمتها وأعراضها ، أمام الطغيان الفارسي نهض الشعب العربي يتلفت نحو ساح المعركة القادمة ، ليرى باهتمام ما ستؤول إليه النتيجة ، وقد أخذت في نظرهم طابعاً قومياً ، دون شك .

وكانت المسافات الشاسعة ، وشدة القيظ ، حائلاً دون تهيؤ بعضهم لنصرة إخوانهم ، فانهالت الرسل من أحرار عرب العراق إلى بني بكر ورئيسهم ابن مسعود ، يحذرونهم ويحثونهم على الصبر في القتال ، ويمنّونهم بالنصر ، وكان ممن ارسل اليهم « هند بنت النعمان » المقتول ، تقول :

الا أبلغ بني بكر رسولا ... فقد جدَّ النفير بعنقفير
فليت الجيش كلهم فداكم ... ونفسي والسرير وذا السرير
كأني حين جد بهم اليكم ... معلقة الذوائب بالعبور
فلو أني اطقت لذاك دفعاً ... اذن لدفعته بدمي وزيري[1]

والظاهر ، أن إصرار البكريين على خوض حرب مبيدة ، واهتمام كسرى بتكوين جيشه وتجهيزه بأقوى ما لديه من السلاح ، أثار قلق الناس ، معتقدين بأن مجزرة تاريخية ستحدث ، وأن الدائرة ستدور لا شك على البكريين ، بسبب قلة عددهم وضعف سلاحهم ، أما الآلاف من جيش كسرى ، وأساورته وفيلته . فسارت الركبان بأخبار القوم في أنحاء الجزيرة العربية ، حتى الحجاز ، وكان الاسلام في فجره ، يومذاك وقد هاجر الرسول الاعظم ﷺ حديثاً ، من مكة إلى المدينة ليتم

---

١ ــ « العنقفير » يعني الداهية .
« العبور » : نجم في السماء ، يلي الثريا .
« الزير » ما استحكم قتله من الأوتار ، وتقصد الشاعرة بذلك شرايين عنقها .

رسالته هناك ، فعلم بما يدور في العراق ، فقال : « اللهم انصر شيبان .. اللهم انصر شيبان »[1] . ولم تكن شيبان قد اسلمت بعد ، ولكن الذي نعتقده ، أنّ ما سينتج عن هذه المعركة من أثر أدبي على مستقبل العرب ومعنوياتهم ، في تلك الظروف ، جعل الرسول ينطق بهذا الدعاء الكريم .

وفي صباح يوم من أيامهم تلك ، أقبلت جيوش الأعاجم بفيلتها تسير على تعبئة محكمة .

فعبأ بنو بكر صفوفهم على خطةٍ اتفقوا عليها . ووقف زعيمهم هانيء بن مسعود خطيباً فقال : « يا قوم .. مَهْلكٌ معذور خيرٌ من نجاء معرور ، وإن الحذر لا يدفع القدر ، وإن والصبر من أسباب الظفر ، المنيّة ولا الدنيّة واستقبال الموت خيرٌ من استدباره . يا قوم جدو ، فما من الموت بدٌّ . فتح لو كان له رجال .. يا آل بكر شدُّوا واستعدُّوا وإلا تشدُّوا تردُّوا »[2] .

وتكلم من كل عشيرة خطيب أو شاعر يستنهض همم فرسانه ، فكان ممن تكلم من شيبان ، شيخ أشيب ، ذهو هيبة ووقار ، تلتف حوله كوكبة من الشباب الدراعين على خيولهم ، من أولاده وأحفاده هو « شريك بن عمرو »[3] الجد الرابع لمعن بن زائدة ـ فقال : « يا قوم ، إنّما تهابونهم لإنّكم ترونهم عند الحفاظ أكثر منكم ، وكذلك أنتم في أعينهم . فعليكم بالصبر ، فإن الأسنّة تردي الأعنّة ، يا آل بكر قُدْماً قدماً » ثم قطع كم قميصه ليسّهل على ساعده الضرب والحركة ، فقطع بنو شيبان جميعاً أكمامهم . وتقدموا إلى الميدان .

---

١ ـ الاغاني : ج٢٤ : ٧٢ وفي رواية أن بني شيبان بعد إسلامهم كانوا ينادون في حروبهم أثناء الفتح يا رسول الله وعدك .

٢ ـ الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني : ج٢٤ / ٦٨ .

٣ ـ كان شريك بن عمرو الشيباني رديفاً للملك المنذر بن ماء السماء وقد قتل في حرب ذي قار .

والتقى الجمعان في يومهم الأول على سهل يدعى « الجبايات » ، فكانت حرباً شديدة موحشة ، لم يظفر بها أحد ، ثم كان اليوم الثاني في « ذات العجرم » ؛ وأعقبه يوم ثالث في « حنو ذي قار » نفسه ، تفانى فيه الطرفان لقاءً ونزالا ، تساقط عدد كبير من فرسان بكر بن وائل ، وصناديد شيبان ، فكأنما كانوا يتسابقون وعدوهم على الموت ، وكانت النهاية في اليوم الرابع ، في موقع يدعى « قراقر » ، حيث قتل قائد الجيش الفارسي « الهامرز » قتله « الحوفزان بن شريك بن عمرو » الشيباني . فولّت الاعاجم منهزمة ، واتبعهم بنو بكر يقتلونهم بقية يومهم وليلتهم ، حتى أصبحوا من الغد وقد شارفوا السواد فدخلوه في طلب القوم وبذلك يقول أحد شعرائهم :

فدى لبنى ذهل بن شيبان ناقتي ... وراكبها يوم اللقاء وقلَّت

هم ضربوا بالحنو حنو « قراقر » ... مقدمة الهامرز حتى تولت [1]

وما من ريب أن هذا النصر كان عيداً للعرب ، كما كان كارثة لدى كسرى الذي لم يحتمل سماع خبر الهزيمة ، فقتل أول من أخبره بها[2] وما كنا لنسهب في تفصيل هذه المعركة لولا صلتها ، من بعض الوجوه بصميم دراستنا فهي قبل كل شيء من أهم أحداث شيبان في تاريخ جاهليتها ، كما كانت مصدر قوة أدبية ، وفخر للشيبانيين ومن معهم من العرب تجاه العنصر الفارسي ، بعد اسلامهم ، حتى أواخر العصر العباسي الأول الذي سنتحدث عنه .

ومن المهم أن نعلم أيضاً ، بأن الأكاسرة والطبقة الحاكمة في الشعب الفارسي ، كانوا قبل واقعة ذي قار هذه ، يستخفّون بضعف العرب ، وتشتت قبائلهم ، وفقر حالتهم المعاشية ، فيضطهدون من يدخل منهم في نطاق نفوذهم ، ويمنعون من شأوا من عشائرهم حين يضطرها الجفاف إلى أن ترد مياه العراق الغزيرة ، وتنتجع الكلأ والمرعى

---

١ ـ معجم البلدان : كلمة « قراقر » .

٢ ـ أيام العرب في الجاهلية / محمد احمد جاد المولى وآخرون / ص٣٤ .

في سواده الخصب . وهم يدركون جيداً بأن العراق عربي بأكثرية شعبه منذ العصور التي سبقت هجرة الآشوريين والبابليين إليه من جزيرة العرب ؛ ولكن للقوة والسيطرة أحكاماً معروفة وكان العرب أنفسهم يشعرون بضعف قوتهم أمام دولة الأكاسرة ووسائل حربها ، ولم يكن في حسبان أحد منهم أن عدداً قليلاً من عشائرهم تستطيع إذا اجتمعت أن تهزم أمامها جيشاً فارسياً كبيراً ، حتى كانت موقعة ذي قار .

نعم ، كانت دولة الأكاسرة في تلك الحقبة من الزمن تعاني رجّات داخلية ونوبة من التفسخ والانحلال . ولكن هذا لم يمنع النصر العربي في ذي قار من أن يعطي نتائجه المعنوية في الشعب كله ، فيغيّر رأيه بضعفه ، ويكسبه الجرأة والإقدام على من حوله من الدول النظامية التي استضعفته زمناً ، ويغرس في صفوفه فكرة التكتل والوحدة في حين كان الدين الاسلامي يتمخض في الحجاز لجمع الشمل وتوحيد الكلمة وقد جاء في الأخبار أن موقعة ذي قار ، حدثت في الفترة بين غزوتي « بدر ــ وأُحد » الاسلاميتين ، وأن الرسول الأعظم عليه الصلاة والسلام ، علم بانتصار شيبان ومن معهم على جيش كسرى ، فارتاح وقال : « هذا يوم انتصفت فيه العرب من العجم ، وبي نصروا »[1] . وفي قوله هذا إشارةٌ واضحة إلى ما كان لذلك النصر من غبطة عمّت نفوس العرب أجمعين .. والذي نعتقده ، أن في قول النبي ﷺ « وبي نصروا » معنى لا يقتصر على أنهم نصروا ببركة دعائه وحسب ، ولكنه رأى هذه القوى الكامنة في الشعب العربي ، وهي متفرقة ، ستجتمع تحت راية الرسالة الاسلامية التي بُعث لها ، فتكون الوحدة والنظام ، ويكون النصر .. وهكذا صار فيما بعد .

١ ــ الأغاني : ج٢٤ : ٧٢ .

شـيبان فـي الإسـلام

كان بنو شـيبان على الوثنية في جاهليتهـم ، إلاّ قليلاً منهم ، اعتنق الديانة المسيحية بسبب ارتياده أرض العراق ، واحتكاكه بالشعوب المتحضّرة فيه . وكان أكبر أصنامهم « هُبل » المقام على بئر في جوف الكعبة ، ويشترك معهم في عبادته بنو بكر ومالك وكنانة[1] ... ويليه في المنزلة « المحرّق » مقاماً في موضع يدعى ـ سلمان ـ وهو مشـترك في سـائر بطون ربيعة ، وقـد جعلوا في كل حي لهـم شبيهاً به ، يعبدونه[2] ... وصنم آخر يسمى « ذو الكعبات » منصوب في ـ سنداد ـ ومشترك بين بكر وتغلب وإياد ، فكانوا إذا صدروا من حجهم في الكعبة ، لا يأتون بيوتهم قبل أن يمروا به ، وينسكوا عنده[3]. ولما ظهر الدين الاسلامي ، كان الشيبانيون على علم بمولده فقد روي أن النبي ﷺ أراد في بداية دعوته ، أن يعرض نفسه على وفود القبائل العربية القادمة إلى مكة في موسم الحج ، ليدعوها إلى ديانة التوحيد ، ويطلب ممن يهتدي منها ، المنعة له وللأقلية المسلمة التي معه ؛ فخرج إلى مضارب القوم في « منى » ومعه صاحباه أبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب . وانتهى بهم المطاف إلى مجلس مهيب من وفد شيبان ، فجلسوا عندهم ، وحادثوهم ، ثم قرأ عليهم الرسول بعض آيات من القرآن الكريم ، وسألهم إن كانوا يؤمنون بدينه ، ويقبلون منعته ومن معه ، فقال هانيء بن قبيصة : « إنما تكون الزلة مع العجلة وإنّ وراءنا قوماً نكره أن نعقد عليهم عقداً . ولكن ترجع ونرجع ، وتنظر وننظر » وتكلم المثنى بن حارثة الشيباني فقال : « إن الجواب هو جواب هانيء ، وإنما منازلنا بين صريين ، أحدهما « اليمامة » ، وهي حفوف البر وأرض العرب ، وثانيهما « السماوة » أرض فارس وأنهارها ، وإنما

---

١ ـ جمهرة أنساب العرب : ٤٥٩ .

٢ ـ المصدر نفسه : ٤٦٠

٣ ـ المصدر نفسه : ٤٦٠

نزلناها على عهد أخذه علينا كسرى . أن لا نحدث حدثاً ولا نؤوي محدثاً . فأما ما كان مما يلي العرب ، فذنب صاحبه مغفور . فإن أردت أن ننصرك ونمنعك مما يلي العرب ، فعلناه » .

وأيد مفروق بن عمرو رأي صاحبيه ، فانفرط العقد على ود ، دون أن يسلم وفد شيبان في ذلك اللقاء الذي سبق هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة وقبل موقعة ذي قار بعدة أعوام[1] ثم مضت الأيام ، وكان ما كان من أمر النبي الأعظم ، من هجرة إلى المدينة ، وكفاح وحروب ضد قريش وغيرها ، حتى انتهى النصر بفتح مكة في العام الثامن الهجري ، وتقويض الأصنام المنصوبة في الكعبة ، وقدوم وفود القبائل من أنحاء الجزيرة للبيعة والدخول في الدين الحنيف . وقد روت المصادر أنباء الوفود القادمة إلى صاحب الرسالة ، وذكرت أسماء قبائلهم القريبة والنائية عن الحجاز ، وفيها عدد يمثّل مختلف البطون من بكر بن وائل ، ولكننا لم نعثر على ذكر وفد جاء باسم بني شيبان وحدهم للدخول في الاسلام ، وما ندري ، لعل السبب في ذلك تفرّق أبناء هذه القبيلة في مواقع عديدة من أرض نجد والبحرين والسماوة وغيرها ، فأسلموا متفرقين أيضاً ... ! ولكن هناك رواية تشير إلى أن أحد كبار زعماء بكر بن وائل هو « حسان ابن خوط » [2] قدم إلى المدينة ، وبايع النبي باسم قومه . وفي ذلك يقول ابنه :

أنا وحسّان بن خوطٍ وأبي رسول بكرٍ كُلِّها إلى النَّبي[3]

وفي رواية أخرى : أن بطون بكر ، وفيها شيبان ، أسلمت على أثر ورود كتاب من النبي إليهم ، حمله القائد الصحابي « العلاء الحضرمي » ، وهذا أقرب إلى الصواب والظاهر أن من أسلم من شيبان هم الوثنيون المقيمون في اليمامة وما حولها من أرض

---

١ ـ البداية والنهاية / لابن كثير ، أبو الفداء الحافظ بن اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت٧٧٤هـ) تحقيق أحمد أبو ملحم وآخرين ط٣ دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٥ ج٣ / ٣٥١ .

٢ ـ الطبقات الكبرى / لابن سعد ، محمد بن سعيد بن منيع البصري (ت٢٣٠هـ) تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، ١٩٩٠ ، دار الكتب العلمية / بيروت ج١/٢٤١ وفي رواية الطبقات هذه ورد اسم « حريث بن حسان الشيباني » بدل حسان بن خوط .

٣ ـ البداية والنهاية / لابن كثير ج٥/٨٣ .

الجزيرة العربية ؛ وتأخّر من كان في العراق ، وبعضهم كان قد اعتنق الديانة النصرانية ، فبقي على عقيدته .

أما عن بداية الاسلام في شيبان ، فيقول أبو عبيدة [1] :« لما ظهر الاسلام قبل أن يسلم أهل نجد والعراق ، سارت بطون من بكر بن وائل إلى السواد ، وعليهم « بشر بن مسعود » في جماعة من عشيرته ، وقالوا : نغير على بني تميم في « الشيطين »[2] فإن دين ابن عبد المطلب ـ أي الاسـلام ـ ينهى عن ذلك ، فنغيـر هذا العام ، ثم نسلم عليها ، فارتحلوا من مواقعهم في (لعلع) بالذراري والأموال ، وأغاروا على تميم ، فقتلوا منهم ستمائة رجل وأخذوا أموالهم » .

فإذا أضفنا إلى هذه الرواية خبراً آخر يفيد : بأن وفد تميم « قدم إلى النبي في العام التاسع للهجرة ، فأسلم ، وطلب من النبي أن يدعو الله على بكر وشيبان ، بسبب ما صنعوا يوم (الشيطين) فلم يجب الرسول طلبهم[3] ـ نرى بأن شيبان أسلمت بعد تميم ، في أواخر العام التاسع ، أو في أوائل العام العاشر للهجرة .

ولما توفي النبي ، في العام الحادي عشر من هجرته ، ارتدت أكثر القبائل التي جاء اسلامها متأخراً . فأرسل الخليفة الأول أبو بكر الصديق جيوشه لقتال من ارتدّ منها وأعادته إلى حظيرة الاسلام ، وكان من أشهر القبائل التي ارتدّت إلى كفرها ، عدد من بطون بكر بن وائل . فزحف القائد الصحابي خالد بن الوليد ، لقتال بني حنيفة ، وقد تزعمها مسيلمة الكذاب المتنبي ، وتوجهت حملة أخرى بقيادة العلاء الحضرمي ، لمناجزة من ارتدّ من بني قيس بن ثعلبة ، وكانوا جيران بني شيبان في

---

١ ـ ابو عبيدة : هو معمر بن المثنى صاحب الأخبار .

٢ ـ الشيطين : واديان في ديار بني تميم لبني دارم .

٣ ـ العقد الفريد / لابن عبد ربه ج٣ / ٣٥١ .

اليمامة ، فتوّفق خالد إلى قتل مسيلمة ، وأبلى العلاء في قتال قيس بن ثعلبة حتى عادت إلى دينها ، ولم يتعرّض لشيبان في شيء ، لأنها كما يبدو ـ لم ترتدّ وقد جاء في بعض أخبار هذه الحملة . أن مفروق بن عمرو الشيباني ، التحق بصفوف العلاء ، وقاتل مرتدي قيس حتى عادوا إلى إسلامهم (١) .

وفي الطبري أيضاً : أن جماعة من خصوم شيبان أرجفوا أنها ارتدت ، وأرسلوا إلى الخليفة ـ الصّديق في الأمر ، فبعث إلى قائده العلاء ، كتاباً يقول فيه : « أما بعد ، فإن بلغك عن بني شيبان بن ثعلبة ما قد بلغني ، وخاض فيه المرجفون ، فابعث اليهم جنداً ، فأوطئهم وشردهم (٢) ولكن العلاء لم يبلغه شيء من ذلك ، ولم يشك في متانة إيمانهم .

فنرى مما تقدم ، أن إسلام شيبان جاء متأخراً ، ولم يكن بينه وبين وفاة النبي ﷺ غير عامين على أكثر تقدير ، وقلَّ من أسلم منهم مبكراً ، فصاحب النبي وناصر رسالته . ويعزى الأمر إلى أسباب منها : بعد ديارهم عن الحجاز ، وخطورة مسالك الطرق إليه لوجود القبائل المحاربة معهم ، وعدم ارتيادهم أرض مكة المجدبة إلا في مناسبات دينية ، واتجاه أنظارهم كلياً نحو العراق القريب ، موطن المياه والكلأ والثمر ، ثم اعتناق الكثرة من زعمائهم للدين المسيحي ، ورسوخ الأنفة الجاهلية في نفوس السواد الأعظم منهم .

---

١ ـ تاريخ الرسل والملوك ، الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت.٣١٠هـ) تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ ج٣ : ٥٥١ .

٢ ـ المصدر نفسه : ج٣/٥٥٢ .

شيبان والفتح الإسلامي

لا يخفى أن دخول هذه القبيلة في الاسلام ، أحدث تغييراً محسوساً في نواحي حياتها الاجتماعية ، فقد حرّم الدين الجديد عليها غزو القبائل الأخرى التي تآخت معها بالايمان ، وفرض عليها قيوداً نظامية لا تتعداها ، وآداباً إنسانية رادعة تمنعها من الانطلاق على سجيتها إلى حدود الفوضى ، في سبيل إشباع الحرية الفردية اللامتناهية . فلم تجد متنفساً لحيويتها الجامحة ومخرجاً لضائقتها الاقتصادية ، غير تلك الفكرة التي بدأ يبحثها الخليفة الصّديق وصحبه ، في نشر الاسلام عن طريق الفتح ، مبتدئين قبل كل شيء بغزو وتحرير الوطن العربي ونشر الدين الاسلامي ، في الشام والعراق ، وتحريرهما من كابوس النفوذين الرومي والفارسي ، وكانت مقاليد الزعامة في شيبان ، قد ألقيت ، على أثر إنتهاء أمر الردة ، في يدّ أقوى شخصية مؤمنة من أبنائها ، هو « المثنى بن حارثة » الذي عرفناه من تاريخه ، فيما بعد ، سيداً وجيهاً ، وفارساً ومعلماً ، وقائداً من الطراز النادر[١] .

وما أن علم هذا البطل برغبة الخليفة في انتداب قوة لغزو العراق ، حتى جمع كتائبه من شيبان وبكر بن وائل ، في ثمانية آلاف فارس وأغار بدافع من نفسه على حدود كسرى ، وشن على ناحية « كسكر » والقرى الواقعة على الفرات حملات شعواء ، هزمت حامياتها . وفضت مسالحها ، وظل يزحف نحو الجنوب مصاحباً النهر حتى بلغ القطيف وهجر[٢] . وقد أدهشت الوثبة الخاطفة هذه حكومة فارس ، وذهبت أخبارها في كل مكان ، فقال الخليفة الصّديق : « من هذا الذي تصلنا أخبار وقائعه قبل أن نعرف نسبه ؟! » فقيل له : « هذا يا أمير المؤمنين رجل غير خامل الفكر ، ولا مجهول النسب .. هذا المثنى بن حارثة الشيباني [٣] .

---

١ ـ المثنى : هو ابن حارثة ، بن سلمة ، بن ضمضم ، بن سعد ، بن مرة بن ذهل بن شيبان .

٢ ـ هجر : هي أرض البحرين .

٣ ـ تاريخ الرسل والملوك / الطبري ج٢ / ٥٤٢ .

وسواء أكانت هذه الغارة الشيبانية البكرية ، قد حدثت بدون علم الخليفة ، أو بموافقة منه على حدّ قول بعض الرواة[1] ، فإن تفاصيلها وحلقاتها تسوغ لنا أن نعتبرها امتداداً للواقعة الأولى بذي قار ، واستئنافاً لتلك الواقعة بعد فترة لا تحسب طويلة في تواريخ النزاع بين الأمم ، وهي نيف وعشرة أعوام .. ولئن كان المثنى بن حارثة وجماعة من فرسانه سبق لهم أن ساهموا في الواقعة الأولى ، فإن الآخرين على ذكر من هزيمة الفرس فيها ، أو على خبرة بقتالهم في أطراف العراق ؛ وما برح العداء بينهم وبين النفوذ الفارسي ، والقبائل التي تواليه على أشد ما يكون وعلى هذا يمكننا الزعم بأن الصراع الذي استحكمت حلقاته بين القوميتين العربية والفارسية ، واستمر عصوراً طويلة ، كانت شيبان في رأس الرمح منه ، وكيفما كان الأمر ، فإن انتصارات المثنى هذه ، بددت كل حذرٍ أو تردد عند الخليفة الصّديق في أمر البعثة إلى فارس ، وصححت عزيمته وعزيمة أصحابه على تجريدها بعد الفراغ من حروب الردة بأسابيع معدودات فلما أقبل خالد بن الوليد بعسكره نحو مواقع (الأبلة) مما يلي البصرة ، كان جيش المثنى معسكراً في (وادي خفّان) بقرب الحيرة ، فبعث إليه كتاباً من الخليفة يأمره بالانضمام إلى راية خالد ، فلم يتردد[2] وتعاون القائدان تعاوناً ودياً صادقاً ؛ وكان المثنى في مقدمته ، لا يقف أمام أشد المواقف خطراً حتى يذلله ؛ فكان النصر حليف جيش المسلمين في سائر الوقائع التي خاضها في زحفه هناك حتى بلغ الحيرة ، وفرض عليها الجزية بعد فتح أبوابها .. وهي أول جزية حُملت من العراق إلى (المدينة) عاصمة الخلافة لقد حدثنا التاريخ باسهاب ووضوح عن مواقف القائد الكبير خالد في غزو العراق ، وعن بطولاته وتضحياته ومهارته في فن القيادة . وكان المثنى اليد اليمنى له في معظم وقائعه . كما كان بنوشيبان وبكر في طليعة كتائبه المجاهدة ، وقد توطدت الصلة الروحية بين القائدين ، وحمل كل منهما لصاحبه أسمى آيات الحب

---

١ ـ تاريخ الرسل والملوك / الطبري / ج٢/٥٥٢ .

٢ ـ المصدر نفسه ج٢/٥٥٧ .

والاعجاب ... فلما ندب الخليفة الصّديق خالداً ، لنصرة الجيوش العربية في الشام ، على أثر اشتداد الأزمة بينها وبين قوى الروم في وادي (اليرموك) ، إقترح خالد على الخليفة أن يكون المثنى أميراً مكانه على الجيش ليتم الرسالة في العراق ، وكان هـذا رأي الخليفة نفسه . وتوجه خالد إلى الشام ، وكان المثنى في صحبته مودّعاً ، إلى حدود الصحراء ، ثم افترقا ، وخالد يقول لصاحبه « ارجع رحمك الله إلى سلطانك ، غير مقصّر ، ولاوان »[1] .

ولم يكد المثنى يتسلّم الامارة من يد خالد ، حتى علم بأن جيشاً فارسياً ضخماً ، توجه إلى (بابل) ليوقف هذا المدّ العربي ، فجمع المثنى كتائبه ، وجعل على قيادتها أبرز أتباعه ، وفيهم أخواه « مسعود ، والمعّنى » وزحف نحو عدوه . وفي بداية الحرب تقدم فيل ضخم أخاف خيول العرب ، وعلى ظهره جماعة من رماة السهام فمشى إليه المثنى بنفسه وحمل عليه بسيفه فعالجه حتى قتله بقطع خرطومه ؛ ولم يصمد الفُرس بعده طويلاً ، فلاذوا بالفرار وتبعهم العرب حتى وصلوا بهم (المدائن) عاصمة كسرى ، ثم عادوا وفي ذلك يقول الشاعر الفرزدق[2] .

وبيـت المثنى عاقـر الفيـل عنـوة ببابـل إذ في فـارس ملـك بابـل

والظاهر أن إنتصار المثنى في هذه الموقعة ؛ وقد وصلت كتائبه إلى ضواحي المدائن ، أيقظ عيونِ المسؤولين في دولة الأعاجم ، وأفهم بأن ملاحم العرب هذه مع جيوشهم ، ليست بالغزوات العابرة ، كما كانت قبل الإسلام ، وأن وراء الأمر ما وراءه ؛ فراحوا يتأهبون لمعارك أخرى حاسمة ، لها نتائجها الخطيرة ، ومن ناحية العرب ، فقد شعر المثنى بأن فتح العراق العربي وإنقاذه من النفوذ الفارسي ، ومجابهة

---

١ ـ تاريخ الرسل والملوك / الطبري / ج٢/٥٥٨ .

٢ ـ ديـوان الفرزدق شـرحه وضبطه وقدم لـه الاسـتاذ علي فاعـور دار الكتب العلميـة بيـروت ط١/١٩٨٧ ص ٤٥٦ .

المعارك القادمة ، يحتاج إلى تقوية جيشه وتغذيته ، بالعدد والعدة فقصد الحجاز سراً ، وقابل الخليفة ، أبا بكر الصّديق ، وهو مريض على فراشه ، وقد أوصى بالخلافة بعده إلى عمر بن الخطاب ، فحادثه طويلاً ، وأخبره بأن اضطراباً محتمل الوقوع في صفوف زعماء الفرس ، بسبب موت « كسرى شهربراز » وإختيار من يشغل عرشه ؛ وأقنعه بأن الفرصة مواتية لإرسال جيش كبير ، يقوم بأمر الفتح ، فاهتم أبو بكر الصّديق برأي المثنى واستصوبه ، فأرسل إلى عمر ، وقال له : « إذا مت في يومي هذا ، فلا تمسين حتى تنتدب النّاس مع المثنى ، ولا يشغلكم عن ذلك مصيبة وإن عظمت »[1] .

وقيل : توفي الخليفة في يومه ذاك ، فقام عمر ينتدب النّاس إلى قتال الفرس ، فتثاقلوا في بادئ الأمر ، حاسبين لجيوش كسرى حسابها ، فقام المثنى فيهم خطيباً وقال : « أيها الناس ، لا يعظمن عليكم وجه فارس ، فقد تبحبحنا ريفهم ، وغلبناهم على خير شقّي السواد ، وشاطرناهم خيراتهم ، واجترأ من قبلنا عليهم ، ولها إن شاء الله ما بعدها ... » وتكلم بعدها الخليفة عمر ، فأجابه الناس ، وتواثبوا متطوعين للجهاد ، حتى بلغ عددهم آلافاً كثيرة ، فأمّر عليهم زعيم متطوع هو « أبو عبيد بن مسعود الثقفي » ولم يأنف المثنى من أن ينضم إلى لوائه ، ويعمل تحت إمرته في سبيل الهدف المشترك .

لقد كان المثنى صاحب رسالة ، وإنموذجاً فذّاً في نكران الذات أمام رسالته ، فقد رأيناه أول سيف عربي مسلم يُمتشق للفتح خارج الجزيرة العربية، فيغزو وينتصر، ولم ينهزم قط ، وهو على قيادة شيبان وبكر بن وائل ، حاملي العبء الأكبر في ذي قار ؛ ولكنه لم يتردد في أن يكون تابعاً لغيره من القادة إذا اقتضى الأمر وسواء لديه ، الإمرة على جيوش المسلمين في العراق ، والانضواء تحت قيادة أبي عبيد الذي لم

---

١ ـ تاريخ الرسل والملوك / الطبري / ج٢/٥٧١ .

يجرب قبل هذا قتال الفرس أبداً كانت غايته تحرير العراق ، ورفع كلمة الاسلام فيه ، وهي أسمى من أن يلتفت دونها إلى كسب شخصي .

وزحف الجيش العربي من الحجاز ، يريد نهر الفرات ، إلى موضع يدعى « النمارق » قرب الحيرة ، حيث يعسكر جيش فارسي كبير بقيادة « رستم » أحد دهاقين الفرس المعروفين ، والتقى العسكران في ذلك الموقع ، في معركة حامية صعبة طول النهار ، وجزء من الليل ، حتى انكفأ الأعاجم ، وهرب رستم يريد النجاة .. واعقب ذلك معارك اخرى انتصر فيها المسلمون ، حتى كانت موقعة « الجسر » التي يهمنا ذكرها ، لما كان لشيبان فيها من مواقف مشرّفة ، يمكن أن تعد من مفاخرها الحربية .

ذلك أن حكومة فارس ، وقد رأت هزيمة رستم ثلمة في كرامتها العسكرية ، جهزت جيشاً من ثمانين ألف مقاتل ، وعشرين فيلاً عليهم رماة السهام ، يقوده محارب ماهر من كبار القادة يدعى « بهمن جاذويه » وتقابل الطرفان على نهر الفرات في « قس الناطف » وبينهما النهر ، وبجانبهما جسر للعبور ، فأرسل بهمن إلى أبي عبيد يقول : « إما أن تعبروا إلينا ، أو نعبر إليكم » ، فقال المثنى بن حارثة لأبي عبيد : دعهم يعبرون إلينا ، فيكون النهر وراءهم ، وتبقى الصحراء وراءنا . فلم يقبل أبو عبيد ، وقال : « والله لا يكونوا أجرأ منا على الموت » ، وأمر بالعبور . فأدار الفرس عليهم رحى حرب شديدة ، لم يجد العرب فيها متسعاً لضيق ساحهم ، وقد انحصروا بين الفيلة الغاضبة الزاحفة وبين النهر ، فتراجعوا نحو الجسر ولكن جندياً من العرب أسرع فقطعه ، ليشد من عزيمة قومه ، وكان مخطئاً في ذلك ، فتواثب الناس في النهر ، وغرق عدد كبير منهم . وحاول أبو عبيد أن يخفف من ضغط العدو ، فصمد في الميدان بين الفرسان والفيلة ، فقُتل ؛ وأعقبه إلى نفس المصير عدد من أولاده وإخوته ، وهم يحملون الراية واحداً بعد الآخر ، وسيوف الفرس تأكل فيهم هناك في الموقف

الصعب ، أسرع المثنى بن حارثة ، فالتقط الراية ، وصاح في شيبان : أن « ذودوا عن دينكم وإخوانكم فالتفوا حوله ، مع من التف من الآخرين ، وتساندوا صفاً أمام العدو يمنعون السيوف عن إخوانهم الذين أخذهم الفزع ، وأمر المثنى جماعة من قومة ، فشدوا الجسر ثم أخذ ينادي : « يا معشر العرب ، أنا دونكم ، فاعبروا على هيئتكم ، ولا تدهشوا ، ولا تغرقوا أنفسكم » ، فعبر الناس ، حتى إذا انتهى العبور ، تراجع هو ومن بقي من صحبه ، تحت السيوف والسهام ، وقد أُصيب بطعنة رمح شديدة ، غاصت لها بعض حلقات الدرع في جنبه ، فجرحته جرحاً بليغاً .

وقد وصف لنا بعض المؤرخين هذه المأساة الدامية ، فأشار إلى أن من غرق فيها من العرب المسلمين أكثر ممن قتل ، وأن من نجا منهم وليس له سابقة بقتال الفرس وفيلتهم ، غادر العسكر يريد النجاة . ولم يبق مع المثنى وراء الجسر غير جماعات من شيبان وبكر بن وائل وقليل ممن أصرّ على الاستمرار في الجهاد حتى النهاية ، وأرسل المثنى رسولاً إلى أمير المؤمنين يقص عليه ما جرى ؛ فلقيه في مسجد المدينة متلهفاً إلى سماع أخبار الحملة ، وكانت قد انقطعت فترة من الزمن وراح يحدثه ، ثم قال : « يا أمير المؤمنين ، أنعي إليك أبا عبيد الثقفي ، وإخوته وأولاده فلاناً وفلاناً .. وأنعي إليك .. » فقاطعه عمر قائلاً : فالمثنى بن حارثة ؟؟ قال : تركته جريحاً يائساً من شفائه فأظلمت الدنيا في عيني الخليفة المحزون واخضلّت عيناه بالدمع فبكى الناس وضجوا في جنبات المسجد يريدون القتال . ونهض عمر من مكانه يدعو الناس إلى التطوع وإتمام الرسالة في فتح العراق ؛ فتوارد الفرسان من كل مكان ، وتبلوّر جيش قوامه عدّة الآف مقاتل ، جعل على قيادته الصحابي المعروف « سعد بن أبي وقاص » وهيأه للزحف إلى غايته .

أما المثنى ، فلم تفتر همته بعد الذي حدث ، ورغم جرحه فبعث إلى من يليه من العرب فتوافدوا إليه من شتى القبائل في جموع كثيرة ، وفيهم من العشائر العربية التي

لم تعتنق الاسلام لبقائها على النصرانية ، ولكنها أرادت نصرة قومها . وكان على عرش الأكاسرة آنذاك امرأة هي « بوران » فاستشارت حاشيتها فيمن ترسله لقتال العرب ، فاختاروا « مهران الهمذاني » وأرسلوه في جيش عظيم : فالتقى بجيش المثنى عند « البويب » وكان بينهما النهر أيضاً . فأرسل إلى المثنى يقول : « أتعبر إليّ أم أعبر إليك » . قال : « بل أعبر أنت .. » فعبر . وتلاحم العسكران في حربٍ ضروس ، قاتل فيها العرب قتال المنتقم الموتور من الهزيمة السابقة ، وأبلى المثنى وقومه بلاءً حسناً ، قتل في حومتها أخـوه « مسعود بن حارثة » ثـم كانـت الهزيمـة على الفرس ، بعد مقتل « مهران » ؛ قتله عربي نصراني من تغلب فكانت معركة البويب هذه عربية قومية ، تساوى في بلائها ونصرها المسلم والمسيحي .

ولم يكن أمام العرب بعد هزيمة مهران ، قوة فارسية تستطيع الوقوف أمامهم ، فمخر المثنى أرض السواد وراح يحتل القرى والدساكر ، حتى وصل « الأنبار » ثم صعد بجيشه ، فاحتل « تكريت » وما جاورها . وهناك أتته رسالة من قائد جيش الحجاز « سعد بن أبي وقاص » يخبره بوصوله تخوم العـراق ، ويطلب منه الالتحاق به ، ولكن المثنى كان قد نكس وانتقض جرحه ، فمات رحمه الله ، بعد أن كتب أروع صحيفة من البطولات في سجل شيبان الخالد ؛ فالتحقت كتائبه بالجيش القادم ، وساهمت في حرب « القادسية » المشهورة ، التي أنهت فتح العراق .. ثم اندفعت شيبان بعد ذلك ، مع الجيوش العربية الفاتحة ، نحو الشرق في عهدي الخليفتين « عمر » و « عثمان » .

بنو شريك الشيّباني

قبل ظهور الاسلام ، بما يقرب من نصف قرن ، كانت بطون من بني « مرة بن ذهل بن شيبان ، تقطن أرض نجد ، على هضبة مخصبة معشبة في الربيع ، بين البصرة واليمامة ، تدعى « سنام »[1] وفي وسط تلك المضارب المنبثة هنا وهناك ، يقوم بيت رفيع العماد عزيز الجانب ، ينافس بيوتات شيبان الكبرى على زعامة بني بكر بن وائل ، هو بيت « شريك بن عمرو بن قيس » الذي يضم تحت قبته حفنة من الإخوة الشباب ، من ذوي النجدة واليأس ، وإكرام الضيف ، عرفنا منهم « الحارث ، وأسود ، والنعمان ومطر » ، أولاد شريك ، وكان شريك سيداً من سادات العرب ، وشخصية من شخصياتهم المرموقة ، الموسومة بصفات الزعامة ، من بطولة وسخاء وحسن رأي وقد اعتاد منذ شبابه ، أن يترك أرض نجدٍ في موسم الصيف وينتجع مع جماعات من قومه حنو « ذي قار » في العراق ، ويقيم أحياناً في « الحيرة » زمناً ، ويتصل بملوكها المناذرة ، حتى أصبح جليساً للملك « المنذر بن ماء السماء » ورديفاً له ، والردافة أشبه بالوزارة في ذلك العهد ، يجلس صاحبها على يمين الملك ، ويرافقه في موكبه وينادمه ، ويدلي برأيه إذا أُستشير في الأمر الخطير .

كان ابنه الأكبر « الحارث » فارساً من صناديد قومه ، وقائداً من قادة المعارك والغزوات ، الذين ترددت أسماؤهم في تاريخ « أيام العرب » المشهورة في الجاهلية الأخيرة ، وله أخبار طريفة في عدد من تلك الملاحم[2] كيوم « ذي طلوح والمخطط ، والغبيط ، وجدود ... وغيرها[3] ، وقد انتصر في بعضها وانهزم في بعضها الآخر ، وأسر ذات مرّة ففدى نفسه بأكبر فدية عند العرب ، لسمو مكانته ، وكان يلقب

---

١ ــ الاصمعيات : ٢٢ .

٢ ــ يزيد بن مزيد الشيباني : الدكتور عبد الجبار الجومرد (منشورات دار الطليعة الطبعة الأولى ١٩٦١ ص ٥٥) .

٣ ــ أيام العرب في الجاهلية ، محمد جاد المولى وآخرون ص ١٨٠ + ١٨١ .

بـ « الحوفزان » ويعرف بهذا اللقب أكثر ممّا يعرف باسمه . وقصة ذلك : أنه أغار على قومٍ من بني « تميم » فانتصر عليهم وغنم ، ولكن تميم أعادت الكرة عليه وقاتلته فأصيب بطعنةِ رمحٍ في مؤخرة ظهره ، قلعته عن سرجه فأدمته وكادت تقضي عليه[1] وأن الذي اقتلعه عن سرجه بالرمح هو قيس بن عاصم . وقد قيل عن كل ما قلعته عن موضعه حفزته[2] فقال شاعرهم في ذلك :

ونحن حفزنـا الحوفـزان بطعنـةٍ … سقته نجيعاً من دم الجوف أشكلا

وحمـران قسـراً أنزلتـه رماحنـا … فعالــج غُـلاً في ذراعيه مقفـلا

فما لك من أيـام صـدقٍ تعدُّهـا … كيـوم جُواثي والنِّبـاج وثيتـلا

قضى اللّه أنّـا ـ يوم تقتسـم العلا … أحقُّ بها منكم فأعطى وأجـزلا

فلست بُمسطيع السماءِ ولم تجدْ … لعزّ بناه اللّـه فوقك منقـلا[3]

ولقب ، على أثر ذلـك بـ « الحوفزان » ؛ وعرف يومـه هذا بيوم « جدود » أما « مطر بن شريك » فأخباره قليلة ، يقول عنه ابن دريد في كتابه « الاشتقاق » أنه كان من رجال شيبان ، وهو الذي يقول فيه الشاعر :

ولو كنت جار بني هند لأدركني … عوف بن النعمان أو عمران أو مطر[4]

ووصفه الشاعر أبو تمام في قصيدة يمدح بها أحد أحفاده بقوله [5] .

مطـــر أبـــوك أبـــو أهلـــة وائـــل … مـــلأ البســـيطة عـــدة وعديـــداً

أكفـــاؤه تلـــد الرجـــال وإنمـــا … ولد الحتـــوف أســـاوداً وأســـودا[6]

---

١ ـ في رواية أن الحوفزان قتل في يوم جدود من تلك الطعنة والأصح أنه لم يقتل منها .

٢ ـ الاشـتقاق / ابن دريـد ، أبو بكـر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت٣٢١هـ) . تحقيـق عبد السلام هارون ، مكتبة المثنى ، بغداد ، ١٩٧٩ ص ٣٥٨ .

٣ ـ الشـعر لسوار بن حيّان المنقري .(أيام العرب في الجاهلية محمد جاد المولى وآخرون ص ١٨١ ، دار الفكر للنشر والتوزيع .

٤ ـ الاشتقاق / لابن دريد : ٣٥٩ .

٥ ـ يزيد بن مزيد الشيباني : الدكتور عبد الجبار الجومرد : ٥٦ .

٦ ـ شرح ديوان أبي تمام / ضبط معانيه وشروحه وأكملها ، ايليا الحاوي / ١٧٨ ، دار الكتاب اللبناني ط١ / ١٩٨١م .

ولم يكن سائر أبناء شريك ، بأدنى مكانة من أخويهم هذين ، وقد وردت أسماؤهم في أشعار بعض الجاهليين الذين وصفوا الملاحم والحروب بين شيبان والقبائل الأخرى ، وأشاروا إلى بيت شريك بن عمرو كان عرين فروسية وبطولات عريقة ، رفعت مكانتــه في المجتمــع العربي ، قبل أن يبســط الاسلام ظلــه على فجاج الجزيزة العربية [1] وآخر ما لدينا من أخبار هذا البيت في الجاهلية أن شريكاً وأولاده اشتركوا جميعاً في حرب « ذي قار » وأبلوا فيها البلاء الحسن . وكان شريك يومذاك شيخاً طاعناً في السّن ولكنه خطب في الناس وقاد جانباً من المعركة وقاتل حتى قُتل مع عددٍ من أبنائه وأحفاده ، فرثاهم أحد شعرائهم قائلاً :

بكيت شـريكاً في المغار وأســوداً وذا العلـق حتـى ما بعيني من ملل
وكنا بهم نرعى الجميع ونأكل الربيع ونكفـي حامل الأهــل ما احتمل

وكان من حسن بلاء الحوفزان بن شريك في هذه الواقعة ، وقد شاهد مصرع أبيه واخوته ، أن هاجم « الهامرز » قائد الجيش الفارسي ، فبارزه وقتله ؛ وكان قتله عاملاً رئيساً من عوامل النصر في يوم ذي قار ، والذي بقي مدار فخرٍ في الجاهلية والاسلام بين الاسر العربية ، ولم نعد بعد هذه الواقعة نسمع شيئاً عن أسرة شريك . ويغلب على الظن أن من بقي فيها من أبناء وأحفاد ، عادوا إلى مواطنهم الأولى في جبل « سنام » من أرض نجد ، كما عاد معظم الشيبانيين والبكريين الذي اشـتركوا في القتال ، بعد أن وتروا بسيوفهم الأعاجم المسيّطرين على أرض العراق . ولكن مكوثهم في ديارهم النجدية ، هذه المرة ، لم يكن طويلاً ، فتوغل الدين الاسلامي في بيوتهم ، فاشتغلو به ؛ وانضموا تحت راية زعيمهم الأكبر « المثنى بن حارثة الشيباني » الذي زحف إلى العراق غازياً وفاتحاً ، مع باقي الجيوش العربية المسلمة .

---

١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني : الدكتور عبد الجبار الجومرد : ٥٦ .

على أن أخبار هذه الأسرة بقيت غامضة ؛ مقطعة الحلقات طوال فترة من الزمن أعقبت إسلامها ، بسبب نشوء الجيوش الضخمة في دولة المسلمين ، وتجمّع القيادات الشيبانية كلها في ظل لواء واحد ، حمله المثنى بن حارثة الشيباني ، ثم تسلّمه « جارية ابن المثنى » الذي قاتل في صفوف الخليفة علي بن أبي طالب ضد خصمه معاوية بن أبي سفيان ، حتى إذا استقرت الدولة الأموية في الشام ، وبدأت الخلافات المذهبية تدبُّ في صفوف عرب العراق ، تفرّقت تلك الكتلة الشيبانية إلى جماعات ، وبدأت أسماء بعض أحفاد شريكٍ بن عمرو ، تظهر على مسرح التاريخ من جديد وكل ما نعلمه في هذا الصدد ، أن أُسرة شريك استوطنت مدينة « هيت » على نهر الفرات بعد فتح العراق ، وكانت زعامتها يومذاك في بيت « السليل بن الحوفزان » وجاورها في هيت أسرة شقيقة لها ، هي أسرة « قيس بن عمرو » أخي شريك ، وعلى زعامتها شيخ جليل الشأن هو « يزيد بن رويم بن قيس بن عمرو »[1] .

وبعد مرور حقبة غير طويلة ، اختلفت الاسرتان اختلافاً مذهبياً فاعتنقت القيسية دين الخوارج « الحرورية » ؛ وبقيت الشريكية على مذهب أهل السنة والجماعة ، فصعدت الأولى نحو ديار ربيعة في الجزيرة الفراتية ، قرب الموصل . وانحدرت الثانية إلى مدينة الكوفة فاستوطنتها وجاورت من فيها من الشيبانيين .

ودارت الأيام دورتها ، فإذا بالإسرة القيسية تتزعم فريقاً من الخوارج بقيادة « شبيب بن يزيد بن رويم » ؛ وتشن ثورة عارمة على الحكم الأموي ، ويزحف زعيمها من أرض الجزيرة نحو جنوب العراق ، قاصداً الكوفة ، مقرَّ الحجاج بن يوسف الثقفي عامل الخليفة عبدالملك بن مروان على العراق ، لينتزعها منه .. ، وفي تلك المعارك الطاحنة التي دارت بين الطرفين ، كان رجال الأسرة الشريكية ، في صفوف الدولة الأموية ضد شبيب ومن معه من الخوارج ، حتى أُخمدت نيران الثورة ، وتفرّق فرسانها في البلاد ، بعد مقتل زعيمها الجريء .

---

١ ـ يزيد من مزيد الشيباني : الدكتور عبد الجبار الجومرد : ٥٧ .

وقدّر الأمويون موقف أسرة شريك في هذا الحدث الخطير ، فحبوها بعطفهم ، وحموا أبناءها من ظلم بعض ولاتهم في العراق ، فاستقامت أمورها ، وحسنت أحوالها ، وكثر العدد في بيوتها ، حتى أصبحت على مرّ الأيام عشيرة كاملة ، عُرف أبناؤها باسم « الشريكيين » ثم امتازوا إلى فصيلتين قيل لأحدهما « بنو مطر » نسبة إلى مطر بن شريك الذي تحدثنا عنه ، وأطلق على الأخرى اسم « بني الحارث » نسبة إلى الحارث بن شريك وهو الحوفزان[1] .

ولو أردنا أن نبحث عن تاريخ فصيلة « بني مطر » لما وجدنا شيئاً يستحق الذكر حتى ظهور « معن بن زائدة » ... بن مطر ، الذي سنتحدث عنه وبين مطر وحفيده معن ، ثلاثة أجيال كاملة ، ما كنا نعرف حلقاتها لولا سلسلة نسب هذا الحفيد ، فقد ولد لمطر عـدد من البنين كان أنبههـم « زائدة » وولد لهـذا الابن أولاد ، عرفنا منهم « عبدالله » وخلّف عبدالله ذرية اشتهر منها « زائدة الثاني أبو معن » .

١ ـ يزيد من مزيد الشيباني : الدكتور عبد الجبار الجومرد : ٥٨ .

بيـت زائـدة

وكيفما كان الأمر ، فإن « زائدة بن عبدالله » والد معن لم يكن تافهاً من الرجال كما يريد أن يصوّره الخصوم ، ولا عظيماً كبعض أسلافه في جاهليتهم ، بل كان وسطاً في عشيرته ، موسراً كريم اليد ، معروفاً في مجتمعه بنى بيته في حي « شيبان الكوفة » ، وتزوج امرأةً من قومه هي « برَّة » بنت أبي العوجاء ، أخت الفقيه الكوفي « عبد الكريم بن أبي العوجاء الشيباني » ، فولدت له بنين وبنات عرفنا من أبنائه « معن » الذي سنتحدث عنه و « مزيد » والد يزيد القائد الأعلى لقوات دولة هارون الرشيد .

وبالتالي فهم كوفيون وأصلهم من هيت[1] وكان بيت معن بن زائدة قريباً من دير « هند الصغرى » الذي بنته هند بنت النعمان بن المنذر ملك الحيرة ، وترّهبت فيه وسكنته دهراً طويلاً ، وكان أعظم ديارات الحيرة وأعمرها ، وموقعه بين الكوفة والحيرة وعلى التحديد « يقارب بني عبدالله بن دارم بالكوفة مما يلي الخندق » وبين الحيرة والكوفة مسافة جداً قصيرة ، وكلاهما تقعان على حفاف رحبة واسعة غرب نهر الفرات ، تتصل ببادية الكوفة ، المأهولة بعشائر كثيرة ، منها عشيرة معن من آل مطربن شريك ، وقد ذكر هذا الموقع معن في شعره بقوله[2] .

ألا ليت شـعري هل أبيـتن ليلـةً	لـدى دير هنـد والحبيب قريـب
فنقـضي لبُانـات ونلقـى أحبـةً	ويورق غصـن للسـرور رطيب

وفيه يقول :

لئن طـال في بغـداد ليلي فربمـا	يرى بجنوب الدير وهو قصير[3]

---

١ ـ معجم الشـعراء / المرزباني ، أبو عبدالله بن عمران بن موسى (ت حوالي ٣٨٤هـ) تحقيق أحمد عبد الستار فراج . طبعة دار إحياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٠ (ص ٣٢٤) .

٢ ـ معجم البلدان . الحموي ، ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ) .

٣ ـ معجم ما استعجم / البكري ، ابو عبيدالله الاندلسي (ت ٤٨٧ هـ) تحقيق مصطفى السقا ١٩٤٥ ج٢ / ٦٠٥ .

معن بن زائدة الشيباني

١ ـ اسمه ونسبه

هو معن بن زائدة بن عبدالله بن زائدة بن مطر بن شريك بن عمرو الملقب بالصلب بن قيس بن شراحيل بن مرة بن همّام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [1] من قبيلة بكر بن وائل بن ربيعة .

وكان جدُّ معن مطر بن شريك من أكبر الناس عند الملك المنذر « ملك الحيرة » وكان أخوه الحوفزان بن شريك « واسمه الحارث » موصوفاً بالكرم والشجاعة . ولقد افتخر ببني مطر من شيبان « رهط معن بن زائدة » بعض الشعراء منهم مرّة بن محكان السعدي الذي عدهم أخواله وكان يقال له أبو الأضياف لقوله فيهم [2] :

وقلت لما غدوا أوصي قعيدتنا ... غذّي بنيك فلن تلقيهم حقبا
أدعى أباهم ولم أقرف بأمهٌم ... وقد هجعت ولم أعرف لهم نسبا
(أنا ابن محكان أخوالي بنو مطر ... أنمى إليهم وكانوا معشراً نجبا)

وقد عدّ الشاعر بني مطر بيت شيبان ، وشيبان بيت ربيعة[3] أي أن بيت معن بن زائدة من أشرف بيوت ربيعة فهو وجهها ورأسها وهذا الشاعر مروان بن أبي حفصة يفتخر ويمدح بني مطر فيقول فيهم :

---

١ ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان / لابن خلكان ، شمس الدين احمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، ط ٢ دار صادر بيروت (١٩٧٧م) ج٥ / ٢٤٤ .

٢ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ص ٤٥٦ ، حققه مفيد قمحية ونعيم زرزور ط١٩٨٥/٢م دار الكتب العلمية / بيروت .

٣ ـ زهر الآداب / الحصري القيرواني ، أبو اسحاق ابراهيم بن علي (٤٥٣هـ) تحقيق الدكتور زكي مبارك ومحمد محي الدين ـ القاهرة (د.ت) ، ج ٤ / ٨٦٨ .

بنــــو مطـــر يـــوم اللقـــاء كأنهـــم	اســـودٌ لها في غيــل خفّان أشـــــبل
هـــم يمنعـــون الجـــار حتـــى كأنمـــا	لجارهـــم بين السّـــماكين منـــزلُ
ولا يســـتطيع الفاعلـــون فعلهـــم	وإن أحســـنوا في النائبـات وأجملـوا
بها ليل في الاسلام سادوا ولم يكـــن	كأولهـــم فـــــي الجاهليـــة أولُ
هم القوم إن قالوا أصابـوا وإن دُعـــوا	أجابوا وإن أعطوا أطابـوا وأجزلوا[٢]

١ ــ زهر الآداب / للحصري القيرواني ج٢/٤٢ ، ج٨/٨٤٣ .

مولد معن بن زائدة

ولد معن في الكوفة ، حوالي العام السبعين للهجرة ، في خلافة عبد الملك بن مـروان ، حيث كانت الكوفـة من أكبر المدن العربية الاسـلامية ومن أكثفها نفوساً وأكثرها أحداثاً سياسية ، لعوامل يذكرها التاريخ زيادة عن كونها مقرَّ الولاية على العراق ، وما وراءهُ من البلاد الشرقية الأُخرى . ويتألف مجتمعها من بطون وعشائر قوية الشكيمة يقطن كل منها حياً خاصاً به يدعى بإسمه . وربما كان حي بني شيبان من أهم أحيائها لكثرة سكانه ، واتصاله بالبادية المجاورة ، حيث مضارب الأعراب من أبناء القبيلة نفسها .

وكان مولد معن في بيتٍ عرفناه عريقاً بالبطولات والكرم والنجدة ، فنشأ في جوٍّ عربي صميم ، وخلع عذار صبوته في فترة ذهبية من تاريخ الدولة الأموية ، يوم كانت جيوشها تكتسح البلاد في أقصى الاندلس وعلى حدود الصين ، وفوق هضاب السند ، وعلى مرتفعات أرمينية ، وقد نبغ فيها مجموعة طيبة من خيرة القادة العرب الذين زها التاريخ بأسمائهم ، أمثال « موسى بن نصير » وغيرهم . وسلك معن سبيل الفتيان من قومه ، فبز أقرانه بما أوتي من فطنة وجرأةٍ وصفات نبيلة ، حتى اشتد عوده ، والتحق بحاشية الزعيم الشـريكي « الغضبان بن السـليل » فأحبه وأعجب به ، وقرَّبه منه ، ثم زوّجه إحدى بناته ، وهيأ له الجوّ ليتحمل مسؤولية الزعامة على قومه بعده ، فكان ما أراد ، وحمل معن الراية على أثره(١) .

قاد صحبـه إلى الغزو والجهـاد ، وظهرت شـخصيته وهو في عنفوان شبابه ، فانتدبه والي العراق إلى الهنـد ، على رأس قوةٍ من عشيرته ، لمسـاعدة حملة عربية توقفت هناك فأتم واجبه وعاد منتصراً .

---

١ - يزيد بن مزيد الشيباني / الدكتور عبد الجبار الجومرد ، ٦٢ ، ٦٣ .

طفولة معن بن زائدة

ولد معن صحيحاً معافى ، واضح القسمات ، كأجمل وأمتن ما يولد الأطفال ؛ فأرضعته أمه أشهراً ، ثم أسلمته إلى مرضعةٍ من أعراب قومها الضاربين بخيامهم في فجاج البادية المجاورة ، سيراً على عادة الأسر العربية المرفهّة من سكان الحاضرة . بغية إنشاء الطفل في الهواء الطلق وتعويده خشونة العيش ، وتحمُّل المشاق ، ولكي يصفو ذهنه ، وتستقيم لغته ويفصح بيانه . هناك بلغ معن الفطام ، ودبَّ على الارض بين البيوت تحت أشعة الشمس الدافئة ، ثم خلع تمائم طفولته ، فاختلط بصغار الحي ، وساهم في رياضتهم وألعابهم وسابقهم على التلال والسهول ، حتى اشتد عوده ، فرعى الغنم والبهم مع الصبية الرَّعاة ، وركب الخيل والإبل ، فألف الصهيل والرغاء والثغاء ، ونطق باللهجة البدوية الشيبانية ولبس الغليظ من الثياب ، وأكل الجشب من الطعام وشرب الآسن من الماء ، كأي صبي من أبناء الأعراب ، ليس عليه مسحة من ترف ، أو طابع من حضارة تميّزه عن غيره من سكان البادية ، وكان العُرف يقضي بأن يعود الصغير إلى بيته في المدينة ، قبيل إدراكه العاشرة من عمره لينهج سبل ذويه ، ويتم ثقافته ويأخذ من تقاليد مجتمعه نصيباً يؤهله مسايرة عصره . فقد بقي معن بين أعراب قومه ، حتى ناف على العشرين من عمره ، ولم يقم في الحاضرة إلا نادراً وفي فترات عابرة فشبّ أعرابياً في مظهره ومخبره ، وفي تقاليده وعاداته واستقامته ولكن المشرفين على أمره لم يهملوا ثقافته وتعليمه بقدر ما كانت البادية تمده من هذا الغذاء الفكري في تلك الظروف الصاخبة ولما كانت الكوفة آنذاك ، الموطن الأول للحضارة الفكرية العربية ولا ينافسها على الزعامة العلمية والأدبية في العراق غير البصرة كما هو معروف في التاريخ ، كان لباديتها المجاورة نصيب وافرٌ من ذلك الاشعاع الثقافي ، فلم تحرم عشائرها من معلمين ومرشدين يهدون الناس ويفيضون عليهم مما أوتوا من علم وأدب ودين،وقد أُرسل معن في سنّ مبكرة إلى معلم صبيان قبيلته ليتعلم قراءة القرآن ويتّفهم فرائض الدين وسننه ، ويتقن الخط ، ويحفظ ما يستطيع حفظه من جيد الشعر ،

تبعاً لمناهج تعليم الصغار في ذلك العهد . وتنم الأخبار عن سيرة معن أنه أنهى دروسه في الكتّـاب وانتقل منه إلى حلقة شيخ أو شيوخ لهم من العلم والمعرفة مجال أوسع مما لدى معلم الصبيـان ذاته فأمعن في دراسة اللغة والأدب وحفظ الكثير من خطب النوابغ على المنابر واستظهر من شعر الأقدمين والمحدثين ، من الأمثال السائرة والحكم الشاردة ، وفهم معانيها ، وعرف أخبارها والمناسبات التي قيلت فيها وربما كان أكثر ما يستهويه من العلم ، أنساب العرب وتاريخهم وأيامهم في الجاهلية وفتوحاتهم في الاسلام ، وبخاصة سيّر الأبطال من ربيعة وشيبان التي كانت تبعث في صدره الفتي النشوة والفخر والاعتـزاز ، واستطاع أن يبلغ شأواً بعيـداً في هذه الضروب المتعددة من الثقافة ، بفضـل ما أوتي من حدة الذكاء ، وقوة الحافظة ، وصفاء الذهن ، وامتاز بين أقرانه من الناشئين بمواهب طيبة ، قرّبته كثيراً من نفوس كبار قومه ومعارفه ، كسـرعة البديهـة ، وعـذوبة الحديث ، ودماثة الخُلق ، والعزوف عن كل ما يشين ويزري بالكرامة .

وربما كان أبرز ظاهرة فيه ، بسطة جسمه ، وجرأته وإقدامه وتحمله المتاعب حتى لكأنه ولد للدربة على الرياضة وألعاب الفروسية ، فتعلم كل ما يتعلمه الفتى المرشح للحرب والبطولات وشمائل الرئاسة ، وليس غريباً أن يسير على هذا النهج فمجتمعه الذي عاش فيه وأسرته التي إنحدر منها واستعداده ومواهبه ، كل ذلك كان يدفعه نحو هذه الغاية التي سار إليها ، كان عصره عصر جهاد وفتوحات وتوسّع ، كما كان عصر فتن وانتفاضات وثورات في الداخل ، وفي كلا الميدانين تاريخ يُكتب ، وبطولاتٍ تدوّن ، وشخصيات تنتصر فتحكم ، أو تندحر فتزول تاركة وراءها خبراً يروى وأثراً لا يمحى ، وكانت القبائل العربية مستودع هذه المعادن من الرّجال ومدارس عسكرية تنجب الفرسان ، وتصنع القادة ، فتغذى بهم جيوش دولة بني أمية، التي كانت بحكم عصبيتها القومية ، لا تركن إلى غير العرب في قيادة حملاتها لذا كان التنافس القبلي في هذا المجال قد بلغ أشده وبخاصة في العراق ، لكثرة قبائله ،

ووقوعه في وسط رقعة الدولة ، بين شرقها وغربها ، وقربه من مواطن الجهاد على حدود الروم وتخوم فارس الشرقية .

فقد ولد معن في قلب هذا الميدان الكبير ، ونشأ في أكبر مدرسة عسكرية من مدارسه هي قبيلة شيبان « غُرة العرب » وانحدر من أرفع بيت فيها فتلقفته الأيدي المدربة الماهرة . والعقول الراجحة الخبيرة ، فمهر بفنون الطراد والمناجزة والصراع ، ومارس مختلف أنواع السلاح وراض نفسه على الخشونة ، وعوّدها على الصبر في المضانك وشدائد الجوع والظمأ حيثما تفرد عن موارد الزاد .

وكانت وسائل الرياضة وتدريب الناشئين عندهم على الفروسية والمصاولة وتهيئتهم للقيادة والرئاسة ، صعبة شاقة لا يخلو بعضها من المغامرة والمجازفة ، كصيد الوحوش وقتل الأسود الضارية ، بالسيوف والرماح في آجامها المتوافرة آنذاك في بعض نواحي العراق كوادي « خفان » ووداي « السباع » ووادي « الأثل » وغيرها قرب الكوفة ، وعلى ضفاف جنوبي الفرات وحول البصرة على طريق اليمامة وكاظمة ، وما كان باستطاعة كل ناشيءٍ أن يمارس هذا اللون من التدريب الخطر ، إلا من وهب قوة الجسم والجرأة مع الحذر واليقظة ؛ وكان معن في مقدمة من يملك هذه المواهب ، ومن أشدهم ولعاً بممارسة تلك الرياضة العنيفة ، وفي أخبار معاركه وحروبه التي سنتحدث عنها ما ينبيء عن قوة بدنية صامدة ودراية باكرة بفنون الصراع والكفاح ؛ كما أن سرعته في مآزق النزال إلى مصارعة أقرانه ومبارزيه ، واحتضانهم بعنف شديد ، حتى يعجزهم عن الحراك فيقتلهم أو يأسرهم تدل على ضلاعة العصبيين الأقوياء المعهودين بين رجال السيف ؛ وهي ضلاعة يوشك أن تستمد من حماسة النفس ، وشهامة القلب أضعاف ما تستمده من العضلات والأوصال .

ومن هنا نفهم ، أن مواهب معن وعصاميته ، كانت الأصل في تكوين شخصيته وتسويد نفسه ، وإيصالها إلى مصاف أبطال الحروب والميادين ، ولكنها لم تصل

إلى غايتها هذه ، لو لم تصادف تلك الظروف المواتية ، والمناسبات السخية التي تحدثنا عنها غير بعيدة أيضاً كما أن بقاء معن طويلاً في البادية مهّد له سبيل التعرف إلى مختلف عشائرها ودراسة مجتمعاتها ولعله سـافر كثيـراً في بوادي العراق والشـام والجزيرة ، والتقى برجال من ذوي الأخطار ومقاديم القبائل النابهين ، فعرفهم وعرفوه بفضل مكانته بين سادات العرب وبشهرة قومه بني شيبان ونبل بيته فيهم ، وأفاد من أسفاره هذه ثقافة إجتماعية واسعة ، ما كان ليجدها في كتاب ولا ليتقنها على السنة المخبرين .

فتوّة معن بن زائدة

لكلمة « الفتوّة » معانٍ كثيرة عند العرب الأقدمين في جاهليتهم وإسلامهم وهي أقرب إلى معنى « الفروسية » التي نشأ نظامها عند الأوروبيين في القرون الوسطى وأكثر ما كان يطلقها العرب على الرجل إذا اجتمعت فيه صفات معينة من الفضائل الإنسانية ، وفي مقدمتها « الشجاعة » والكرم ، والعفة ودماثة الخلق ، وفصاحة اللسان .. الخ وكان معن يتمتع بهذه الخصال كطبع فيه ، وكلها ظاهرة على تصرفاته وأعماله . أما الشجاعة فقد عرفناها فيه ركناً من أركان سيرته وأيدها الشعراء في قصائد كثيرة ، سنأتي على ذكرها في فصولٍ قادمة ولم يكن السخاء والبذل والعطاء خصلة طارئة عليه ؛ فهو من بيت عُرف بالكرم والندى والعطاء في الجاهلية والاسلام ، بقدر ما عُرف بالبأس والتضحية ، ولا نقصد هنا في كلمة البذل والسخاء إقراء الضيف ، فهذا شيءٌ مألوف عند العرب ؛ ولا تلك الهبات والمنح التي يقدمها لمادحيه من الشعراء في سبيل شراء الحمد ، وإنما نقصد الجود الذي تسمح به يداه في سبيل إغاثة الملهوف أو إقالة عثرة الكريم ، من أُناسٍ لا يعرفهم ولا يَمّتُ إليهم بسبب ، ويجمع معن إلى صفات الفتوّة هذه ، صفات أُخرى سوّدته في قومه شيبان ، وحببته إلى ذويه وأتباعه وجنده كما حببته إلى سائر معارفه : منها تواضعه للصغير والفقير من الناس ، مع احتفاظه بالكرامة لدى الكبير ، ومنها الفصاحة في الخطاب ، ونفاذ الرأي في الأزمات والعدل بين الأتباع ، إلى غير ذلك ، وهو عفّ اللسان عن أعراض الناس ، وكراماتهم ، طاهر النفس ، زاهد بحقوق الآخرين ، لم تلوّث صحيفته بتهمة نسبت إليه ، وإذا كان لكل إنسان مثالب وهفوات فقد تكون عيوبه ضيئلة أمام محاسنه ، قليلة أمام أمجاده الكثيرة . فقد كان معن مثالياً في فتوته ، حريصاً كل الحرص على هذه المثالية ، بتجنبه كل ما يشينه في مجتمعه .

عقيدة معن

يتهم معن بن زائدة بضعف عقيدته وهذا يدعونا إلى معرفة سبب هذا الضعف ومعرفة المجتمع الذي عاش فيه ، فقد كان العباسيون أول من اعتنق النظرية الفارسية ، القائلة بأن الخليفة ظل اللّه في الأرض ، ويسميها بعض الدّارسين « نظرية الحق الالهي المقدس » فكل من لم يطع أمر الخليفة ويخلص بولائه لعرشه . فهو مطعون العقيدة ضعيف الايمان ، وربما أُتهم بالزندقة ، وكان أكثر من يتمسك بهذا القول هم الشعوبيين من الفرس ، الذين كانوا يتذرعون به لاتهام كل من يتمسك بقوميته العربية ولا يظهر عداءه للعهد الأموي السابق البغيض عليهم .

وكان بنو زائدة في طليعة أولئك المتعصبين لقوميتهم وعلى مقدمتهم رئيسهم معن بن زائدة الذي قاتل في صفوف الأمويين وبقي بعد ولائه لبني العباس يحتفظ بذكريات الماضي ، ويكن للأمويين كل حُبٍّ وتقدير ، كما جاء في بعض محاوراته المشهورة مع أبي جعفر المنصور ، حين قال له : « يا معن أي الدولتين أحب إليك ، هذه أم دولة بني أمية ؟ » . فلم يشأ معن أن يجبهه بالحقيقة ، فقال : « ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إليَّ [1] فلم يُعجب المنصور هذا الجواب الجريء ، وكان يتوقع منه أن يقول كغيره « إن في الولاء لكم قربى إلى اللّه » ولكن معناً كان من أولئك العرب الذين إلى خليفتهم كما قال عمر بن عبد العزيز : « لست خيراً منكم ، ولكني أثقلكم حملاً » ... وأنا شخصياً أبعد هذه التهمة عن معن فقد كان متيناً في عقيدته راسخاً في قوميته متعصباً لها أمام النزعات العنصرية فهو ـ

١ ـ زهر الآداب / الحصري القيرواني / ج٢ / ٨٤٢ .
وفي رواية وردت في أنساب الاشراف للبلاذري ج٤ : ١٧٣٠ أن المنصور قال لمعن : إني أُعدّك لأمر جسيم فقال معن : يا أمير المؤمنين إن اللّه قد أعد لك مني قلباً معقوداً بنصيحتك ، ويداً مبسوطة بطاعتك وسيفاً مشحوذاً على أعدائك .

كما رأينا ــ عربي في الصميم ، ومن أرومة شامخة بأمجادها ؛ وأعرابي في مظهره ومخبره ، أدرك الدولة الأموية المتطرفة بعروبتها ،وعاصر فترة الانقلاب العباسي، وفهم أهداف الصراع بين القوميتين العربية والفارسية ، وشاهد فكرة « الشعوبية » تتمخض بما انطوت عليه من معانٍ سياسية وقومية تهدف إلى الثلم من كرامة العرب وبالتالي الحط من سيادة القومية العربية ، وإبادتها إذا أمكن، فكان طبيعياً أن يقف أمام هذا التيار مع من وقف من سادة العرب « والشعوبية » كلمة تطلق على كل أجنبي يكره العرب وينكر عليهم أمجادهم . ويُفضّل غيرهم عليهم بدافع من الحقد والبغضاء ولهذه الكلمة تاريخ طويل يتلخص : بأن العرب في العهد الأموي كانوا شديدي التعصب لعنصرهم ، يفضلونه على العناصر الأخرى التي خضعت لفتوحاتهم ، واهتدت بدينهم الاسلامي وراحوا يعاملون غير العرب من رعاياهم معاملة الأعلى للأدنى ، في كل شيء حتى في مناصب الدولة ، فلم يقبلوا غير العرب لإشغالها فكان من جراء ذلك أن ظهرت طبقة من المفكرين الموالي ، تدعو إلى التساوي بين العرب وغيرهم اتباعاً لسنن الدين الاسلامي ، وأنه « لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى » و« إنما المؤمنون إخوة » ثم تطورّ الأمر إلى أن غالى بعضهم فقال : إن العرب أدنى من غيرهم ؛ وفضلوا العناصر الأخرى على العنصر العربي بدافع الحقد والانتقام ولكن أصحاب هذا الرأي لم يجاهروا به في العهد الأموي خوف العقوبة والبطش ، وصادف أن لاقت فكرة « الشعوبية » هذه هوىً في نفوس تلك العناصر الفارسية ، الطامحة إلى التخلص من حكم العرب ، فتبنتها وغذتها ، وجعلتها آلة للإضعاف من مكانة السيادة العربية ، ولإخماد جذوة العصبية القومية عند العرب ؛ وهكذا أصبحت كلمة الشعوبية مرادفة لمعنى التعصب الفارسي ضد الحكم الأموي . وجاء دور العباسيين في دعوتهم ، فاستغلوها أيضاً لتقوية حركتهم وإضعاف خصومهم الأمويين ، ومسايرة العناصر الفارسية التي كانت تعمل معهم ؛ فقويت الشعوبية وترّسخت في أذهان الحاقدين والطامعين . فلما قامت الدولة العباسية ، واشتركت

العناصر غير العربية بالحكم فيها ، وتساوى العرب وغير العرب في المناصب والتعامل بقيت فكرة الشعوبية تزداد عنفاً وقوة ضد العنصر العربي ؛ بمساعدة المتنفذين من زعماء الفرس في بلاط الدولة الجديدة حتى أخذت شكلاً علنياً واضحاً ، فنظموا الأشعار في ذم العرب وتفضيل العنصر الفارسي ؛ وألفوا الكتب في مثالب العرب ، وجمعوا ما قاله شعراء القبائل من هجاء بعضهم في بعض ، فلم يسلم من ذلك الهجاء حتى قبيلة « قريش » ؛ واتخذوا ذلك مستنداً لهم للطعن بالعنصر العربي ، ولإظهار محاسن الفرس وتفوق قوميتهم[1] وهكذا تطوّر دور الشعوبية من آلة لإحداث التساوي بين العرب والشعوب الأخرى ، إلى معول لتقويض العرش الأموي المتعصب للعرب ثم انتقل بعد ذلك إلى صراع مقيت ضد القومية العربية ، وأخيراً اتخذت الشعوبية وسيلة من وسائل تقوية النفوذ الفارسي ، للسيطرة على مرافق الدولة ، والقضاء على الشوكة العربية فيها وكان مما سنتحدث عنه من مناورات وتكتلات عسكرية مريبة ، تستهدف إعادة أمجاد الأكاسرة ، التغلب على الحكم العربي . فكان لمعن بن زائدة أمام هذه المحاولات دورمشرّف في سبيل الدفاع عن قوميته والحفاظ على سيادتها .

---

١ ـ نوادر المخطوطات / تحقيق عبد السلام هارون ، دار الجيل ، بيروت ط١/ ١٩٩١ .ج٢/٣٠٥ .

أبناء معن وأحفاده والمنتسبون إليه

يمكن القول بأن التاريخ بوجه عام ، لم ينصف معن بن زائدة ، كما يجب ؛ فقد اهمل الكثير من جوانب سيرته . واقتضب المهم من أخباره فلولا الأحداث الضخمة التي ساهم بها وانتصر في معاركها ، وخلّد بعضها الشعراء بإنتاجهم الأدبي ؛ ولولا القصائد الغر التي قيلت في مدحه ووصف سجاياه ، وفي رثائه وتأبينه ، مع نبذ متفرقة هنا وهناك في كتب الأدب من طرائف حدثت له في حياته ، لما كان سهلاً ربط الحوادث بعضها بالبعض الآخر ، والتوصل إلى إعطاء خطوط رئيسة لحقيقة دوره على مسرح الحياة الكبير .

وكان من بين ما ضاع من سيرته الخاصة ، جانب الأسـرة ، فلا ندري كيف مرَّ في مرحلة شبابه حين شبوب عاطفته ، وإلى أي حدّ كان للمرأة من الأثر في نفسه ، ومن تعشّق منهن فهو شديد الميل إلى النساء شأن الكثير من جبابرة الرجال ، وفرسان الحرب الذين وهبوا بسـطة في الجسم ، ومتانة البدن .. وكان له عدة أولاد من البنين ، وربما كان له عدد آخر من البنات ؛ مما يجعلنا نميل إلى أنه تزوج غير واحدة من مهائر النساء كما تسرى عدداً من الجواري اللواتي وقعن في سبيه ، أثناء حروبه وغزواته ، ولمعن من الأبناء عبدالله والفضل وزائدة وشراحيل وجساس وله عدد من البنات تزوج إحداهن يزيد بن مزيد الشيباني ابن اخ معن فقال الشاعر « علي بن الخليل يمدح يزيد بمناسبة مولوده الجديد من إبنة معن :

يزيد يـا بـن الصيـد من وائل	أهـل الرياسـات وأهـل المعـال
يا خـير مـن أنجبـه والـد	ليهنـك الفـارس ليـث النـزال
عليه مـن معـن ومـن وائـل	سـيما تباشـير وسـيما جـلال

فأعطاه يزيد عن كل بيت ألف دينار[1] ، ولو أمعنا النظر قليلاً في هذه الرواية ، لوجدنا اهتمام الشاعر بقدوم هذا المولود ، وإعطاء يزيد له هذا المبلغ الكبير من المال ، دليلاً يقربنا من الاعتقاد بأن الولد كان البكر من أبناء يزيد ، ثم أن قوله : عليه من معن ومن وائل « يشير إلى أن أم الطفل هي إحدى بنات معن بن زائدة ، ولو لم تكن كذلك لما اختار اسم معن دون غيره من آباء يزيد المشهورين . وكلمة « من معن ومن وائل » تفيد هنا جانبي الطفل من أخواله وأعمامه . ويقرّب هذا الرأي إلى الواقع ، كثرة تزوج العرب ببنات الأعمام ، كما أن صلة يزيد بعمه معروفة ، وربما كان هذا الولد البكر هو « أسد بن يزيد » أكبر إخوته .

ويغلب على الظن أن معن بن زائدة لم يترك لوارثيه ثراء من المال على الرغم من المكاسب التي مرّت بين يديه طوال حياته ، فقد كان زعيماً بمعنى الكلمة ، والزعامة وجمع المال قلما اجتمعا ؛ وكان كريماً من هواة المجد وبناة التاريخ ، وطلاب الحمد بالثمن الرفيع ، ومن عادة هؤلاء إحتقار المادة ، والترفع عن اكتناز الذهب والفضة ، فيستوي عندهم الفقر والغنى من حطام الدنيـا ، كما يستوي الموت والحياة في سبيل الكرامة وأداء الرسالة . وقد رأيناه مراراً وتكراراً يعود من غزوه وجهاده ، ورايات النصر تخفق على جحافله ، فيكون نصيبه وافراً من الغنائم والمكاسب ؛ ويفتح له صاحب الدولة بيوت أمواله ، ويغمره ببذله وعطائه ، فيقال : أقبلت الدنيا عليه ، ولكنه لا يكاد ينفض عن ثيابه وعثاء الحرب ، حتى يتكدس على أبوابه الشعراء المادحون ، والضعفاء الكادحون ، والمعوزون من الناس ، فيغدق عليهم مما اجتمع في خزائنه ، ويوزع عليهم الهبات والصدقات والمساعدات بغير حساب ؛ فينفذ ما له ، ولا يجد بعـد ذلك ما يسـد به نفقاتـه الخاصة . وقد جـاء في الأمثال قولهـم : « الجود يفقر والإقدام قتال » .

---

١ ـ الأغاني / الاصفهاني . أبو الفـرج علي بن الحسـين (ت ٣٥٦هـ) تحقيق الاستاذ عبد . علي مهنا والاستاذ سمير جابر ، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ ١٩٩٢ ج١٤/١٧٩ .

شراحيل بن معن بن زائدة

كان شراحيل بن معن بن زائدة من المقرّبين إلى الخليفة هارون الرشيد وذلك أن الرشيد حج في إحدى السنين ومعه القاضي أبو يوسف فعرض أعرابي للرشيد وكان من بني أسد وأنشده قصيدة مدحه فيها وأفرط في مدحه .

فقال له الخليفة هارون : ألم أنهك عن مثل هذا في مدحك يا أخا بني أسد ؟ إذا قلت فينا فقل كقول القائل في أب هذا[1] ويقصد شراحيل بن معن بن زائدة .

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ ، لها في غيل خفان أشبل

وقد أورد ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان رواية يقول فيها : حكى ابن المعتز عن شراحيل بن معن بن زائدة أنه قال : عرضتُ في طريق مكة ليحيى بن خالد البرمكي وهو في قبة وعديله القاضي أبو يوسف الحنفي وهما يريدان الحج ، قال شراحيل : فإني لأسير تحت القبة إذ عرض له رجلٌ من بني أسد في إشارة حسنة فأنشده شعراً ، فقال له يحيى بن خالد في بيتٍ منها : ألم أنهك عن مثل هذا البيت أيها الرجل ؟ ثم قال : يا أخا بني أسد ، إذا قلت الشعر فقل كقول الذي يقول ، وأنشده الأبيات اللامية التي ستمر فينا فيما بعد ، فقال له القاضي أبو يوسف وقد أعجبته الأبيات جداً ، من قائل هذه الأبيات يا أبا الفضل ؟ فقال يحيى : قالها مروان بن أبي حفصة يمدح بها أبا هذا الفتى الذي تحت القبة ، قال شراحيل : فرمقني أبو يوسف بعينيه وأنا راكب على فرس لي عتيق وقال لي : من أنت يا فتى حيّاك الله تعالى وقرّبك . قلت : أنا شراحيل بن معن بن زائدة الشيباني ، قال شراحيل : فوالله ما أتت عليّ ساعة قط ، كانت أقرّ لعيني من تلك الساعة ارتياحاً وسروراً . ويحكى أن ولداً لمروان بن أبي حفصة دخل على شراحيل فأنشده :

---

١ ـ العقد الفريد / ابن عبدربه ج١ / ٣٠٨ .

أيا شـراحيل من معـن بـن زائـدة   يا أكرم الناس من عجم ومن عرب
أعطـى أبـوك أبـي مالاً فعاش بـه   فأعطني مثـل ما أعطى أبـوك أبي
ما حلَّ قـط أبي أرضـاً أبوك بهـا   إلا وأعطـاه قنطـاراً من الذهـب

فأعطاه شراحيل قنطاراً من الذهب (1) .

وقال قُدامة بن جعفر : أومأ ابو السمط مروان بن أبي حفصة في مدح شراحيل ابن معن بن زائدة إيماءً موجزاً طريفاً فقال :

رأيتُ ابن معن أنطـق الناسُ جُودُهُ   فكلّف قولَ الشِّعر من كان مُفحما
وأرخص بالعدل السلاح بأرضنـا   فما يبلُغُ السَّيفُ المهَّند درهما(2)

---

1 ـ وفيات الأعيان لابن خلكان : ج٥/١٩١ .

2 ـ شعـر مروان بـن أبـي حفصـة / الدكتـور حسـين عطوان ، ط ٣ ، دار المعـارف القاهـرة (د.ت) ص ١٠١ .

زائدة بن معن بن زائدة

وقد نال زائدة بعض الشهرة من بين أبناء معن ، ويكنى أبا العباس وفيه قال الشاعر مروان بن أبي حفصة قصيدته الكافية وتقع في خمسة وأربعين بيتاً : ــ

لام فـي أمُّ مالـكٍ عاذلاكـا	ولعمـر الإلـه ما أنصفاكـا
وكـلا عاذليـك أصبـح ممَّـا	بك خلـوا هـواهُ غير هواكـا
عذلاً في الهـوى ولـو جرَّبـاهُ	أسـعدا إذ بكيـت أو عذراكـا
كلما قلت : بعـض ذا اللّوم قالا	إن جهلاً بعـد المشـيب صبـاكا
بثَّ في الـرأس حرثـه الشيب لّما	حـان إبَّـان حرثـه فعلاكـا
فأسـلُ عن أم مالـكٍ وانه قلبـاً	طالمـا فـي طلابـه عنَّاكـا
أصبح الدهـر بعـد عشر وعشـر	وثلاثـين حجَّـة قد رماكـا
ما ترى البـرق نحـو قُـرَّان إلاَّ	هاجَ شـوقاً عليـك فاستبكاكا
قد نأتـك التـي هويـت وشـطَّت	بعـد قربٍ نواهـم من نواكـا
وغـدت فيهـم أوانس بيـضٌ	كعواطي الظِّباء تعطـو الأراكا[1]
كنـت ترعـى عهودهـنَّ وتعصي	فـي هواهُـنَّ كُـلَّ لاح لحاكـا
إذ تلاقـي مـن الصبابـة برحـاً	وتجيـب الهـوى إذا مـا دعاكـا
عدّ عن ذكرهـن واذكر همامـاً	بقُـوى حبلـه عقـدت قواكـا
أين لا أين مثـل زائـدة الخيـر	ات إلا أبـوه لا أيـن ذاكـا
بابـن معـن يُـفكُّ كـلُّ أسير	مُسلم لا يبيتُ يرجـو الفكاكـا
وبه يقعـص الرئيس لـدى المـو	ت إذا اصطكت العوالي اصطكاكا
مطريٌّ أغـرُّ تلقـاه بالعـر	ف قـؤولاً وللخنـا ترَّاكـا

---

١ ــ شعر مروان بن أبي حفصة / الدكتور حسين عطوان ص ٧٣ .

من يرم جاره يكن مثل ما را م بكفيه أن ينال السماكا
لم تزل عند موطن يا ابن معن عن مقام تقومه قدماكا
إنَّ معناً يحمي الثغور ويعطي ما له في العلا وأنت كذاكا
لا يضر امرأً إذا نال وداً منك إلا أن يناله من سواكا
ما عدا المجتدي أباك وما من راغب ينتدبه إلا اجتداكا
ودَّ كلُّ امرئٍ من الناس لو كا ن أبوه لدى الفخار أباكا
قد وفى البأس والنَّدى لك بالعهـ د كما قد وفيت إذ حالفاكا
وأجاباك إذ دعوت بلبيـ ك كما قد أجبت إذ دعواكا
فهما دون من له تخلص الوُ دَّ وترعى إخاءه أخواكا
لست ما عشتَ والوفاء سناءُ لهما مُخفراً ولن يخفراكا
رفعتْ في ذُرا المعالي قديماً فوق أيدي الملوك يداكا
وسما الفرعُ منك في خير أصلٍ من نزارٍ فطاب منه ثراكا
فبمعن تسمو وزائدة الخيـ ر وعبدالإله كُلٌّ نماكا
زينُ ما قدموا ولم تلف صعباً في سلاليم مجدهم مرتقاكا
أعصمت منكم نزارٌ بحبلٍ لم يريدوا بغيره استمساكا
ورأبتم صدوعها بحلومٍ راجحاتٍ دفعن عنها الهلاكا
فأشارت معاً إليكم وقالت : إنما يرأبُ الصُّدوع أولاكا
يئس النّاسُ أن ينالوا قديماً في المعالي لسعيكم إدراكا
إنَّ معناً كما كساه أبوه عزَّة السّابق الجواد كساكا
كم به عارفاً يخالك إيّا ه وطوراً يخاله إيّاكا
بك من فضل بأسه يعرف البأ س كما من نداه نداكا[1]

---

١ ـ شعر مروان بن أبي حفصة : الدكتور حسين عطوان ٧٤ / ٧٥ .

كـــل ما قـــد رآه يعـرفُ منْـهُ	نسـم الخير فيـــك حين يراكـــا
ســبق الناس إذ جـرى وصَلَّيــ	ــت كمـا من أبيــه جـاء كذاكـا
دانيـــاً مــن مــدى أبيــه مــداه	مثـل ما من مــداه أمســى مداكا
ماجدا النيل نيــل مصـر إذا مــا	طـــمَّ آذيُّــه كبعـض جداكـــا
زاد نُعمـى أبــي الوليـد تمامـاً	فضلُ ما كـان من جدى نعماكـا
سخطك الحتف حين تسخط والغنـ	ـم إذا ما رضيت يومـاً رضاكـا
كُلٌّ ذي طاعةٍ من النّاس يرجـــو	ك كـما كُـلُّ مُجـرمٍ يخشـــاكا

واياه عنى بالبيتين الآتيــين من قصيدته التي رثى بهــا معناً وقد كنى زائدة بأبي العباس [1] .

تعز أبا العبــاس صـبراً فإن يكــن	نصيبك من معن بـأن تتضعضــعا
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذي	له مثل ما سـدّى أبوك وما سـعى

وقال سلمة بن صالح اليشكري [2] في زائدة بن معن بن زائدة .

إني مع التســليم جئــت لحاجــة	فما أنت فيها يا فتى الناس صانــع
فإن تقضهــا فالحمــد لله وحــده	وإن تأبها فالعذر عندي واســـع
وعندي لما استودعتني منك موضـع	ومثلي لا تتوى لديــه الصنائع[3]

---

١ ـ طبقات الشعراء / ابن المعتز ، عبدالله بن المعتز المتوكـل (ت٢٩٦هـ) تحقيق عبد الســتار فراج دار المعارف بمصر/ ط٤/ ، ص ٤٣١ .

٢ ـ لم أعثر له على ترجمة .

٣ ـ ربيع الابرار / الامام محمد بن عمر الزمخشري ، تحقيق الدكتور سليم النعيمي ج٢/٦٥٦ .

الفضل بن معن بن زائدة وأبو العتاهية

وهو أحد أبناء معن بن زائدة المشهورين بالكرم والسخاء وهذا كتاب من الشاعر أبي العتاهية وجهّه إلى الفضل بن معن يتوسل فيه ويسأل الفضل بأن يمن عليه ويساعده فيقول أبو العتاهية في كتابه .

« أما بعد : فإني توسلت إليك في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد فراراً من الفقر، ورجاءً للغنى ، فازددت بهما بُعداً مما فيه تقرَّبت ، وقرباً مما فيه تبعَّدت ، وقد قسمتُ اللائمة بيني وبينك لأني أخطأت في سؤالك وأخطأت في منعي ، أُمرت باليأس من أهل البخل فسألتهم ، ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعتهم ، وفي ذلك أقول [1] .

فررت من الفقر الذي هو مدركي ... إلى بُخلِ محظور النّوال منوع
فأعقبني الحرمان غبَّ مطامعي ... كذلك من يلقاه غير قنوع
وغيرُ بديعٍ منع ذي البخل ماله ... كما بذلُ أهل الفضل غيرُ بديع
إذا أنت كشفت الرجال وجدتهم ... لأعراضهم من حافظٍ ومذيع

---

١ - جمهرة رسائل العرب / أحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية ، بيروت (د.ت) ج٣/٤٢٨ .
وانظر العقد الفريد لابن عبد ربه ج٤/٢٢٣ .

الشاعر أبو العتاهية
وأبنـــاء معـــن بـــن زائـــدة

يا خليلـــيَّ مـــن بنـــي شــــيبان	أنا لا شــــك ميّــتٌ فابكيانـــي
إنّ روحي لم يبق منهـا ســـوى	شيءٍ يســير مُعـلّـقٍ بلسـاني

هذا الشعر لأبي العتاهية يخاطب به عبدالله وزائدة ابني معن بن زائدة وكان صديقاً وخاصّاً بهما ، ثم أن يزيد بن معن غضب لمولاةٍ لهم يقال لها سُعدى ، وكان أبو العتاهية يُشبِّب بها فضربه مائة سوط ، فهجاه وهجا إخوته ثم أصلح بينهم مندل بن علي العنزيُّ وهو مولى أبي العتاهية ، فعاد إلى ما كان عليه لهم ، وسبب الخلاف بينهم أن أبا العتاهية كان في حداثته يهوى امرأةً من أهل الحيرة نائحةً لها حسنٌ وجمال ودماثة ، وكان ممن يهواها أيضاً عبدالله بن معن بن زائدة ، وكانت مولاةٌ لهم يقال لها سعدى ، وكان أبو العتاهية مغرماً بالنساء فقال فيها [1] :

ألا يا ذوات ... في الغرب والشرق	أفقـــن فـإنّ ... أشـــهى مـن ...
أفقن فإن الخبــز بالأدم يشـــتهى	وليس يسوغ الخبزُ بالخبز في الحلق
أراكن ترقعـــن الخـروق بمثلهـا	وأيُّ لبيب يرقـع الخـرق بالخـرق
وهل يصلح المهراس إلاّ بعـــوده	إذا احتيـــج ذات يـوم إلى الـدّقّ

وقال فيها أيضاً :

قلت للقلب إذا طوى وصل سعدى	لهــــواء البعيــدة الأنســـاب
أنت مثل الذي يفـرّ مـن القطـر	حـــــذار النّـدى إلى الميـزاب

---

١ ـ الاغاني / لأبي الفرج الاصفهاني : ج٤/٢٧ .

فغضب عبدالله بن معن لسعدى فضرب أبا العتاهية مائة سوط وقال أبو العتاهية يهجوه [1] .

جلدتنـــــي بكفّهـــا بنـت معـــن بـن زائـــدهْ

جلدتنـــــي فأوجعـــت بأبـــي تلـــك جالـــدهْ

وتراهـــا مـــــع ..... علـــى البـــاب قاعـــدهْ

تتكنـــى كُنـــى الرجـــا ل بعمـــدِ مكايـــدهْ

جلدتنـــــي وبالغـــت مائـــة غيـــر واحـــدهْ

إجلدينـــي واجلـــدي إنّمـــا أنـــت والـــدهْ

وبعد هذا الهجاء تهدد عبدالله بن معن أبا العتاهية وخوّفه ، ونهاه أن يعرض لمولاته سُعدى فقال أبو العتاهية قوله :

ألا قـــل لابـــن معـــن ذا الـــ ـــذي فـي الـوُدّ قـد حـالا

لقـــد بُلِّغـــت مـــا قـــال فمـــا باليـــتُ مـــا قـــالا

ولـــو كـــان مـــن الأســـد لمـــا صـــال ولا هـــالا

فصُـــغْ مـــا كنـــت حلَّيـــتَ بـــه سيـــفك خلخـــالا

ومـــا تصنـــع بالســـيف إذا لـــم تـــكُ قتـــالا

ولـــو مَـــدّ إلـــى أذنيـــ ـــه كَفَّيـــه لمـــا نـــالا

قصـــير الطّـــول والطيلـــ ـــةَ لا شـــبّ ولا طـــالا

أرى قومـــك أبطـــالاً وقـــد أصبحـــت بطّـــالا

فقال عبدالله بن معن : ما لبست السيف قط فلمحني إنسان إلاّ قلت : إنه يحفظ شعر أبي العتاهية فيَّ فينظر إليّ بسببه . فقال ابن الأعرابي : اعجبوا لعبدٍ يهجو مولاه ، وكان ابن الاعرابي مولى بني شيبان [2] .

١ ـ الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ج٤/٢٨ .

٢ ـ المصدر نفسه / ج ٤ / ٣٠ .

وقال أبو العتاهية يهجو عبدالله بن معن بن زائدة لأن عبدالله احتال عليه وأخذه إلى مكانٍ وضربه مائة سوط ضرباً ليس مبرحاً غيظاً عليه . فقال أبو العتاهية :

يا صاحبـي رحلـي لا تكثـرا — في شـتم عبدالله من عـذل
سبحان من خصَّ ابن معـن بما — أرى بـه مـن قلَّـة العقـل
قال ابـن معـن وجـلا نفسـه — على مـن الجلـوةُ يا أهلـي
أنا فتـاةُ الحـي مـن وائـل — في الشَّـرق الشّـامخ والنُّبـل
ما في بني شـيبان أهـل الحجـا — جاريـةٌ واحـدةٌ مثلـي
ويلي ويا لهفـي علـى أمـردٍ — يُلصـق منّـي القُـرط بالحجل
صافحتـه يومـاً علـى خلـوةٍ — فقال دع كفـي وخُـذ رجلـيَ
أختُ بنـي شـيبان مـرَّت بنـا — ممشـوطةً كـوراً علـى بغـل
تكنـى أبـا الفضـل ويا مـن رأى — جاريـةً تُكنـى أبـا الفضـل
قد نقَّطـت فـي وجههـا نقطـةً — مخافـة العيـن مـن الكحـل
إن زرتموهـا قـال حُجَّـابُها — نحـن عـن الـزُّوار فـي شُـغل
مولاتُنـا مشـغولةٌ عندهـا — بعـل ولا إذن علـى البعـل
يا بنت معـن الخيـر لا تجهلـي — وأيـن إقصـارٌ عـن الجهـل
أتجلـدُ النـاس وأنـت امرؤٌ — تجلـد فـي ...... وفـي القُبَـل
ما ينبغـي للنـاس أن ينسـبوا — من كان ذا جـودٍ إلـى البخـل
يبذُلُ مـا يمنـع أهـلُ النـدى — هـذا لعمـري منتهـى البـذل
ما قلـت هـذا فيـك إلا وقـد — جفّـت به الأقـلام من قبلـي

فبعث إليه عبدالله بن معن ، فأُتي به ، ثم أجلسه وقال له : قد جزيتك على قولك فيّ بالإحسان ، فهل لك في الصُّلح ومعه مركبٌ وعشرة آلاف درهم أو تقيم على الحرب ؟ قال بل الصلح قال : فاسمعني ما تقوله في الصلح فقال [1] .

---

١ ـ الأغاني / لأبي الفرج الاصفهاني ج٤/٢٥ ، ٢٦ .

مـــا لعُــذّالي ومالـــــي أمرونـــــــي بالضَّـــــلال

عذلونـي فـــي اغتفــاري لابـن معــــن واحتمالـــي

إن يكــن مــا كــان منـــه فبجرُمــــي وفعالـــــي

أنــــا منـــه كنــت أســوأ عشـرةً فــي كــلّ حــال

قــل لمـن يعـجب من حسـن رجوعـــي ومقالـــــي

رُبَّ وُدٍّ بعـــد صـــدٍّ وهـــوى بعـــد تقالـــي

قــد رأينـــا كثيـــراً جاريـــاً بـين الرِّجـــال

إنمــا كانـــت يمينـــي لطمــت منّــي شـــمالي(١)

وجاء هذا الصلح بعد هجاء أبو العتاهية ليزيد بن معن لأنه غضب لهجاء أبو العتاهية لأخيه وتوّعد أبا العتاهية فقال فيه أبو العتاهية القصيدة التالية :

بَنى معــن ويهدمـــه يزيــد كـذاك اللــه يفعــل ما يريــد

فمعــنٌ كــان للحســاد غمّــاً وهــذا قـد يُسـرّ به الحســود

يزيدُ يزيـــدُ فـي منـعٍ وبخـلٍ وينقـص في العطاء ولا يزيــد(٢)

وبعد أن كثر هجاء أبو العتاهية لأبناء معن بن زائدة ولم يرتدع لما فعلوه فيه من جلدٍ وضرب ... حتى مضوا إلى مندل وحيّان ابني علي العنزيين الفقيهين ـ وهما من بني عمرو بن عامر بطن من يقدم بن عنزة ، وكانا من سادات أهل الكوفة ـ فقالوا لهما : نحن بيتٌ واحد وأهلٌ ، ولا فرق بيننا ، وقد أتانا من مولاكم هذا ما لو أتانا من بعيد الولاء لوجب أن تردعاه فأحضرا أبا العتاهية ، ولم يكن يمكنه الخلاف عليهما ، فأصلحا بينه وبين عبدالله ويزيد ابني معن ، وضمنا عنه خلوص النيّة ، وعنهما ألا يتبعاه بسوء ، وكانا ممّن لا يمكن خلافهما ، فرجعت الحال إلى المودّة والصفّاء .

---

١ ـ الأغاني : للأصفهاني : ج٤/٢٦ .

٢ ـ المصدر نفسه : ج٤/٢٩ .

أبو العتاهية وزائدة بن معن

كان أبو العباس زائدة بن معن صديقاً لأبي العتاهية على عكس أخويه عبدالله ويزيد ، فلم يُعن أخويه عليه فمات زائدة بن معن فرثاه أبو العتاهية بهذه القصيدة [1] .

حزنت لموت زائدة بن معن   حقيقٌ أن يطول عليه حزني
فتى الفتيان زائدة المصفَّى   أبو العباس كان أخي وخدْني
فتى قومي وأيُّ فتىً تـوارت   به الأكفان تحت ثرى ولبن
ألا يا قبر زائدة بن معن   دعوتك كي تُجيب فلم تُجبني
سل الأيَّام عن أركان قومي   أصبن بهنَّ رُكناً بعد رُكن

وهذا مروان بن أبي حفصة يمدح زائدة بن معن بهذه القصيدة فقال [2] :

جرى للمجد زائدة بن معن   فبَّرز غير مضطرب العنان
إذا شهد الرهان بنو شريك   حوت أيديهم قصب الرّهان
فتىً بلغت يداه من المعالي   مبالغ ما دنت منها يدان
وليس بمدرك أُخر الليالي   نزاريٌّ نداه ولا يمان

وقال مروان بن أبي حفصة يمدح زائدة بن معن[3] .

رأيت ابن معن انطق الناس جوده   فكلَّف قول الشعر من كان مفحماً
وأرخص بالعدل السلاح بأرضنا   فما يبلغ السيف المهند درهماً

---

١ ـ الأغاني / لأبي الفرج الأصفهاني ج٤ / ٢٩ ، ٣٠ .

٢ ـ الحماسة المغربية ، القادلي ، أبي العباس احمد بن عبد السلام الجراوي حققه الدكتور محمد رضوان الدّاية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت (د.ت) ج /ج١/ ٢٢٨ ، ٢٢٩ .

٣ ـ شعر مروان بن أبي حفصة / الدكتور حسين عطوان : ١٠١ .

معن بن زائدة ويزيد بن مزيد

ذكرنا سابقاً أبناء معن بن زائدة ولكن أبناء معن لم يبلغوا ما بلغه ابن عمهم يزيد ابن مزيد الشيباني من ذيوع الصيت .

روى ابن خلكان في كتابه وفيات الأعيان[1] قال : « كان معن بن زائدة معجبٌ بابن أخيه يزيد ، ويحبه أكثر من أولاده ، ويفضله عليهم ، فبلغ من اهتمامه به حداً ظاهراً ، أثار غيرة زوجته ، فقالت له يوماً : إنك تقدَّم ابن أخيك يزيد ، وتؤخر بنيك ، ولو قدَّمتهم لتقدموا ، ولو رفعتهم لارتفعوا . قال معن : إن يزيد قريب مني لم تبعُد رحمُه ، وله حق الولد إذا كنت عمّه ؛ وبعد فإن بنيَّ الوط بقلبي ، وأدنى من نفسي ، ولكني لا أجد عندهم ما أجد عنده ؛ ولو كان ما يضطلع به يزيد في شخصٍ بعيد لصار قريباً ، أوفي عدوٍ لصار حبيباً ؛ وسأريك في هذه الليلة ما تبسطين به عذري ... ثم نادى غلامه ، وقال له : اذهب وادع أولادي زائدة ، وعبدالله ، وشراحيل ، وجساس .. حتى ذكر أسماءهم جميعاً ، فلم يلبثوا أن جاؤوا كلهم بالغلائل المطيبة ، والنعال السندسية ، فسلموا وجلسوا ، وذلك في هدأة من الليل ثم قال معن للغلام : أدع لي يزيداً وقد أسبل ستراً بينه وبين المرأة فلم يلبث أن جاء يزيد عجلاً ، وعليه لامة الحرب ، فوضع رمحه بباب المجلس ، ودخل فسلّم ، فقال له معن : ما هذه الهيئة يا يزيد ؟! قال : جاءني رسول الأمير ، في هذه الساعة من الليل ، فسبق وهمي إلى أنه أرادني لأمر خطير ، فلبست سلاحي ، وقلت لنفسي : إنَّ كان الأمر كذلك ، مضيتُ ولم أُعرِّج ؛ وإن كان غير ذلك فنزع هذه الآلة عني أيسر شيءٍ ، فقال معن : انصرفوا جميعاً في حفظ الله .. فلما خرجوا ، قالت زوجته : قد تبين لي عذرك . فقال معن مستشهداً[2] .

---

١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥/٣٧٥ .

٢ ـ الأبيات للنابغة الذبياني ، استشهد بها معن في هذه المناسبة وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٦/٣٣٣.

نفس عصام سـوّدت عصاما
وعلمتـه الكـرّ والإقـداما
وصيّرتـــه ملكـاً هُمامـا

ويبدو أن معناً كان يأخـذ معه أفراد عائلتـه وبعض عشيرته أينما ذهب وهكذا وجد ذكر لابن أخيه يزيد في بعض وقائعه وهذا ما أكسبه دربة ودراية في الحرب حتى أصبح فيما بعد من الفرسان الشجعان كعمه معن ، وأصبح اسمه مقترناً باسم عمه لهذا وجدنا ابن الأثير يقول أنه كلما ذكر اسم يزيد قال « ابن أخي معن »[1] وقد أصبح يزيد بن مزيد المكنى بأبي خالد وأبي الزبير من الأمراء البارزين في زمن الخليفة الرشيد وأُسندت إليه مهمة القضاء على حركة الوليد بن طريف الشاري الشيباني الذي خرج بالجزيرة الفراتية ، وتمَّ له ذلك سنة ١٧٨هـ وقد تولى أرمينية ثم اضيفت إليه أذربيجان سنة ١٨٣هـ [2] .

وقد خلَّف يزيد بن مزيد ، قائداً آخر مشهوراً هو ابنه خالد (ت ٢٣٠هـ) الذي رثاه أبو تمام بقصيدته التي أولها [3] .

أأللّـــه أتـى خالـد بعـد خالـد　　　وناس سـراج المجـد نجم المحامـد
وقد نزعـت اثفيـةُ العـرب التـي　　　بها صُدعت ما بين تلـك الجلامـد

وفيها يقول :

لتبك القوافي شجوها بعد خالـد　　　بكاء مضـلات السـماح نواشـد

وتقع القصيدة في تسعةٍ وأربعين بيتاً [4] .

---

١ ـ الكامل / لابن الأثير : ج٦ /٤٣ ، ١١٨ ، ١٤١ .
٢ ـ وفيات الأعيان / لابن خلكان ج٦/٣٢٧ .
٣ ـ جمهرة أنساب العرب / لابن حزم ٣٢٦ .
٤ ـ شرح ديوان أبي تمام / ايليا الحاوي : ٦٦٠ .

ومما يذكر عن خالد بن يزيد أن داره بيعت في أيام الخليفة المطيع لله « ٣٣٤ – ٣٦٣هـ) بعد استيلاء البويهيين على مقاليد الأمور وما صاحب ذلك من غلاء وتدهور في الحياة العامة . وكان مقدار ثمنها عشرة آلاف درهم ، وهو ثمن بخس لا يتفق مع شهرة أصحابها لهذا قيل « لو بيع بهذا الثمن مساميرها لكان من الغبن .. » وقد كان في هذه الدار مسجد كبير لصلاة خدم خالد وحشمه وكان في أقسام هذه الدار أزيد من مائة بئر ، لسعتها(٢) .

وقد أصاب آل معن ما أصاب غيرهم من الناس من خمول الذكر والإختفاء من المسرح إلى الظل ، والعيـش في غمار النـاس وقد وردت قصة جـرت للوزير المهلبي « ٢٩١ ـ ٣٥٢هـ) توضح ذلك إذ ورد عنه أنه كان بالأهواز مع بعض أصحابه في شهر رمضان والزمان صائف والحرُّ شديد ، وكان جالساً في خيش بارد فسمع صوت رجل ينادي على حلوى يبيعها اسمها الناطف : فقال الوزير لمن حوله : أتسمعون صوت هذا البائس في مثل هذا الوقت الذي نشعر فيه بالحر رغم جلوسنا في هذا المكان المبرّد بالخيش فيكف به تحت هذه الشمس ثم أمر باحضاره ، فلما حضر رآه شيخاً عليه قميص رث وهو بغير سراويل وفي رجله تاسومة « نعال رديئة الصنع » مخلقة ، وعلى رأسه مئزر ومعه الإناء الذي فيه الناطف وكان لا يساوي أكثر من خمسة دراهم .

فسأله الوزير : ألم يكن لك أيها الشيخ في طرفي النّهار مندوحة عن مثل هذا الوقت فتنفس وقال : ما أهون على الراقد سهر الساهد . وقال :

ما كنت بائع ناطف فيمـا مضـى	لكن قضت لي ذاك أسباب القضا
وإذا المعيـــل تعـذرت طلباتـــه	رام المعاش ولو على جمر الغضـا

---

١ ـ جهرة أنساب العرب : لابن حزم : ٣٢٦ .

فقال له الوزير : أراك متأدباً فمن أين لك ذلك ؟

فقال : إني أيها الوزير من أهل بيت لم يكن فيهم من صناعة ما ترى . وأسرَّ إليه أنه من ولد معن بن زائدة . فأعطاه مائة دينار وخمسة أثواب وجعل ذلك رسماً له في كل سنة (١) .

وانتسب لمعن موالٍ عرفوا في التاريخ وكان لهم ذكر منهم ثعلب النحوي ، وهو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوي الشيباني ، وكان امام النحويين في النحو واللغة (٢) .

ومحمد بن حسان بن فيروز ، وأبو جعفر الأزرق ، مولى معن بن زائدة . سمع سفيان بن عيينه . وابن مهدي ووكيعاً وغيرهم وكان صدوقاً . وتوفي في ذي القعدة سنة (٢٥٧) هـ (٣).

وعلي بن خليل الكوفي وهو رجل من أهل الكوفة ويكنى أبا الحسن . وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه فاتهم بالزندقة ، وأخذ براءته ، فأصبح مقرباً من الخليفة الرشيد (٤) .

وممن عمل مع معن في أثناء ولايته سهم الحنفي ، وكان يلي طبرستان لمعن ويبدو أن ذلك كان في أثناء توليه أذربيجان ، وكان سهم حدث السن يومئذٍ ومع ذلك عرفت له مروءة وقدر في نفسه(٥) وهذا يدل على حسن اختيار معن لمن يستخدمهم .

---

١ ـ معجم الادباء / الحموي ، ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ) دار الكتب العلمية تحقيق الدكتور احسان عباس ، دار الغرب الاسلامي بيروت ١٩٩٣ ، ج٩٨٧/٣ .

٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج١٠٢/١ .

٣ ـ المنتظم في تاريخ الامم والملوك / لابن الجوزي ، الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت٥٩٧هـ)تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١٩٩٢/١ ١٩٨٧ ج١٣٥/١٢/٨ .

٤ ـ الأغاني / لأبي الفرج الاصفهاني : ج١٧٤/١٤ .

٥ ـ الحيوان / للجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٢٥هـ) تحقيق عبد السلام هارون لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ مطبعة الخانجي ١٩٦٨ ج٤ / ٣٧٩ .

معن في خدمة الدولة الأموية

اتصل معن بالبلاط الأموي في الشام ، فأحبه الخليفة « الوليد بن عبدالملك » وأغزاه وولاه ، فأخلص لدولته ، وظل يعمل تحت رايتها في عهود من جاء بعده من الخلفاء ، حتى ذاع صيته بين كبار القادة ، وتضخم عدد جيشه لوفرة من التحق به من فرسان شيبان ، ومن بكر بن وائل وربيعة كلها وعُدَّ سيداً من سادات العرب ، وهو في المرحلة الأولى من كهولته . ولمّا اضطرب كيان الدولـة الأموية على أثر وفاة الخليفـة « هشام بن عبدالملك » عام « ١٢٥هـ » وتعاقب على كرسي الحكم عدد من الخلفاء العاجزين ، في فترة قصيرة ونشبت الفتن والاضطرابات في كل مكان ، وبخاصة في الجانب الشرقي من الدولة ، وفي مقدمتها العراق الذي كان مسرح ثورات الخوارج ، بقي معن على رأس جيشه ، وفياً للدولة التي أخلص لها فأكرمته ، وأحبها لأنها عربية صافية فأعزته ، فراح يصول ويجول هنا وهناك لإخماد الثورات ، ورتق الفتوق ودعم الكيان المضطرب الذي كان قد قارب نهايته .

وحينما تولى « مروان بن محمد الجعدي » كرسي الخلافة ، وقضى على خصومه في بلاد الشام . كان « الضّحاك بن قيس الشيباني » الخارجي قد اكتسح معظم أراضي العراق ومدنه ، واحتل الكوفة نفسها [١] فأرسل مروان « يزيد بن هبيرة الفزاري » والياً على الجانب الشرقي من الدولة ، وجعل على مقدمة جيشه معن بن زائدة ، وكلفهما بتطهير الكوفة من الخوارج ، واسترداد جنوب العراق من أيدي الثائرين ؛ وزحف هو بجيش كبير إلى اقليم الجزيرة الفراتية لقتال « الضّحاك » الذي صعد لملاقاته هناك فكانت النتيجة أن اقتحم معن بن زائدة ومن معه أسوار الكوفة ،

---

١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني / الدكتور عبد الجبار الجومرد : ٦٣ .

وطـرد حامية الخـوارج منها ؛ وانتصـــر مروان على زعيم الخـوارج [1] فقتله وأباد جموعه . وبدَّد شملهم .. وكاد الأمر يستقر لولا أن أخباراً من خراسان وردت ، تشير إلى قيام ثورة لبني العباس بزعامة رجل فارسي يدعى « أبا مسلم الخراساني » كان قد استفاد من تطاحن القوى العربية المتنافسة هناك فقضى عليها واحتل البلاد ، وأرسل جيشاً عظيماً خليطاً من العرب والفرس بقيادة « قحطبة بن شبيب الطائي » للإستيلاء على العراق ، والقضاء على الخلافة الاموية إن أمكن ، فكان لزاماً على عامل العراق يزيد بن هبيرة ، وصاحبه معـن بن زائدة أن يتأهبا لمجابهــة الخطر القادم . والتقى العسكران على شاطئ الفرات قرب « الفلوجة » ودارت رحى حرب ضروس ، استحرّ فيها القتـل ، فما كـــان من معن بن زائدة إلا أن اجتـاز صفوف العدو ، في وسط المعركة ، والتحم مع قائد الجيش الخراساني « قحطبة » في صراع عنيف ، ثم عاجله بضربة سيف قطعت عاتقه [2] فسقط قتيلاً . وكاد ينهزم الجميع ، ولكن الحسن بن قحطبة تدارك الأمر فوراً ، فتسـلَّم القيادة قبل أن يشاع خبر مقتل أبيه ، وأدار دفة المعركة على ابن هبيرة ، حتى اضطره إلى الانسحاب في شبه هزيمة نحو الجنوب الشرقي من موقع القتال .

وكانت غاية ابن هبيرة من إنسحابه ، التحصن في أسوار مدينة « واسط » ريثما تحن الفرصة للخروج ، ومباشرة الحرب من جديد ، ولم يكن هذا رأي جميع القادة الذين معه ، فاقترح بعضهم الالتحاق بجيش مروان ؛ ورأى البعض الآخر الانحدار إلى جنوب العراق وتأليب العرب على القتال وكان رأي معن بن زائدة أخطر هذه الأراء كلها ، وأدل على بُعد الهمة ، حين قال : « أنَّ الحصار تهلكة . وهذه خراسان قريبة ، فلنغذ السير نحوها فنحتلها من جديد ، ونقضي على أبي مسلم الخراساني ومن معه

١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني / د. عبد الجبار الجومرد : ٦٤ .

٢ ـ المصدر نفسه : ٦٤ .

فيها فيبقى جيش ابن قحطبة من غير سند ، ويصبح طعمة لجيوش مروان ، ولكن ابن هبيرة أصرَّ على الحصار ، ودخل واسط متحصناً [1] ، وأقبل الحسن بن قحطبة ، فأناخ بجيشه حول أسوارها ، فانكشف وسط العراق وجنوبه ، أمام كتائب بني العباس الزاحفة ، فاحتلته وكان واضحاً ، أن حركة بني العباس هذه التي اتخذت أرض خراسان مهداً لها ، ليست عربية خالصة ، ولم تستهدف نقل سريرالملك من أسرة عربية إلى أخرى مثلها وحسب ؛ ولكنها تنطوي، في سرِّ مؤيديها من الفرس الطامحين على أخطر من ذلك ، هو إشراك القومية الفارسية ، في حكم دولة المسلمين ، وإضعاف السيادة العربية ، والقضاء عليها في وقت مناسب .. وكان أول من اتضحت له هذه الحقيقة هم القادة في جيش ابن هبيرة ، عند لقائهم بالجيش العباسي ، حيث وجدوا العنصر الفارسي في صفوفه ظاهراً ، يطغى بكثرته الساحقة على العنصر العربي ، فزادهم ذلك إيماناً بقضيتهم ، وإصراراً على الدفاع عن سيادة قوميتهم رغم فوات الوقت .

ومضت الأيام ، ونصر بني العباس يتضخم ويتسع ، فبويع « عبدالله السفاح » في الكوفة كأول خليفة عباسي « ١٣٢هـ » ؛ واصطدمت قواته الكبيرة بجيش مروان ، على نهر الزاب ، فدحرته ، وانهزم مروان حتى قتل في مصر ، فانطوت راية الأمويين في الشرق ، وفتحت البلاد أبوابها للمنتصرين ولكن « واسط » بقيت وحدها ، معتصمة في حصونها كآخر معقل أموي ، تحميه قوة من ثلاثين ألف مقاتل عربي ، على رأسهم نخبة طيبة من القادة الأحرار ، أبوا أن يستسلموا ويعترفوا بالأمر الواقع وطال أمد الحصار أشهراً ، وضاق صبر الخليفة الجديد ، وهو يريد إعطاء النتيجة ، فأرسل أخاه « أبا جعفر المنصور » ليكون عوناً للحسن بن قحطبة وأمده بجيش كبير ،

---

١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني / د. عبد الجبار الجومرد : ٦٤ .

فلم يستطع الفتح ، واستمرت المناوشات الدامية والغارات الخاطفة بين الجانبين خارج الأسوار ، في حرب عصابات كان بطلها المعلم « معن بن زائدة » المعروف بإقدامه وفروسيته ، وعبقريته الحربية ، وإتقانه شنَّ الهجمات المباغتة ، وتضليل العدو في الكر والفر[1] وتقول بعض المصادر : إنه كان يجتاز الخندق في مفرزةٍ من مغاوير فرسانه فيداهم جيش العدو ، ثم يتظاهر بالهزيمة ، فتطاردهُ الخيل لتنال منه فيستدرجها إلىٰ مسالك وعرة ، أو فُسح لا تصلح لقتال ، ثم يكر عليها بشدةٍ وضراوة ، وقد نصب لها الكمائن ، فيبيدها ؛ أو يسوقها إلى ساحل دجلة فيغرقها في الماء ، ولم تكن مدينة واسط مجهولةً لديه وقد سبق أن عاش فيهـا ردحاً من شبابه ، فعرف أراضيها ومسالكها ومهالكها ، وفي رواية : أنه كان يخرج من أسوار المدينة في الليلة الحالكة ، على خيـل دهم لا تراهـا العيون في الظـلام فينقـضّ على معسكر الخصم من عدة جوانب ، فيرتبك العسكر ، وتنتابه الفوضى ويضرب بعضه بالبعض الآخر ؛ ثم يعود معن وقد أشفى غُلّه ، ليتأهب للكر مرة أخرى وباسلوب جديد آخر ، ولم يزلْ هذا دأبه في حرب عصابات خاطفة ، حتى أقضَّ مضاجع خصومه ، وأقسم أبو جعفر المنصور لينتقمن منه أشد الانتقام إن وقع يوماً في قبضته[2] .

من جهة أخرى ، كان بنو العباس على علم بأن ابن هبيرة وصحبه يكاتبون شخصيات عربية مرموقة في أنحاء البلاد ، ويحذرونهم من خطر المصير على السيادة العربية إذا ظهر العنصر الفارسي على مسرح الحكم في الدولة الجديدة ؛ ويستنهضون همة كل منهم ليقوم بحركة معارضة ويعدونه بأن يكون جيش واسط في خدمته ، فلم يجبهم أحد إلى ذلك[3] خوف البطش والتنكيل . وكان ممن عرض عليه الأمـر

---

١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني / د. عبد الجبار الجومرد : ٦٥ .

٢ ـ وفيات الأعيان / لابن خلكان : ج٤ / ٣٣٣ .

٣ ـ يزيد بن مزيد الشيباني / د. عبد الجبار الجومرد : ٦٦ .

« عبدالله بن الحسن العلوي » في الحجاز ؛ غير أنه تأخر في ردّ الجواب ، وقيل أنه أجاب ابن هبيرة برسالة ، يطلب فيها منه بأن يصمد في حصاره ويتريث ولكن الرسالة وقعت في يدّ الخليفة العباسي ، فاحتجزها ودام الحصار ما يقرب من سنة كاملة ، كان الخليفة السفاح فيها يخادع ابن هبيرة ، ويعلله بالأماني كي يفتح أبواب المدينة . فلم يجبه ، منتظرا ما ستسفر عنه محاولاته في استنهاض همم الزعماء ؛ حتى يئس ، ودبّ الضعف في نفوس بعض رجاله ، فأعلن عن رأيه في قبول التسليم بعد أخذ العهود ، فوافقه البعض وخالفه آخرون ؛ وقال معن : « لا قيمة والله للعهد الذي تأخذه من هؤلاء .... والكلمة العليا لهذا الفارسي الكامن في خراسان ـ يعني أبا مسلم الخراساني وأنه لأشوق إلى القضاء على شوكة العرب من الصادي إلى الماء » ولكن ابن هبيرة أصرّ على رأيه ، وكتب لنفسه ولمن معه ميثاقاً غليظاً فوقّعه الخليفة السّفاح ، وانتهى أمر الحصـار ... وعلم أبو مسـلم الخراساني بما حدث ، فكتب إلى السفاح يقول : « إن الطريق سهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد . لا والله ، لا يصلح ملك فيه أمثال ابن هبيرة »[1] وألح عليه بقتله ومن معه فأرسل السفاح إلى أخيه أبي جعفر يأمره بقتلهم ، فامتنع وقال : « أعطيناهم العهد ولا سبيل إلى نقضه » ؛ فألح وأقسم عليه ، وهدده بأن يُرسل إليهم من يقتلهم في بيته . فأرسل جماعة من الفرس والموالي ، فقتلوا ابن هبيرة وصحبه على حين غرّة ، وهرب معن بن زائدة ، واختفى في البلاد ، وفي روايةٍ أخرى تقول أنّ أخبار معن قبل العصر العباسي قليلة جداً فأول ظهور له على مسرح الأحداث كان أثناء حركة عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب . الذي بدأ حركته في الكوفة ثم بعد أن تصدى له الوالي هرب إلى المدائن ثم

---

١ ـ ابو مسلم الخراساني : هو عبد الرحمن بن مسلم ، ولد في ماه البصرة مما يلي أصبهان ، اعلن الثورة التي أزالت الدولة الأموية ، وكان يطمح في الملك ، وكان شديد الكره للعرب قتله أبو جعفر المنصور سنة (١٣٧هـ) وانتهى أمره .

إلى بلاد الجبال « وكانت تضم حلوان ، وقومس ، وأصبهان . والري .. » واستولى عليها وقد جعل مقر إقامته أصبهان . ثم انضم إليه محارب بن موسى بن يشكر وكان عظيم القدر في بلاده . وفي هذا الوقت التحق بنوهاشم بعبدالله بن معاوية فقد ذكرت بعض أسماء من انضم إليه مثل أبي جعفرالمنصور، وعبد وعيسى ابني علي بن عبدالله ابن عباس ولما قدم ابن هبيرة إلى العراق واليا كان معن بن زائدة في معيته .

وفي هذا المجال نذكر قول ابن خلكان عند ترجمته لمعن أنه « كان في أيام بني أمية متنقلاً في الولايات ومنقطعاً إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الفزاري أمير العراقين »[1] ولا ندري إن كان معن ملازماً ليزيد ومتنقلاً في الولايات قبل أن يصبح أمير العراقين أم بعد ذلك ؟ والمهم في الأمر أن والي العراق الجديد ابن هبيرة ما أنَّ تولى مهمته الجديدة حتى بادر إلى إرسال جيش للقضاء على حركة عبدالله بن معاوية وجعل على رأسه بناته بن حنظلة الكلابي . ثم أرسل بعد مدة جيشاً آخر على رأسه معن بن زائدة من جهة أخرى فقاتلهم معن عند مدينة مرو الشاهجان فهرب عبدالله بن معاوية فكف عنهم معن ومما ذكر من رجز معن خلال ذلك قوله :

ليس أمير القوم بالخب الخدع فرَّ من الموت وفي الموت وقع

ولما هرب ابن معاوية ، هرب بعض فرسانه ممّن كانوا معه منهم شيبان الحروري إلى جزيرة ابن كاوان ، ومنصور بن جمهور إلى السند ، وعبد الرحمن بن يزيد إلى عُمان ، وعمرو بن سهل بن عبد العزيز إلى مصر . أما الأسرى فإن معناً قد اطلق سراحهم بإستثناء رجل كافر . ثم سار معن في أعقاب منصور بن جمهور إلا أنه لم يدركه فرجع ومن معه . أما عبدالله بن معاوية فإنه بعد أن شعر بالملاحقة وأن لا مجال له في الاعتصام بأي مدينة ، حاول الاتصال بقادة الثورة العباسية فكاتب مالك بن الهيثم الخزاعي ، وبعد مراسلات بين مالك وأبي مسلم الخراساني تقرر القبض على

---

١ ـ وفيات الأعيان / لابن خلكان : ج٥ / ٢٤٤ .

عبدالله بن معاوية لأن مبادئه وأهدافه غير أهداف قادة الثورة العباسية . ثم قتل في سجنه في مدينة هراة ، وأُخرج وصُلي عليه ، وأصبح قبره معروفاً هناك يزار[1] ثم برز معن مرةً أخرى على مسرح الأحداث فوجدناه ضمن جيش يزيد والي العراق يقاتل جيش الثورة العباسية وهو في الضفة اليسرى لنهر الفرات ، لمنع هـذا الجيش من العبور . وظهر معن مقاتلاً لطلائع هذا الجيش التي عبرت أولاً ثم مقاتلاً لبقية الجيش التي عبرت بقيادة قحطبة الطائي . كان معن ضمن من تصدى لهم وقد ادعى هو قتل قحطبة عند صعوده من الماء إلى شاطيء النهر بضربة على عاتقه أطاحت به فتعاورته السيوف فسقط في الماء . ولهذا ادعى يحيى بن خضين أنه هو الذي قتل القائد العباسي قحطبة ثم أن جيش الوالي رجع إلى الوراء حتى جسر سورا قبل الكوفة تحت تأثير اندفاع جيش الثورة العباسية ، ثم حدث صدام آخر هرب على أثره الوالي الأموي وتابع الجيش هروبهم باتجاه واسط ، وفي صبيحة اليوم التالي انتشر خبر فقد القائد قحطبة وجعل ابنه الحسن بن قحطبة قائداً لجيش الثورة الذي سار باتجاه الكوفة حيث أخرج إمام الثورة أبو العباس وبويع خليفة .

---

١ - تاريخ الطبري / للطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ) ج ٧ / ٣٧٣ وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥/ ٣٧١ .

حروب معن بن زائدة في أثناء حصار واسط

أما الوالي يزيد فإنه إلتجأ إلى واسط وتحصّن بها لتبدأ جولات جديدة بين جيشه والجيش العباسي ، وهنا نجد معناً من ذوي النجدات يُبلي بلاءً حسناً ، دفاعاً عن واسط ومؤازراً للوالي ،

ذُكر أن الحسن بن قحطبة جاء إلى واسط في آخر المحرم سنة (١٣٢هـ) يفتش عن مكانٍ يقيم فيه أثناء الحصار ويتفحص ساحة القتال المقبلة ، وكيفية إحكام الحصار ، فأراد أصحاب يزيد الخروج إليهم فمنعهم أولاً ، ثم أمر بفتح أبواب سور واسط وقد عبأ جيشه وجعل القادة ابنه داود ، ومحمد بن نباته ، ومعن بن زائدة في القلب فتقاتل الطرفان حتى جاء الليل فتحاجزا ثمَّ تولّى القيادة العامة للجيش العباسي أخو الخليفة الأمير أبو جعفر المنصور مكان الحسن بن قحطبة فنهض الجيش العباسي برمته لمواصلة القتال فتصدّى لهم جيش الوالي يزيد واشتد القتال وهكذا استمرت الحرب سجالاً بين الطرفين .

وقد ذُكرت لمعن بن زائدة مواقف في أثناء الحصار منها أنه سمع بأن يزيد بن هبيرة أمر بإلقاء القبض على أبي أمية التغلبي لأنه رفع شعار « السواد » لبني العباس ، فثارت ثائرة معن لإعتقال هذا الرجل وشتم الوالي يزيد بن هبيرة فأمر الوالي بالافراج عن المعتقل وصالح معناً[1] .

وقد ذُكر لمعن بن زائدة دورٌ بطولي في هذا الحصار ، فمن بطولاته أنه في إحدى هذه المعارك كمن في موضع وقعة القائد أبي يحيى الجذامي فلما جازهم الجيش العباسي خرج معن وصاحبه وداهما الجيش ودام الصدام بين الطرفين إلى الليل حتى

---

١ ــ تاريخ الطبري / للطبري ج٧/٤٥٢ وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥/٤٣٨ .

جـاء أمر الوالـي يزيد وكـان يراقب القتـال من فـوق برج الخلالـين يأمر معناً بالانصراف عن القتال [1] .

ثم اقترب القائد الحسن بن قحطبة من جيش ابن هبيرة وخاطبهم مخبراً إياهم أن خليفتهم الذين يقاتلون وفاءً لبيعته التي في أعناقهم قد قتل ، وأن الدولة الأموية قد انتهت بمقتله وأن الكل أصبح في طاعة الخليفة الجديد أبي العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس وأن لهم عهد الله وميثاقه أنهم آمنون على كل شيءٍ أي على أرواحهم وأموالهم .

وفي اليوم التالي أتاهم القائد خازم بن خزيمة فقال لهم مثل قول صاحبه ثم جاءهم في اليوم الثالث الحارث بن نوفل الهاشمي وبعده اسحاق بن مسلم العقيلي يكررون القول نفسه ليجعلوا يزيد ومن معه على ثقةٍ من قولهم بعد أن قُطعت عنهم الأخبار خلال الحصار وكتب كتاب صُلح بين الطرفين جاء فيه أن ابن هبيرة وخمسمائة من أصحابه ينزلون مدة خمسين يوماً في الجانب الشرقي من واسط لا يبايعون ، فإذا انتهت المدة فمن شاء منهم ألحق بمأمنه ومن شاء دخل في طاعة الخليفة الجديد ، وأن للمحاصرين دماءهم وأموالهم . وكان تاريخ كتابة هذا العهد كما أورده خليفة بن خياط في أول ذي القعدة سنة « ١٣٢هـ » .

وهكذا فتحـت أبواب مدينة واسـط أمام الجيش العباسـي فدخلها ولم يحدث قتال ، واكتفى قادته بالتجوال ثم الخروج منها . وتجولوا مرّة أخرى في اليوم التالي ، ثم لـمّا جاء اليوم الثالث دخلت مجموعة من الفرسان فأخذت ما كان فيها من دواب ، وقالوا هذه للإمارة فقرر ابن هبيرة الذهاب بنفسه مع مائتين من أصحابه للسلام على

---

١ ـ الكامل في التاريخ / لابن الأثير ج٥/٤٤٠ .

الأمير أبي جعفر المنصور وتذكيره بالعهد المبرم بين الطرفين ونوّد أن نشير هنا إلى أن اسم معن لم يرد في هذا اللقاء . ثم حدث اللقاء والسلام . وقد طمأن الأمير أبو جعفر ابن هبيرة وأنّ له وفاء أمير المؤمنين ، ثم شاءت الأقدار أن تكون نهاية ابن هبيرة وقتله بعد هذا [1] .

---

١ ـ تاريخ خليفة بن خياط : خليفة بن خياط (ت ٢٤٠ هـ) تحقيق أكرم ضياء العمري مؤسسة الرسالة ط٢ . بيروت ١٩٧٧ : ج٢ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

إختفاء معن بن زائدة
وظهوره في حادثة الراوندية

بعد أن اتضح لقادة يزيد بن هبيرة أن نية العباسيين لا تتجه إلى الوفاء بعهدهم هرب بعضهم وكان فيمن هرب معن بن زائدة ولا ندري مكان إختفائه أو ما جرى له خلال ذلك الوقت الذي كان ما بين استخلاف أبي العباس والقضاء على مقاومة الوالي ابن هبيرة سنة (١٣٢هـ) وفي عام (١٣٦هـ) مات السفاح ، وتبوأ أبو جعفر المنصور كرسي الخلافة حتى حدوث ما يعرف بمحاولة الراوندية قتل المنصور سنة (١٤١هـ) أي حوالي تسع سنوات .

وعندما استلم أبو جعفر المنصور مقاليد الحكم ، تذكّر « معناً » ، وما كان قد صنع في حصار واسط ، وتذكّر قسمه ذاك على الانتقام منه ؛ فجدَّ في طلبه ، وجعل مالاً وفيراً لمن يأتي به حياً أو ميتاً ، وعلم معن بالخبر ، فضرب في البراري والقفار ، يتنقل في مضارب الأعراب النائية حذراً متنكراً ، فلاقى من الأهوال والمتاعب ما حدثنا معن نفسه عن بعضها . ودام تشرّده في الآفاق تسعة أعوام كما مرّ معناً سابقاً .

وممّا ورد في اختفائه أنه كان مختفياً عند أبي الخصيب مرزوق حاجب الخليفة المنصور على أمل أن يطلب له العفو فيخرج من مكمنه القريب من الخليفة وينجو من خطر قتله وهدر دمه .

وفي هذه الرواية يسأل الخليفة حاجبه عمن بالباب ممن يحجبهم فيذكر له معناً ، فيطلبه الخليفة لأنه رجل من العرب ذو حسب ، ولأنه فارس مجرّب بالحرب . وان بالخليفة حاجة إلى مشورته في قتال الراوندية وهكذا تجمع هذه الرواية ، بين أمرين أمر

اختفائه عند حاجب الخليفة ، وأمر قيام حركة الراوندية في الوقت نفسه (١) وسأعود إلى موضوع الراوندية فيما بعد ، وممّا ورد عن اختفائه قصة رواها عن معن بن زائدة الشاعر مروان بن أبي حفصه الذي كان شاعره وصديقه وذلك أن معناً علم أنه مطارد من الخليفة المنصور فعمد إلى تغيير شكله وزيّه ، وهكذا تزيىًّ بزي الأعراب ، إذ عرّض نفسه للفحات الشمس حتى لوّحت وجهه ولبس جبة صوف غليظة وخفف عارضيّه « أي شعر خديه » ولحيته ، وركب جملاً من الجمال النقّالة ، وأنه عزم على الذهاب إلى البادية للإقامة فيها ولنترك الرواية على لسان معن « قال معن : فلما خرجتُ من باب حرب تبعني أسود متقلداً سيفاً حتى إذا غبتُ عن الحرس قبض على خطام جملي فأناخه وقبض عليًّ (٢) .

فقلت له : مالك ؟

قال : أنت طُلبة أمير المؤمنين .

قلت : ومن أنا حتى يطلبني أمير المؤمنين ؟

قال معن بن زائدة : يا هذا اتق الله ، وأين أنا من معن .

قال : دع هذا عنك فأنا واللّه أعرف بك منك .

فقلت له : فإن كانت القصة كما تقول فهذا جوهر حملته معي يفي باضعاف ما بذله المنصور لمن جاء بي فخذه ولا تسفك دمي .

قال : هاته .

١ - تاريخ الطبري : الطبري : ج٧ / ٥٠٨ .
٢ - نهاية الأرب في فنون الأدب / النويري - شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت٧٣٣هـ) طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢ ، ج٣ /١١ .
وانظر عصر المأمون / للدكتور احمد فريد الرفاعي ، : ط٣ . مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦هـ ج١٩٧/٢

فاخرجته إليه فنظر إليه ساعةً وقال : صدقت في قيمته ولست قابله منك حتى أسألك عن شيءٍ فإن صدقتني أطلقتك .

فقلت : قُل .

قال : إنّ الناس قد وصفوك بالجود فأخبرني هل وهبت قط مالك كله ؟

قلت : لا

قال : فنصفه ؟

قلت : لا .

قال : فثلثه ؟

قلت : لا .

حتى بلغ العُشر فاستحييت . فقلت : أظن أني قد فعلت هذا . فقال : ما أراك فعلته ! أنا واللّه راجل « أي لست بفارس » ورزقي من أبي جعفر عشرون درهماً ، وهذا الجوهر قيمته آلاف الدنانير وقد وهبته لك ووهبتك لنفسك ولجودك المأثور عنك بين الناس ولتعلم أن في هذه الدنيا من هو أجود منك فلا تعجبك نفسك ولتحقّر بعد هذا كل شيءٍ تفعله ، ولا تتوقف عن مكرمة ، ثم رمى بالعقد في حجري وخلّى خطام البعير وانصرف .

فقلت : يا هذا قد واللّه فضحتني ولسفك دمي أهوّن عليّ ممّا فعلت فخذ ما دفعته إليك فإني غني عنه ، فضحك ثم قال : أردت أن تكذبني في مقامي هذا واللّه لا آخذه ولا آخذ بمعروف ثمناً أبداً ، ومضى فوالله لقد طلبته بعد أن أمنت وبذلت لمن جاءني به ما شاء فما عرفت له خبراً ، وكأن الأرض ابتلعته »[1] .

---

١ ـ الأغاني : للأصفهاني ج١٠/١٠٥، ١٠٦ ، ط/دار الكتب العلمية/ بيروت .

ثم ربط هذه الرواية بحادثة الراوندية وخلاصة ذلك ما يلي : يقال بأن الراوندية نسبة إلى راوند وهي قرية من قرى قاسان بنواحي أصبهان ، وكان الراوندية يدركون جيداً المصير الذي انتهت إليه حركة سنباذ سنة ١٣٧هـ ولهذا حاولوا أن لا يقعوا في الخطأ الذي وقع فيه سنباذ للمطالبة بدم أبي مسلم والتمسك بالمجوسية ، وإنما انتهجوا اسلوباً اخر وهو تأليه أبي جعفر[1] لأن أبا جعفر المنصور قتل أبا مسلم الخراساني ، حين شعر بخطره ، وتفاقم أمره . وكان قتله غيلة في قصر الخلافة في « الهاشمية » عاصمة الدولة سنة « ١٣٧هـ » ؛ فتفرقت جماعاته ، وبقيت منهم طائفة مجوسية تعتقد بتناسخ الأرواح ، وتدعى « الراوندية » ؛ فراحت تقول « إنَّ روح الله كانت في جسد أبي مسلم فلما قتل انتقلت إلى جسد قاتله المنصور .... فهو ربنا » .

وفي رواية أخرى للبلاذري في كتابه الأنساب الجزء الرابع يقول : « أنَّ قوماً من أصحاب أبي مسلم من أهل خراسان كانوا يقولون بتناسخ الأرواح فيزعمون أن روح آدم عليه السلام في عثمان بن نهيك ، ويقولون إنّ أمير المؤمنين يرزقنا ويطعمنا ويسقينا فهو ربنا ، وأنه لو شاء أن يسيّر الجبال لسارت ، ولو أمرنا أن نستدبر القبلة لاستدبرناها ، وكانوا يطوفون حول قصر المنصور فيقولون قولاً عظيماً . فحبس المنصور منهم نحواً من مائتين من رؤسائهم ، فغضب أصحابهم ، وكان المنصور قد أمر أن لا يجتمعوا ، فاتخذوا نعشاً وأظهروا أن فيه امرأة ميتة ، وملأوه سلاحاً ، ثم حملوه وذهبوا إلى باب السجن فأخرجوا أصحابهم وهم مائتان ، وكانوا أربعمائة فتناموا ستمائة ، وقصدوا القصر فتنادى النّاس وأغلقت أبواب المدينة . وخرج المنصور يمشي من القصر ولم يكن عنده دابّة ، فمن ذلك اليوم ارتبط فرساً في القصر يكون معه ، فلما برز أمير المؤمنين أتي بدابة فركبها وقصد قصدهم عندما علم أنهم يريدون قتله ولم يكن لديه جيش

---

١ ـ نفوذ الاتراك في الخلافة العباسية وأثره في قيام مدينة سامراء (٢٢١هـ ـ ٢٧٩ هـ) للدكتور عبد العزيز محمد اللميلم : ج١٢٦/١ . (طبعة ١٩٨٣) .

يحميه غير البعض من حرسه وكان حاملاً سلاحه ليدافع به عن نفسه فأحطوه بسيوفهم ، وكادوا يقتلونه ، لولا أن أعرابياً ملثماً فاجأهم بصيحة مدوّية ، وهو يشق الصفوف ويتخطف الرؤوس الراوندية بسيفٍ كأنه الشعلة ، حتى أدرك زمام بغلة الخليفة بعد أن ترجّل وأخذ أسافل ثيابه فجعلها في منطقته وأخذ يقول لأمير المؤمنين أنشدك اللّه ألا رجعت فإنّك تُكفى إن شاء الله ونودي في أهل السوق والعامة فرموهم بالحجارة وقاتلوهم وفُتح باب المدينة فدخل النّاس ، وجاء خازم على فرس محذوف فحمل عليهم فكشفهم وقاتل معن يومئذٍ قتالاً لم يُرَ مثله ، فكان المنصور يقول : كنت أسمع أن رجلاً يقاتل ألفاً فلم أصدق حتى رأيت معناً ، فقُتلوا عن آخرهم وهم ستمائة . ورمي عثمان بن نهيك بنشابةٍ فمرض منها فمات ، فصار أبو العباس الطوسي على الحرس مكانه .

وعاد المنصور إلى قصره سالماً ، وانعقد المجلس ، فأمر بإحضار البدوي الملثم المجهول ، فدخل ملثماً لا يُرى من وجهه غير عينيه ، فقال له المنصور : « احسر عن لثامك » وقل من أنت « فحسر عن لثامه » وقال : « أنا طلبتك يا أمير المؤمنين ... معن بن زائدة . قال المنصور : « آمنك اللّه على نفسك وأهلك ومالك » .

وجاء الربيع فأخذ بلجام دابة المنصور فقال له معن : تنحَّ يا بني فليس هذا من أيامك ، ولما صار المنصور إلى القصر دعا بالعشاء وأمسك يده حتى أتي بمعن ، وأمر بعض أهل بيته فتزحزح له حتى جلس مكانه ، فلما فرغوا من العشاء التفت المنصور إلى عمه عيسى بن علي ولم يكنِ حاضراً المعركة فقال له المنصور : أسمعت بأسد الرجال ؟!

قال : نعم .

قال : لو رأيت اليوم معن بن زائدة ، علمت أنه من تلك الآساد فقال معن : « يا أمير المؤمنين والله ما قوّى مُنّتي إلا ما رأيت من شجاعتك ولقد أتيتك وإني لوجل القلب ، فلما رأيتك ورأيت ما عندك من الاستهانة بهم ، كان مني ما رأيت[1] .

---

١ ــ تاريخ الطبري / الطبري : ج٦ / ١٤٨ .

فلما قام معن من مجلسه ، نظر إليه المنصور ، وقال لحاضريه : « هذا رجلٌ من العرب ، شديد النفس ، عالمٌ بالحرب ، كريم الحسب [1] .

يتضح من ذلك أن هذه الحركة التي تكمن وراءها فكرة التعصب لأبي مسلم وغيره هي حركة شعوبية في حقيقتها والقائمين عليها هم من الفرس هذه صورة واضحة لجانب من حياة معن السياسية والعسكرية ترينا قبل كل شيء أنه كان في طليعة الأحرار الذائدين عن كرامة قوميتهم العربية وسيادتها ، أمام تلك الشعوبية المتكالبة ، وأنه كان آخر سيف عربي : من سيوف أمية ، أغمد أمام سلطان بني العباس ، الذي كان العنصر الفارسي أحد ركنيه . ولم يكن من ذلك الطراز من الناس الذين رأوا تكالب الأيام على أمتهم قعدوا ينتظرون نتائجها ، واختاروا لأنفسهم السلامة ، ورضوا من الغنيمة بالإياب ، وما كان معن في حياته الخاصة والعامة وفي صفاته وأخلاقه ، بأقل روعة منه في حربه وبطولاته ونجدته . وربما كان من أبرز خلائقه التي تستحق الذكر في هذا المجال : « الكرم والسخاء ، وشراء الحمد بالثمن الربيح » حتى ضرب به المثل فقيل « حدَّث عن البحر ولا حرج ، وحدَّث عن معن ولا حرج وحدَّث عن بني اسرائيل ولا حرج » وواضح من هذا القول أن البحر خلقٌ عجيب تُحكى عنه حكايات كثيرة وغرائب متنوعة وأن بني إسرائيل وردت عنهم حكايات في عتوّهم وتكذيبهم الرسل والأنبياء وحدّثوا عن خبثهم ولؤمهم ما يجري مجرى الغرائب . وأما معن فالحديث عنه هنا يخص كرمه الكثير الذي اشتهر به .

إلاَّ أن المؤرخ ابن خلكان أشار في أثناء ترجمته لمعن إلى أخباره الكثيرة دون أن يحّدد جانباً منها بقوله : « أخبار معن ومحاسنه كثيرة »[2] وأنه لولا خوف الإطالة

---

١ ـ الكامل في التاريخ / لابن الاثير : ج٤ / ٣٦٦ .

٢ ـ وفيات الأعيان / لابن خلكان : ج ٥ / ٢٤٩ .

في ترجمته لذكر من محاسنه كل نادرة بديعة فأخبار معن المشار إليها في هذه النقول كثيرة إذاً ، بحيث اختصرها ابن خلكان وخاف التطويل من إيرادها ، ولكن الذي يؤسف له أن هذه الأخبار الكثيرة لم تصل إلينا جميعاً شأنها شأن كثير من أخبار المؤلفين أو العلماء أو الادباء ، وأن ما وصل إلينا هو في أغلبه عن العصر الذي عاش فيه معن في زمن العباسيين لا سيما بعد توليه اليمن وسجستان حيث سارت أخبار عطاياه للشعراء . والرواية يبدو عليها الإفتعال وعدم الصحة إذ أن خروج معن من باب حرب ، يعني أن بغداد قد بنيت ، في حين أن خروج الراوندية سمي بيوم الهاشمية نسبة إلى عاصمة أبي جعفر المنصور آنذاك وهي الهاشمية قرب الكوفة وليست بغداد ، وأن الروايات الواردة في كتب التاريخ تجمع على أن معناً ظهر في الهاشمية ودافع عن الخليفة أبي جعفر مقاتلاً الراوندية سنة ١٤١هـ[1] وهذه القصة تشبه إلى حد ما قصة ابراهيم بن المهدي الذي أنتخب خليفة للدولة العباسية بعد قتل الأمين وقبل مجيء أخيه المأمون من خراسان ثم كيف أنه اختبأ مدة تقرب من مدة إختفاء معن ، إلا أن ابراهيم وقع بأيد الحرس وعُرض على الخليفة المأمون مقيداً ، في حين ظهر معن من تلقاء نفسه مدافعاً عن الخليفة مما كان له دالة على الخليفة فيما بعد ، وعلى كل حال

---

١ ـ تاريخ الطبري / الطبري : ج٧ : ٥٠٥ ، ٥٠٨ وانظر مروج الذهب ومعادن الجوهر المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ) شرحه وقدّم له مفيد قمحية . دار الكتب العلمية / بيروت (د.ت) ج٣ : ٢٨٧ .

وانظر البدء والتاريخ للمقدسي المطهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ) دار صادر ، بيروت (د.ت ج ٦ / ٨٣) .

وانظر الفرج بعد الشدّة للتنوخي ، أبو علي بن الحسن بن علي القاضي (ت ٣٨٤ هـ) تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر ، بيروت ١٩٧٨ / ج٤ / ٥٤ .

فإن وقفة معن جاءت في وقتها المناسب مما أدى بالخليفة المنصور إلى الشعور بالامتنان ، وإلى اتخاذه من البطانة ثم عهد إليه بالولاية على اليمن كما سنرى ، ومن هنا بدأت شهرة معن ، إذ تناقل خبر هذه الواقعة الرواة وأودعت كتب التاريخ والأدب بأشكالها المختلفة وخلدتها قصائد الشعراء التي قيلت في معن[1] .

---

١ ـ آمالي المرتضى للشـريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) حققه محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٣٧٣ هـ ودار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧ ج١ / ١٦٢ .

معن بن زائدة
في خدمة الدولة العباسية

تولية معن

ما كان معن بن زائدة قائداً وزعيماً فحسب ، وإنما رئيس مدرسة اجتماعية من مدارس ذلك العصر ، جمع صفات الفتوة العربية النبيلة ، والفروسية العريقة بكل معانيها الانسانية ، وقد اختلف المؤرخون في الفترة التي عاشها معن في بلاط بني العباس ، لاختلافهم في سنة وفاته سواء أكانت عشرة أعوام أو خمسة عشر .

وقد سبق أن علمنا كيف انتهى الأمر بين معن والخليفة المنصور ، على أثر وقعة (الراوندية) في عام « ١٤١هـ » ، وأصبح معن في حاشية البلاط . ولكن ترسبات الماضي ، وذكريات حصار « واسط » الدامية ، كانت تعاود صدر الخليفة المنصور ، وتبعث فيه الريبة والشك نحو صاحبه ، بين حينٍ وآخر ؛ فيحاول معن إزالتها بنباهته ولباقة لسانه وسرعة بديهته . يقول معن : « كنا في الصحابة سبعمائة رجل ، فكنّا ندخلُ على المنصور في كلِّ يوم ، فقلت للربيع : اجعلني في آخر من يدخل عليه ، فقال لي : لست بأشرفهم فتكون في أوّلهم ولست بأخسِّهم نسباً فتكون في آخرهم ، وإنَّ مرتبتك لتشبه نسبك . فدخلتُ على المنصور ذات يوم وعليَّ درّاعة فضفاضةٌ وسيفٌ حنفيٌّ أقرع بنعله الأرض ، وعمامةٌ قد سدلتها من قدّامي ومن خلفي فسلَّمت عليه وخرجت ، فلما صرتُ عند الستر صاح بي : يا معن ، صيحةً أنكرتها فلبيتها ، فقال : إليَّ ، فدنوت منه فإذا به قد نزل عن عرشه إلى الأرض ، وجثا على ركبتيه ، واستلَّ عموداً من بين فراشين ، واستحال لونه ، ودرَّت أوداجُهُ وقال : إنك لصاحبي يوم واسط لا نجوت أن نجوت منّي . قال ، قلت : يا أمير المؤمنين ، تلك نصرتي

لباطلهم فكيف نصرتي لحقّك ؟ فقال كيف قلت ؟ فأعدت عليه القول ، فما زال يستعيدني حتى ردَّ العمود إلى مستقرّه واستوى متربّعاً واصفرّ لونه وقال : يا معن إن باليمن هناتٍ ، قلت : يا أمير المؤمنين ليس لمكتوم رأي ، وهو أول من أرسلها مثلاً ، فقال : أنت صاحبي فأجلس ، قال : فجلست ، وأمر الربيع فأخرج كلَّ من كان في الدار ، وخرج الربيع فقال لي : إنّ صاحبَ اليمن قد همَّ بالمعصية ، وأريدُ أن آخذه أسيراً ، ولا يفوتني شيءٌ من ماله . قال ، قلت : ولّني اليمن وأظهر أنك قد ضممتني إليه ، وأمر الربيع أن يُزيح علّتي في كلِّ ما أحتاج إليه ، ويخرجني في يومي هذا لئلا ينتشر الخبر . قال : فاستلَّ عهداً من بين فراشين ، فوقَّع اسمي فيه وناولنيه ، ثم دعا الربيع فقال : يا ربيع إنّا قد ضممنا معناً إلى صاحب اليمن فأزح علَّته في ما يحتاج إليه من السلاح والكراع ، ولا يُمس إلا وهو راحلٌ قال : ثم ودعني فودعته وخرجت إلى الدهليز : فلقيني أبو الوالي فقال : يا معن أعزز عليَّ بأن تضم إلى ابن أخيك[1] . قال فقلت : إنه لا غضاضة على الرجل بأن يضُمَّهُ سلطانه إلى ابن أخيه ، وخرجت إلى اليمن فأتيت الرجل فأخذته أسيراً ، وقرأت عليه العهد ، وقعدت في مجلسه ، وغير بعيد أن تكون توليته على اليمن شبه إبعاد له عن مقّر الخلافة وقد تكون مكافأة له من الخليفة المنصور لما قام به معن وخاصة يوم الهاشمية . فقد كانت ولايته تكليفاً ثقيلاً وليس تشريفاً إذ أن أمر اليمن لم يكن بالأمر الهين بل كانت فيها فتن واضطرابات ، ذكر اليعقوبي « ت حوالي ٢٩٠ هـ » أن أهل اليمن أظهروا المعصية وأن الوالي عبدالله بن الربيع هرب هو ومن معه وضعف ولم يستطع مواجهتهم ، فوَّجه الخليفة معناً إلى اليمن .

---

١ ــ التذكـرة الحمدونيـة / ابن حمـدون . محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٣٠٩هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، وبكر عباس ، دار صادر بيروت ط١ / ١٩٩٦ . ج٣/٣١١ و ٣١٢ .

وقد استعمل معن الشدة والحزم ، وأقام بها تسع سنوات[1] ، فقد كان معن رمزاً للكفاح القومي العربي ، وللقومية العربية نفسها التي كان يتعصب لها بنو أمية في عهدهم ، على حين كان بلاط المنصور يعج بالشخصيات الفارسية ، التي قاتلت في صفوف بني العباس ، وساندت ثورتهم طمعاً في التخلّص من تلك العصبية ، ومن انفراد العرب بالحكم ، وفي بلاط المنصور أيضاً عدداً من كبار القادة البارزين الذين قامت على أكتافهم الدولة الجديدة ؛ وكان معن من ألد أعدائهم ، لأنه قاتلهم ووتر بعضهم بسيفه في معركة الفرات ، وفي حصار « واسط » قتل معن قحطبة بن شبيب وهو على رأس جيشه ، كل هذا وغيره جعل بقاء معن في حاشية المنصور لا يتفق وسياسة الدولة ، التي كانت تتوخى الاستقرار وإزالة الاحقاد ، والعمل على التوازن بين القوتين الفارسية والعربية . واتفق الخليفة ومعن بن زائدة على أن يقبض على متولي اليمن الذي كان يزمع المعصية وأن يلقي القبض عليه ويبعثه أسيراً وأن يستولي على أمواله ، على أن يكون التدبير سراً حتى يصل معن إلى مقصوده ، فاتفقا على أن يعلن الخليفة إرسال معن إلى الخدمة في اليمن مساعدة لصاحبها « المتولي أمرها » وأن يكون من أتباعه ، وأن يخرج معن من يومه قبل أن يصل الخبر اليمن ويفهم متولي اليمن جلية الأمر .

وهكذا زوّد معن بكتاب الولاية ليُقرأ على الناس في اليمن كما زوّده بالسلاح والرّجال[2] وسار معن إلى اليمن في عسكر من قومه وبصحبته عدد من أبنائه الناشئين ، وابن أخيه يزيد بن مزيد وأخذ بعض قومه من ربيعة وهكذا تمَّ له الأمر وأصبح والياً على اليمن بعد أن قاتل قبائل اليمن وحضرموت القوية الشكيمة ، المنحرفة في هواها عن بني العباس فأخمد ثوراتها وأعادها إلى الطاعة بعد جهدٍ جهيد ،

---

١ ــ تاريخ اليعقوبي / لليعقوبي . احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ) دار صادر ، بيروت (د.ت) ج٣ / ١١٢ .

٢ ــ تاريخ الطبري / للطبري : ج ٦٤/٨ وانظر الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٦/٢٤ .

وحروبٍ قاسية كبّدت الطرفين كثيراً من الأنفس والضحايا ، وأورثت الضغائن والأحقاد ، بين اليمانية وربيعة ، زمناً طويلاً وقع هذا وكانت أرصاد الخليفة المنصور وعيونه تراقبه ، وتعدًّ عليه حركاته وسكناته طوال التسعة الأعوام التي قضاها هناك ، ولما حكم معن اليمن . اشتد في تعقب الخوارج والتنكيل بهم وقتل من الخوارج ألوفاً وأسرف في الدماء وقد دامت مدة ولايته على اليمن تسع سنوات عهد خلالها إلى بعض أقاربه بحكم مخاليف اليمن وساروا على سياسته في التشديد على المخالفين والخارجين وقد جلب على نفسه سخط الأهلين . ولما قُتل بعض أقاربه في المعاذر انتقم منهم بقتل ألفين .

يبدو أن استعمال معن للشدة في قمع الفتن والاضطرابات التي كانت قائمة في اليمن قد انتشرت أخبارها ووصلت إلى الخليفة ببغداد مما جعل الخليفة يسأله عنها وهي لا شك قد وصلت إلى بقية الناس لهذا فقد فسّرها بعضهم بأنها نوع من التعصب القبلي ضد قبائل اليمن ، وأنه قد نوى قطع الحلف الذي كان قائماً منذ العصر السابق للإسلام ما بين القبائل اليمانية والقبائل الربعية ، وأنه أعلن غن ذلك وهو ما يزال بالكوفة ولهذا ساق المسعودي أخبار ولايته في اليمن وما ورد عنه من ضرب العصيان بأنه مندرج ضمن حركات العصبية القبلية التي كانت قبل الاسلام وامتدت في بعض الأوقات إلى العهود الاسلامية ، ولكي يؤكد المسعودي كلامه عدًّ قيام والي البحرين وعُمان عقبة بن سالم من قبل الخلافة العباسية ، بالتنكيل بقبائل هذه البلاد من ربيعة ونزار ردّ فعل منه لأفعال معن وكيداً له[1] وعندما نصل إلى الاصفهاني نجده يجعل أمر الانتقام من قبائل اليمن بأمر من الخليفة نفسه [2] وهذا يوحي بجهل الراوية الذي نقل عنه أبو الفرج رواتيه بمساندة قبائل اليمن للثورة العباسية فكيف يجازيها الخليفة بالانتقام لمجرد التعصب ؟! .

١ ــ مروج الذهب للمسعودي ج٣ / ٢٣٢ .

٢ ــ الأغاني للاصفهاني ج٩ / ٤٣ ، ٤٤ .ط ساسي .

أما عن محاسبة الخليفة لمعن على إسرافه بالقتل وتعسفه مع العصاة في اليمن فقد أورد المرتضى في أماليه أن المنصور قال لمعن بعد أن دخل عليه « ويلك ما أظن ما يقال فيك من ظلمك لأهل اليمن واعتسافك إياهم إلا حقاً ! وقرن هذا الظلم بالكرم الباذخ الذي كان يعيشه معن في اليمن [1] .

وأورد الأصفهاني في روايةٍ أخرى فيها استقبال الناس لمعن بعد عودته إلى بغداد واستقبال أصدقائه وشعرائه له . وكان فيمن حضر رجل اسمه أبو القاسم محرز فأسمع معناً ما أغضبه وذلك بقوله « سفكت الدماء وظلمت الناس وتعديت طورك بذلك » حتى أكثر على معن فالتفت إليه وقال له : « يا محرز أخبرني بأي خفيك [2] تضرب اليوم أبالسُّباعي أم بالثماني ؟! » قال : فانقطع وسكت خجلاً [3] .

يقول الطبري : وردَ إلى سمع الخليفة ، أن الشعراء يشدون الرّحال من بعيد ، قاصدين اليمن ، لمدح معن ، ونيل جوائزه السخية ، وأنهم قالوا في مدحه الشيء الكثير ، لما كان يفيض عليهم من سعة كرمه وجوده ، فغضب وقال : « إنه ينفق المال بغير حساب » وتهدده فقال معن : « لقد أضعت عمراً في طاعته ، وأتعبت نفسي وأفنيت رجالي في حرب اليمن ، فما ضرّه لو أنفقت مالي على الناس ، وحرصت على ماله ؟! » فما كان من معن إلا أن أرسل وفداً من قومه إلى أبي جعفر المنصور يسترضيه ويسلون سخيمته ويستعطفون قلبه عليه ، فانتخب جماعة من عشيرته من أفناء ربيعة ، وكان فيمن اختار مجّاعة بن الأزهر ، فجعل يدعو الرّجال واحداً واحداً ويقول : ماذا أنت قائل لأمير المؤمنين إذا وجهّتك إليه ؟ فيقول : أقول وأقول .. حتى جاءه مجاعة ابن الأزهـر ، فقـال : أعـز الله الأمير ! تسـألني عن مخاطبة رجل بالعـراق وأنا

---

١ ـ الأمالي / للمرتضى ج١ / ١٦٢ .

٢ ـ في رواية وردت كفيه وليس خفيه .

٣ ـ الأغاني للأصفهاني ج١٠/١١٤ ط دار الكتب العلمية ١٩٩٢م .

باليمن ! أقصد لحاجتك حتى أتأنّى لها كما يمكن وينبغي ؛ فقال : أنت صاحبي ، ثم التفت إلى عبد الرحمن بن عتيق المزُني وقال : شدَّ على عضد ابن عمك ، وقدّمه أمامك ، فإن سها في شيء فتلافه واختار من أصحابه ثمانية نفر معهما ، حتى تمّوا عشرة ، وودّعهم ومضوا حتى صاروا إلى أبي جعفر ، فلما صاروا بين يديه تقدّموا ، فابتدأ مجّاعة بحمد الله والثناء عليه والشكر له . حتى ظن القوم أنه إنما قصد لهذا ؛ ثم كرَّ على ذكر النبي ﷺ وكيف اختاره الله من بطون العرب ، ونشر من فضله حتى تعجب القوم ؛ ثم كرَّ على ذكر أمير المؤمنين ، المنصور[1] وما شرَّفه الله به وما قلدّه ؛ ثم كرَّ على حاجته في ذكر صاحبه . فلما انتهى كلامه ، قال المنصور : أما ما وصفت من حمدالله ، فاللّه أجل وأكبر من أن تبلغه الصفات ؛ وإما ما ذكرت من النبي ﷺ فقد فضلّه الله بأكثر مما قلت وأما ما وصفت به أمير المؤمنين فقد فضله الله بذلك وهو معينه على طاعته إنَّ شاء الله . وأما ما ذكرت من صاحبك فكذبت ولؤمت ؛ ثم أمر المنصور بإخراجهم . قال : صدق أمير المؤمنين ، ووالله ما كذبت في صاحبي : فأُخرجوا فلما صاروا إلى آخر الإيوان أمرَّ بردَّه مع أصحابه فقال : أعدَّ ما ذكرت . فكرّ عليه الكلام حتى كأنه في صحيفة يقرؤه ؛ فقال له مثل القول الأول ، فأُخرجوا حتى برزوا جميعاً ، وأمر بهم فوقفوا ، ثم التفت إلى من حضر من مُضر ، فقال : هل تعرفون فيكم مثل هذا ؟ واللّه لقد تكلم حتى حسدته ، وما منعني أن أتم على رده إلا أن يقال : تعصَّب عليه لأنه ربعّي ، وما رأيتُ كاليوم رجلاً أربط جأشاً ولا أظهر بياناً ؛ ردّه يا غلام ! فلما صار بين يديه أعاد السلام وأعاد أصحابه فقال له المنصور : أقصد لحاجتك وحاجة صاحبك ، قال : يا أمير المؤمنين معن بن زائدة عبدك وسيفك وسهمك ، رميت به عدوّك فضرب وطعن ورمى ، حتى سهّل ما حزن وذل ما صعب واستوى ما كان معوّجاً من اليمن ؛ فأصبحوا من خوَل أمير المؤمنين ـ أطال الله بقاءه ـ فإن كان في نفس أمير المؤمنين هنة من ساع أو واش أو حاسدٍ فأمير المؤمنين أولى

١ ـ تاريخ الطبري / للطبري ج٩ / ٢٩٥ .

بالتفضل على عبده ومن أفنى عمره في طاعته فقبل وفادتهم ، وقبل العذر من معن ، وأمر بصرفهم إليه ، فلما صاروا إلى معن وقرأ الكتاب بالرضى ، قام إليه معن وقبلَّ ما بين عينيه ، وشكر أصحابه وخلع عليهم وأجازهم فقال مجاعة :

آليتُ في مجلس من وائل قسماً ... ألا أبيعك يا معن بأطماع
يا معن إنك قد أوليتني نعماً ... عممت لُجيماً وخصّت آل مجّاع
فلا أزال إليك الدهر منقطعاً ... حتى يشيد بهلكي هتفهُ الناعي[1]

وكانت نعم معن على مجاعة أنه سأله ما يود إعطاءه فأجاب مجاعة بأن له ثلاث حوائج هي أن يزوجه ببنت معينة ، وأن يعطيه البستان الذي فيه منزله ، وأن يمنحه ما يستعين به في حياته فأجابه معن إلى ما أراد وقد بلغ مجموع ما أعطاه مائة ألف درهم [2] .

وفي رواية أخرى أن مجاعة كان يتعشّق امرأة من أهل بيته ، سيدة يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد ، وكانت إذا ذُكر لها قالت : بأي شيء يتزوجني ؟ أبجُبّته الصوف أم بكسائه ، فلمّا رجع إلى معن كان أول شيء سأله أن يزوّجه إياها وكان أبوها في جيش معن ، فقال : أريد الزهراء ، وأبوها في عسكرك أيها الأمير ، فزوّجه إياها على عشرة آلاف درهم وأمهرها من عنده فقال له معن : حاجتك الثانية ، قال : الحائط الذي فيه منزلي بحجر وصاحبه في عسكر الأمير ، فاشتراه منه وصيّره له ؛ وقال حاجتك الثالثة ؟ قال : تهب لي مالاً ، قال : فأمر له بثلاثين ألف درهم . تمام مائة ألف درهم . وصرفه إلى منزله [3] . ونعود الآن إلى زمن تولية المنصور لمعن على اليمن فقال له المنصور : قد أملتك الأمر ، فكيف تكون فيه ؟

---

١ ـ قصص العرب : ج٢ / ٤١٩ .
٢ ـ تاريخ الطبري / للطبري ج٢ / ٦٥ .
٣ ـ المصدر نفسه ج٤ / ٥١٩ ، ٥٢٠ .

قال معن : كما يحب أمير المؤمنين .

قال المنصور : قد وليتك اليمن ، فأبسط السيف فيهم حتى تنقض حلف ربيعة واليمن ، وأبلغ من ذلك ما يحب أمير المؤمنين فولاه اليمن وتوجه إليه ودخله سنة اثنتين وأربعين ومائة للهجرة وأقام فيه سبع سنين ، على أصح الأقوال ، وامتثل أمر الدوانيقي فبسط السيف فيهم حتى أسرف في القتل [1] .

ولا بدَّ من تعريف القارئ الكريم بحلف ربيعة واليمن . هذا الحلفان أحدهما جاهلي والآخر اسلامي عقده فيما بينهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه . وكانت لمعن باليمن أيام ووقائع ، تارةً له وتارة عليه فمنها يوم المنضج في شمال اليمن ، ومنها أيام صعده مع القيل الكبير محمد بن أبان الخنفري ، ويوم الكثيب قرب أبين وكانت هذه الأيام عليه . ومن معارك معن المشهورة « حادثة الجند » ومعاركه في حضرموت ، فقد أوقع بأهلها حتى بلغ عدد القتلى خمسة عشر ألفاً وقتل الأمير الخطير عمرو بن عبدالله بن زيد الحميري .

بلغ الأمير عقبـة بن مسـلم الهنائي الأزدي أمير اليمامـة والبحرين ، وهو من عظماء سادة قحطان ، ما صنعه معن بقومه باليمن ، فقام بدوره فنصب الذرائع أمام قوم معن من ربيعة وعبد القيس ، بأسباب قتلهم أبا الساج عامل المنصور على اليمامة والبحرين فقتل منهم عدد كبير[2] ، مجازاة لما فعل معن باليمن ، وقال : « والله لو كان معن على فرس جواد وأنا على حمارٍ أعرج لسبقته إلى النّار » وسبى العرب والموالي وأعطاهم رسول المنصور جائزة له ، وأمره أن ينادي بهم في سوق البصرة وانتهت هذه الأعمال الوحشية وهذا كان مأمول المنصور من التفرقة بين الحيين وقتل الناس الابرياء دون مبرر [3] .

---

١ ـ الاكليل : للهمذاني : ج١ / ٣٦٦ .

٢ ـ المصدر نفسه : ج١ / ٣٦٧ .

٢ ـ المصدر نفسه : ج١ / ٣٦٧ .

وقال الشاعر عائذ بن زيد بن عامر التجيبي [1] في وقعة يوم الكثيب التي مرّ ذكرها :

سائل بوقعتنا يوم الكثيب وقد ... سارت إلينا بنو البرشاء تتطلع[2]
وقد نصبت لوائي ثم حفّ به ... منا هماسعُ للخيرات تتبع [3]

ثم يقول في قصيدة أخرى له في نفس الحادثة :

يا معن لو شهدت خيلي مقاكم ... يوم الكثيب لأمسى جمعكم قطعا

ثم يتحدث عن آبائه مخاطباً معناً قائلاً :

لسنا نبلّغ للمخذول لو لصقت ... هذا بهذا فلا ترجو بنا طمعا
يوم الكثيب بدت منّا ململمةً ... تغشى العيونَ إذا ما بيضها لمعا[4]

فالشاعر هنا يشير إلى هذا اليوم وإلى قوته وقوة قومه وعزتهم وأنهم لن يخضعوا لمعن بن زائدة حتى لو اطبقت السماء على الأرض .

ويصوّر لنا عبد الرحمن الأجعزي ظلم معن في قصيدة يمدح بها القيل محمد ابن عمرو الحضرمي الذي قتل معناً بخراسان فيقول [5] .

يا معن أصبحت في بيداء مظلمةٍ ... ما بعد ما كنت بين الخلق مختالا
تمشي السَّبنتي إلى الهيجاء مدرعاً ... عليك من حلق الماذي سربالا

---

١ ـ هذا الشاعر لم أعثر له على ترجمة .

٢ ـ البرشاء أم ذهل وشيبان وقيس لقبت بالبرشاء لبرص أصابها انظر الأغاني ج١٤/٢٦٧ .

٣ ـ الهماسع : القوي الذي لا يصرع .

٤ ـ أدب اليمن في القرنين الأول والثاني الهجري للدكتور احمد عبدالله السومي ص ١٢٧ + ١٢٨ .

٥ ـ الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير ، تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مطبعة السنة المحمدية ، القاهرة ١٩٦٦ ج٢ / ٣٢٨ .

تبيــد قومـاً بلا جـرم ولا تـرة　　أرديت منهم كهـولاً ثـم أطفـالا
جـزاك ربـي بما أسـديت نائـرة　　تشوي حشاك وقـد طوقت أغلالا
حتى أتاك ابن عمـرو في أطامـره　　قد جاشـم الصبـر أحـوالاً فاحوالا
حتى سـقاك بـها كأسـاً معتقـةً　　من شـربة جعلت في الصدر أنكالا
بمثل خافيـة النسـر التي جعلـت　　هلكاً لمثلـك إذا ما كنـت عشـقالا
ما كان فعلـك فعل الأكرمين لقد　　بدعت باللـؤم أحداثـاً وأمثـالاً
لقد حللت ابن عمرو كـل أُبهّـةٍ　　وسدت ما عشت أعماماً وأخوالا[1]

وكفى الأحداث دليلاً على ما فعله معن بن زائدة باليمنيين ، فلذلك تبعه محمد ابن عمرو الحضرمي إلى خراسان وهناك اغتاله ، وقال في ذلك[2] .

خرجتُ له والقلـب منـي كأنـه　　تجيـش حواشيـه بنـار تُضـرّمُ
حللت به وتـري ولم أك خائبـاً　　وكـان فـؤاده جمـرة تتجهّـم
ضربته من تحت الشّر اسيف ضربةً　　واخرى على رأس الفـؤاد تهـذرم
فهذا بما قدمـت معـن ولم أكـن　　لأقعـد حتى تمسـي لحماً يُقسـمُ

---

١ ــ الاكليل من أخبار اليمن وأنسـاب حمير ، تحقيق محـمد بن علي الأكوع ، مطبعة السنّة المحمّدية القاهرة ١٩٦٦ ج٢/٣٢٨ .

٢ ــ المصدر نفسه ج٢ / ٣٢٨ .

معن بن زائدة
في حاشية أبو جعفر المنصور

استدعى أبو جعفر المنصور معن بن زائدة إلى بغداد وكان قد بناها حديثاً وانتقل إليها[1] ؛ فعلم معن أنه يريد أن يعزله ، فاستخلف على ولايته ابنه « زائدة بن معن » وعاد في أوائل عام(١٥١هـ) ومعه جماعته من حاشيته وفرقة من عسكرة ، وعلى مقدمتها يزيد بن مزيد ومكث أشهراً ، في بغداد ، كان خلالها يدخل على المنصور كل يوم مع رجال دولته ، وقد روت لنا كتب الأدب بعض ما كان يدور من أحاديث طريفة بين الرجلين ، وفي تلك المجالس ؛ تشير إلى أن معناً كان يتحدث مع صاحبه بطلاقة ظاهرة وجرأة نادرة لا ضعف فيها ولا إلتواء ؛ فيغضبه تارةً ويسترضيه أخرى [2] .

ومّما ورد عنه في عودته أن ثلةً من بطانة المنصور كان فيهم معن أخذوا يتجاذبون أطراف الحديث وهم ينتظرون الإذن بالدخول على الخليفة وكان موضوع حديثهم الحجاج بن يوسف الثقفي وقد أثنى عليه معن . فلما دخلوا على الخليفة نقلوا إليه صورة ما جرى بينهم من أمر النقاش فأيد الخليفة مادح الحجاج ، وتعجب من ذامه . وقال : إن الحجاج « استكفاه قوم فكفاهم ووالله لوددت أني وجدت مثل الحجاج حتى استكفيه أمري وأنزله أحد الحرمين » فقال له معن : يا أمير المؤمنين إنَّ لك مثل الحجاج عدة لو استكفيتهم كفوك ؟

قال : ومن وهو ؟ كأنك تريد نفسك !

---

١ ـ انتهى المنصور من بناء بغداد عام (١٤٨هـ) وجعلها عاصمة دولته .

٢ ـ تاريخ اليعقوبي / لليعقوبي ج ٢/ ٣٧٢ .

قال : أن أردتها فلم أبعد من ذلك .

قال : كلا لست كذلك ، وإن الحجاج إئتمنه قوم فأدى إليهم الأمانة وإنا ائتمناك فخذلتنا » [١] .

ولا شك في أن الخليفة أشار بالخيانة هنا إلى ما كان يعطيه معن للشعراء الذين قصدوه ، وما بذله من أموال لمن يطلب جائزته وينشد كرمه . ولم يبعث بهذه الأموال إلى ميزانية الدولة في بغداد ، وللشعراء في مدح جوده ونواله قصائد كثيرة لا تُعدُّ ، وقلَّ من شعراء عصره من لم يمدحه ليحظى ببذله وعطائه الجزيل [٢] ولم يكن سخاؤه هذا مقتصراً على المادحين ، ولكنه شمل كل قاصدي فضله ممن يعرفهم أو لا يعرفهم ، وقد روت كتب الأدب والأخبار الشيء الكثير عنه في هذا الباب [٣] وربما كانت فلسفته الخاصة في هذا الفيض من الكرم ، أسمى ما يمكن أن تتصف به الفتوة العربية وقد لخصها هو في بيتين من نظمه فقال :

وعاذلتـــي تجنـى فـي المـلام	لتجعلنـــي مـن القـوم الطغـام
دعيـني أنهـب الأمـوال حـتى	أعف الاكرمـين عـن اللئـام[٤]

وقد صدق ، فليس من شيءٍ أثقل وطـأةً على نفس الكـريم من أن يحتاج إلى لئيم ، كما ليس من فضـلٍ في الحياة أنبل من إغناء الكريم عن اللئيم ، إذا جاء ذلك من غير منّة .

---

١ ــ تاريخ الطبري / للطبري ج٨ / ٦٩ .
٢ ــ يزيد بن مزيد الشيباني / د. عبد الجبار الجومرد ٦٩ ، ٧٠ .
٣ ــ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ / ٣٣٤ .
٤ ــ معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢٤ .

ومن طريف ما يروى عن نباهته ، وسرعة بديهته ، أنه دخل ذات يوم على الخليفة المنصور في مجلسه ، فنظر إليه المنصور حانقاً وقال له : « هيه يا معن ، أي سرف هذا الذي أنت فيه ؟! تعطي شاعراً مائة ألف درهم على قوله فيك .

معن بن زائدة الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان

فقال معن : ما لهذا أعطيته المال ، ولكن لقوله في القصيدة :

ما زلت يوم الهاشمية معلناً بالسيف دون خليفة الرَّحمن

فمنعت حوزته وكنت وقاءه من وقع كل مهند وسنان

قال المنصور : حسن .. ثم صار ينظر إليه بإعجاب[1] وكان معن قد بلغ السبعين من عمره ، يوم حسنت حاله عند الخليفة المنصور وهي مرحلة من العمر طويلة ، لم يقطعها صاحبنا في هدوءٍ ودعةٍ وراحة بال ، ولكنها كانت مشحونة بالأزمات والحروب ، والاغتراب والتشرد ، والأهوال والمخاطر ، ويقيناً لو أن غيره من الرّجال لاقى من عنت الأيام وصراع الدهر ما لاقاه ثم سكن له الزمن ، وهدأت غوائله ، لأنطوى على نفسه وخلد إلى الهدوء والاستقرار ولكن معناً كان من جبابرة الرّجال ومن بُناة التاريخ ، أبت عليه عزيمته وهمته الصلبة إلا أن يكتب لنفسه صفحاتٍ أخرى في سجل تاريخ بني العباس كتلك التي سطرّها في تاريخ بني أمية كما مرّ معنا سابقاً . وكان حظه في هذه المرحلة أسعد منه في تلك ؛ إذ لم يعد وحيداً في مجالات السياسة والحرب ، ولكن نخبة ممتازه من أبنائه وبني إخوته وذوي قرباه ، كانوا قد نشأوا في ظل بيته ، فضمهم إليه وأظلهم تحت رايته ؛ ثم عجم عيدانهم ، واختار أجدرهم بحمل الأعباء ، فكان في مقدمة من اختار ، يزيد بن مزيد بن زائدة الذي توسّم فيه معن مخايل النبوغ والرياسة منذ صغره وفي رواية أوردها المسعودي خطأ على أنها وقعت

١ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ / ٣٣٤ .

لمعن بن زائدة زمن الرّشيد ، ووجه الخطأ فيها أن معناً كان قد مات قبل استخلاف الرشيد ومن المؤكد أنها وقعت في زمن أبي جعفر المنصور[1] .

وهذه الرواية تظهر معناً وقد تقدمت به السن إلا أنه كان ما زال قوياً جلداً وكان يدخل على الخليفة على جاري عادته ؛ فدخل يوماً يمشي متقارب الخطو فانتبه إليه الخليفة .

فقال له : كبرت والله يا معن !

قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنَّ فيك على ذلك لبقية .

قال : هي لك يا أمير المؤمنين .

قال : وإنك لجلد .

قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين .

فولاه بعدها ، والأرجح أنه ولاه سجستان إذ قتل هناك ولم يعد منها .

وقد نقل كلام معن كما نقلت وقائعه وأخبار كرمه وعطاياه فسمعه أحد زهاد البصرة وهو عبد الرحمن بن زيد فقال : « ويح هذا ما ترك لرّبه شيئاً »[2] وقد أساء هذا التعليق إلى سمعة معن إذ نقلت كتب الأسمار والأدب أن معن ضعيف العقيدة وقد بينت ذلك سابقاً .

---

١ ـ مروج الذهب للمسعودي ، ج٣/٣٤٩ .

٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥/٢٤٧ .

٣ ـ المستجاد من فعلات الأجواء / للتنوخي أبو علي بن الحسن بن علي القاضي (ت ٣٨٤هـ) تحقيق محمد كرد علي ـ دمشق ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م ص ٢٥٢ .

٤ ـ الآمالي للمرتض ج١/٢٧٦ .

تولية معن بن زائدة لسجستان

نقلت المصادر الأدبية والتاريخية أن تولية معن بن زائدة على اقليم سجستان في أقصى الشرق من دولة المنصور على تخوم بلاد الأفغان كانت في سنة (١٥١هـ) في شهر شعبان[١] وذلك ليضرب على أيدي المتمردين هناك ويقضي على عصابات الخوارج التي راحت تعبث بالأمن بمساعدة «أرتبيل» التركي المسيطر على نواحي «الرخج» وما جاورها من الجبال الصعبة وراء الحدود[٢] وكان على المنصور أن يقدّر شيخوخة هذا القائد الشيباني الجريء، وقد جاوز الثمانين، فلا يكلفه مثل هذه المهمة الشاقة، التي تعجز أمامها عزائم الشباب، ولكن رجولة معن أبت عليه أن يعتذر؛ فزحف بجيشه العربي، في أوائل عام (١٥٢هـ) وعلى رايته يزيد بن مزيد الذي بلغ غايته وعندما وصل معن بن زائدة سجستان عزل عبيدالله بن العلاء ومعاونيه وبعث بيزيد بن مزيد إلى رخج، ثم لحق به وأرسل زنبيل الهدايا إليه من أواني فضية وأقبية تركية من الحرير وأشياء لطيفة. فكر معن قليلاً ثم غضب وعندما وصل إلى بست، جاءه يزيد بن مزيد ابن أخيه وأمره ان يقطع الطرق حتى وصله خبر مجيء زنبيل فهجم بجيش كثيف فعّال، وحمل عليهم، وأسر ثلاثين ألفاً منهم في مكان واحد، وطلب صهر زنبيل الأمان، وجاء أمام معن فأعطاه الأمان وأمنّه وكان اسم هذا الصهر «ماويد» وأخذه معه إلى سجستان، وأرسله مع جمع كبير من أعوانه - إلى المنصور مكرمين معززين، فأحسن المنصور وفادته، وأمر أن يدرج اسمه والعسكر المرافقين له بديوان الجند. وقرر لهم مواجب الجند، وأوقف معن في أثناء عودته، أهل بست جميعاً، ثم جاء إلى سجستان وهذه هي العادة التي كان يتبعها مع الناس. وقد أثار

---

١ ـ نقلاً عن الواقدي نقلها الطبري.

٢ ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥/٣٤.

ذلك أهل سجستان ، وكتب عبيدالله بن العلاء إلى المنصور شاكياً ، ولكنهم أمسكوا بالرّسالة في الطريق ، وأحضروها إلى معن ، واستدعى عبيدالله بن العلاء ، وسأله عن هذه الرسالة ، فأنكر فأمر بجلــده أربعمائة جلده ، وضـرب أعناق شركائه في هذا العمل ، فاشتروا أنفسهم بدفع فدية كبيرة . ثم أخذ أربعين رجلاً من هؤلاء الخوارج وقيدهم بالسلاسل وأرسلهم إلى بست ، وأمر أن يكون عملهم أن يبنوا له قصراً[1] .

ونعود الآن إلى يزيد بن مزيد الذي قاتل الخوارج ، فأثخن فيهم وبدد شمل عصاباتهم ، وشرّد فلولهم في البلاد . ثم أرسل إلى « أرتبيل » ، يأمره بدفع الجزية ، فامتنع ، فمشى إلى حربه ، وأرسل طلائعه بقيادة يزيد بن مزيد فلم يكد يباشر قتاله حتى هرب ، فاقتحم يزيد الجبال وراءه يريد قتله أو أسره ، ودخل معن منطقة « الرخج » فاحتلها وزحف إلى « زابلستان » فاستولى عليها ، وراح يكتسح المدن والقرى حتى بلغ مدينة « غزنة » ففتحت أبوابها أمامه فأسر وسبى ، وأصاب أموالاً كثيرة . بعث بها إلى بغداد . ثم عاد إلى مقرّ إمارته في مدينة « بست » وأقام فيها[2].ولكن الخوارج أبوا إلا أن يثأروا منه ، وينتقموا لضحاياهم ، فأرسلوا عدداً من رجالهم اندسوا بين العمال الذين كانوا يبنون القصر حتى إذا وصل البناء إلى السقف أخفوا سيوفهم في القصب ثم دخلوا عليه بيته وهو غافل يحتجم ، فهاجموه على حين غرّة ، فهرب من كان في الدار من الخدم ، وبقي وحده يقاومهم بغير سلاح حتى أثخنوه بالجراح[3] فسقط قتيلاً . وفي رواية أخرى أن جماعة من الخوارج تعاهدوا على قتله مكابرة ، وما أن وصل معن إلى بست ، وولج هذا القصر الذي كانوا قد بنوه له ، وصعد إلى سطحه ، وجلس

---

١ ــ سجستان بين العرب والفرس للدكتور احمد الخولي ـ دار حراء القاهرة (د.ت) ص ٢٠٥ .

٢ ــ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥ / ٣٤ .

٣ ــ شق بعضهم بطنه بخنجر كان معه وقال أحدهم لما ضربه أنا الغلام الطاقي .

يشرب حتى خرج عليه هؤلاء الخوارج الذين كانوا قد تبايعوا على قتله ، وقد خبأ كل منهم انبوباً في ـ عباءته ـ يطاول رقبته . وفي كل منها سيف مجرد ، وقالوا للحاجب نحن الذين أقمنا هذا البرج ، ولما منعهم الحاجب صاحوا قائلين أنت تمنع عنا عطاء الأمير ، وسمع معن صيحتهم . فقال لهم ادخلوا ، فدخلوا ومعهم تلك الأنابيب ولما واجهوه ، أخرجوا السيوف من أغمادها وقصدوه فأخذ يتذرع بوسادة من أمامه ولكنهم أحدثوا به جروحاً كثيرة ثم مزقوا أمعاءه إرباً إرباً ، وكان معن مترهل البطن من السمنة ودفنوه في بست يوم الخميس التاسع من ذي الحجة من العام الثاني والخمسين بعد المائة من الهجرة[1] وفي رواية أن من قتل معن بن زائدة هما ابني الملك عمرو بن عبدالله الذي قتله معن غيلة كما تقول الرواية ، فلما بلغا سمت بهما همتهما إلى الأخذ بالثأر فركبا الأخطار واعتسفا المشاق حتى وصلا ولاية (معن) بعد عزله من اليمن ، وهو بسجستان ومقر إمارته مدينة (بُست) فأقاما عند بعض اليمانية ، وتحايلا للوصول إلى « معن » بكل حيلة ، ولم يتمكنا ، وكان معن يبني داراً ، فدخلا من جملة العمال ، فأقاما سنة . لا يجدان منه غرّة حتى دخل معن بعض البيوت لقضاء حاجته وكان قد احتجم ذلك اليوم ، فتبعه محمد وبيده مدية مسمومة قد أعدها لذلك ، فنثر جشوته وغمز أخاه وخرجا واختفيا لدن ذلك اليماني في بئر قد أعدت لهما ، ومكثا وقتاً حتى هدأ الطلب وخف البحث ، ثم قصدا الشام ، فتلقاهما بنو حوشب الحميريين وأنزلوهما منازل العز والكرامة ، ثم كتبوا لهما إلى يمانية مصر فأقاما برهة وركبا البحر من القلزم ، فلما وصلا ثغر عدن ، حتى التفّت حولهم وجوه اليمن واشرافه . ودخلا عدن بزحمة من الكتل البشرية التي تنتظرهم ، وفي وسط موجه من السرور والفرح وعاصفة من الهتافات وعبارات التكريم ، ثم توّجوا محمداً ملكاً على حضرموت ، وضربت به العرب المثل في بعد المغار لطلب الثأر ، وقيلت في ذلك أشعار كثيرة ، منها قول شاعر معن مروان بن أبي حفصة من مرثيته لمعن .

---

١ ـ سجستان بين العرب والفرس للدكتور احمد الحولي ص ٢٠٧ .

ولــو أن أم الحضــرمي تلفعــت بثـوبين فـي داج من الليــل دامس
لغالك أن شاءت كما غالك ابنهـا وقد يقتل المغرور أضعف لامس[1]

وكان يزيد بن مزيد بعيداً عن موقع الحادث وسمع بما جرى لعمه الشيخ ، فأقبل مفجوعاً ، وأغار بكتائبه على أوكار الخوارج فنسفها ، وهاجم قراهم ومنازلهم ، وحاصر جموعاً منهم فأبادها ، ثم تتبع فلولهم في البلاد[2] حتى توارت بقاياهم عن الانظار ، وعاد وقد أهلك منهم خلقاً كثيراً ، وأثار بينه وبينهم أحقاداً وضغائن لا تنسى على مدى الأيام[3] وذاع نبأ مصرع معن في عاصمة الدولة ، وفي بلاد العرب فبكاه صحبه وأسف عليه معارفه لما كان يتصف به من شيم الفتوة ، والرّجولة النادرة ، والمكارم الحميدة ، ورثاه كبار الشعراء ، فجاءت مراثيهم له كمدائحهم فيه صوراً صادقة لعواطفهم يوم كان يغنيهم بفيض أمواله ، ويسرهم بما يدر من الخير على البائسين المعوزين وقد بقيت قصائدهـم فيه حتـى يومنا هذا ، أثراً خالداً من تراثنا الأدبي . وسمع الخليفة المنصور بما حلّ بمعن وكيف ثأر له يزيد من قاتليه الخوارج وهم أعداء الدولة ، فعقد له على ولاية سجستان ليسد الفراغ الذي تركه عمه ، وكانت ولاية سجستان تابعة لإدارة ولي عهد الدولة « محمد المهدي » بن المنصور فتعاون يزيد معه ، وتمت بينهما صلات طيبة من التفاهم والتقارب واشتد يزيد بن مزيد على سكان سجستان وبقي يزيد بن مزيد مدة طويلة هناك ، ثم كتب رسالة ، وأعطاها لواحد من أعوانه من قبيلة بكر بن وائل ليذهب بها إلى المهدي . وفحواها حديث جماعة أرادت أن تضع خراجها في سجستان من بني بكر بن وائل وعندما وصل إلى

---

١ ـ الأكليل / تصنيف لســان اليمن أبــي محمد الحســن بن احمد بن يعقوب الهمذاني (ت ٣٦٠هـ) تحقيق محمد بن علي الأكوع بن الحسين الحوالي ط٣ / ١٩٨٦ شركة التنوير للطباعة والنشر ص ٣٢٧ ، ٣٢٨ .

٢ ـ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٤ / ٣٣٤ .

٣ ـ المصدر نفسه ج٤/٣٣٤ .

البلاط احتال بعض الحاسدين على يزيد بن مزيد ، ودفعوا عشرة آلاف درهم لهذا الرجل ، وزوّرا رسالة يزيد بن مزيد وجعلوها باسم المنصور وفحواها « أعطني أمراً ، اجعل سجستان لك ، فليس للمهدي عليّ من سبيل » وقرأ المنصور الرسالة وغضب ، وأعطى الرسالة للمهدي قائلاً : « هذه رسالة عاملك » فعزله المنصور وولى مكانه تميم ابن عمر اليتمي من تيم الله[1] وكان عاملاً على هراة ، وأصله من سرخس ، ووصلت الرسالة إلى هراة ، فجاء إلى سجستان في العام الثالث والخمسين بعد المائة من الهجرة ومعه الجرّاح بن زياد بن همّام . وكان لتميم بن عمر صحبة مع المنصور في رحلة للحج هو له فيها رفيق في المحل والمراكب . فقيّد يزيد بن مزيد وحبسه ، واحتال يزيد إلى أن هرب ، واتجه إلى بغداد حيث توارى لفترة أراد بعدها أن يعبر جسراً فإذا بجماعة من خوارج سجستان يلتقون به فجأة ، ويكتشفون شخصيته ويقع قتال بين الطرفين ، قتل فيه يزيد عدداً منهم ، فكأنه بذلك قد أدى عملاً كبيراً[2] فأعادوه إلى خرسان . وقد اجتمع في ولاية تميم بن عمر على سجستان خوارج كثيرون وقوي أمرهم وقتلوا الحضين بن محمد في يوم عاشوراء في المحرم من العام السادس والخمسين بعد المائة من الهجرة ، ووصل الخبر إلى المهدي ، فأعاد تميم بن عمر ثانية إلى هراة وعهد بسجستان ثانية إلى عبيدالله بن العلاء وكان هذا في رمضان من عام مائة وثمانٍ وخمسين من الهجرة ، ومات أبو جعفر المنصور في يوم الثلاثاء قبل التروية وهو على

---

١ ـ تيم الله « حي من بني بكر يقال لهم اللهازم ، وهو تيم الله بن ثعلبة ، ومعنى تيم الله عبدالله جحاح اللغة . قد ذكر اليعقوبي هذا الشخص قائلاً : فوجه أبو مسلم تميم بن عمرو من بني تيم الله بن ثعلبة « كتاب البلدان : ٢٨٥)

٢ ـ سجستان بين العرب والفرس / دكتور احمد الخولي ص ٢٠٨ .

بئر زمزم ، بمكة المكرمة[1] في العام الثامن والخمسين بعد المائة من الهجرة وكان عمره ثلاثة وستين عاماً بعد أن تولى الخلافة لإثنتين وعشرين عاماً إلا يومين وصارت إقامة الحج بعد وفاته في هذه السنة لإبراهيم بن يحيى بن محمد[2] ونعود الآن إلى صاحبنا معن بن زائدة فيقول بعض المؤرخين أن المدة التي قضاها في سجستان لم تكن طويلة فبعضهم قال سنة وبعضهم قال سنتين ومع ذلك فإن ابن خلكان يذكر « أن له فيها آثاراً ومجريات ، وقصده الشعراء بها »[3] ولعل شهرة معن وهو في اليمن قد أذاعها الشعراء بشعرهم ونقلها الرّواة شرقاً وغرباً جعلت الناس على علم بمقر عمله الجديد في سجستان فتقاطروا عليه كما فعلوا باليمن ، وإلى هذا أشار ابن خلكان بقوله السابق . وفي إحدى روايات الخطيب البغدادي عن ولايته هذه ذكر أذربيجان وهو يقصد بلا شك سجستان ، لأن يزيد بن مزيد تولى أذربيجان ، أما معن فلا ، ولم تتأيد برواية أخرى أقدم منها أو بعدها [4] .

ويقال أن قوماً من أهل الكوفة قصدوا معن في سجستان فلما صاروا ببابه استأذنوا عليه فدخل الإذن .

فقال : أصلح الله الأمير ، بالباب وفدٌ من أهل العراق .

قال : من أي أهل العراق ؟

قال : من الكوفة .

قال : إئذن لهم .

---

١ ــ سجستان بين العرب والفرس / دكتور احمد الخولي ٢٠٩ .

٢ ــ المصدر نفسه (٢٠٩) وانظر تاريخ خليفة بن خياط ج٢ / ٤٦٣ .

٣ ــ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج٥ / ٦٠٦ .

٤ ــ وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥ / ٢٤٩ .

فدخلوا عليه فنظر إليهم معن في هيئة زرية ، فوثب على أريكته وأنشأ يقول :

إذا نوبة نابـت صديقـك فاغتنـم — مرمتهـا فالدهـر بالنـاس قلـب
فأحسن ثوبيك الـذي هـو لابس — وأفره مهريك الـذي هو يركـب
وبـادر بمعـروفٍ إذا كنت قادراً — زوال اقتـدار أوغنى عنك يعقـب

فوثب إليه رجلٌ من القوم .

فقال : أصلح الله الأمير ألا أنشدك أحسن من هذا .

قال : لمن ؟

قال : لابن عمك ابن هرمة[1]

قال : هات .

قال .

وللنفس ثارات تحـل بها العـرى — وتسخو عن المال النفوس الشحائح
إذا المرء لم ينفعـك حيـاً فنفعـه — أقل إذا ضُمـت عليـه الصفائـح
لأيـة حـال يمنـع المـرء مالـه — غداً فغدا والمـوت غـادٍ ورائـح

فقال معن : أحسنت والله ، وإن كان الشعر لغيرك ، يا غلام أعطهم أربعة آلاف يستعينون بها على أمورهم إلى أن يتهيأ لنا فيهم ما نريد .

فقال الغلام : يا سيدي أجعلها دنانير أم دراهم ؟

فقال معن : والله لا تكون همتك أرفع من همتي صفرها لهم[2] .

---

١ ـ ابن هرمة : ابراهيم بن علي الكناني القرشي ، شاعر غزل من سكان المدينة من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية توفي سنة ١٧٦هـ ـ الاعلام للزركلي ج١ / ٤٤ .

٢ ـ تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، ابو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) دار الكتب العلمية بيروت (د.ت) ج ١٣ / ٢٣٧ .

أخبار معن بن زائدة

إنَّ أخبار معن مبعثرة في بطون كتب الأدب باختلاف أشكالها من آمال أو مجاميع شعر أو أخبار أدبية وأسمار نقلها بعضهم عن بعض بنصوصها أو باختلافٍ بسيط في الفاظها شعراً أو نثراً مع المحافظة على أصل الخبر . إلا أن أغلبها يذكر الاخبار دون تحديد لمكان الخبر أو وقته ومن هذه الأخبار .

في اصطناع المعروف وإغاثة الملهوف

سعى رجلٌ من أهل الكوفة في فساد دولة المنصور[1] فعلم به وجعل لمن أدركه ودلّه عليه مائة ألف درهم ، فأقام الرّجل حيناً مختفياً ، حتى أمضَّهُ الاختفاء ، ثم ظهر في مدينة السلام ، فبينما هو يمشي في الشوارع إذ رآه رجل من أهل الكوفة ، فعرفه فأخذ بمجامع ثيابه ونادى : هذا طُلبة أمير المؤمنين . فبينما الرجل على تلك الحالة وقد اجتمع الناس عليه إذ سمع وقع حوافر الخيل من ورائه فالتفت ، فإذا هو « معن بن زائدة » فقال : يا أبا الوليد ، أنا في جيرتك . فوقف وقال للرجل الذي هو معلقٌ به : ما شأن هذا ؟

قال : هذا بغية أمير المؤمنين الذي هدر دمه وجعل لمن دلَّ عليه مائة ألف درهم .

فصرخ معن في الرجل وقال : دعه !

ثم قال : يا غلام ، أردفه فأردفه خلفه وساق .

---

١ ـ القصة ذكرها ابن حجة الحموي في كتابه ذيل ثمرات الأوراق ص ١٦٧ ، وذكرها ابو اسحاق الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص ١٧ ووردت في اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس ص ٩٣ وفيها أن الرجل سعى في فساد دولة المهدي لا « المنصور » والصحيح أنه سعى في فساد دولة المنصور وليس المهدي وإنما المهدي كان أميراً آنذاك والدليل هو أن معناً مات في خلافة أبي جعفر المنصور .

فصاح الرجل وقال : أيحال بيني وبين طلبةُ أمير المؤمنين ؟

فنادى بأعلى صوته : ارجع عنه ، ولم يزل عائطاً[1] إلى أن وصل باب أمير المؤمنين .

فنادى بأعلى صوته : نصيحة لأمير المؤمنين .

فأمر المنصور ـ رحمه الله ـ بإحضاره ، فدخل عليه وأخبره الخبر فأمر بإحضار « معن » فأتته الرُّسل ، فدعا « معن » ببنيه وعبيده وقال : لا تسلموا هذا الرّجل ومنكم أحد يعيش ، ثم سار إلى المنصور ، فدخل وسلّم ، فلم يرد عليه .

فقال : يا معن ، أتجير علينا عدوّنا ؟

قال : نعم ! يا أمير المؤمنين .

قال : وتعتذر بنعم أيضاً ، واشتد غضبه .

فقال معن : يا أمير المؤمنين بالأمس بعثتني إلى اليمن في مقدمة الجيش ، قتلت في طاعتك في يوم واحـد عشر آلاف نفس وفي رواية أخرى « أنه قتل خمسة عشر ألفاً » ولي مثله كثير ، أما رأيتموني أهلاً أن تجيروا لي رجلاً واحداً ، استجار بي ودخل منزلي . فسكن غضب المنصور ، وقال : قد أجرنا من أجرت يا أبا الوليد[2] .

قال معن : فإن رأى أمير المؤمنين أن يصله بصلة يعلم بها موقع الرضى منك عنه ، فإنه في غاية السوء من خوفه .

قال : قد أمرنا له بخمسين ألف درهم .

---

١ ـ عائطاً : باكياً .

٢ ـ أبا الوليد : كنية معن .

قال : يا أمير المؤمنـين ، إنّ صلة الخلفـاء على قدر جنايـات الرعيّة ، وإنّ ذنب الرّجل عظيم ، فأجزل له العطية .

قال : يا « معن » قد أمرنا له بمائة ألف درهم .

قال : عجّلها يا أمير المؤمنين ، فإنّ خير البر عاجله .

فأمر المنصور بتعجيلها ، فأُحضرت بين يديه ، فأحضر « معن » ذلك الرجل ، وقال له : خذ صلة أمير المؤمنين ، وقبِّل يده ، وإياك ومخالفة الخلفاء في أرض الله .

قال : فأخذ الرجـل المال ، واسـتغفر الله ـ تعالـى ـ ثم ذهب ، وقد أمن على نفسه ، وهو شاكر لـ « معن بن زائدة » على فعله من الخير والمعروف[1] .

لقد كان ذلك الرجل شؤماً

خرج معن بن زائدة في جماعة من خواصّه للصيد ، فاعترضهم قطيع ظباء فتفرقوا في طلبه وانفرد معن خلف ظبي حتى انقطع عن أصحابه ، فلما ظفر به نزل فذبحه ، فرأى شيخاً مقبلاً من البرّية على حمار ، فركب فرسه واستقبله ، فسلم عليه .

فقال : من أين ؟ وإلى أين ؟

قال : أتيت من أرض لها عشرون سنة مجدبة وقد اخصبت في هذه السنة ، فزرعتها مقثأة فأخرجت القثاء في غير أوان ، فجمعت ما استحسنته وقصدت به معن ابن زائدة لكرمه المشهور ، وفضله المشهور ، ومعروفه المأثور ، وإحسانه الموفور .

قال : وكم أمّلت منه ؟

---

١ ـ إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس : ٩٣ .

قال : ألف دينار .

قال : فإن قال لك كثير ؟

قال : خمسمائة .

قال : فإن قال لك كثير ؟

قال : ثلاثمائة !

قال : فإن قال لك كثير ؟

قال : مائة .

فما زال به حتى قال : لا أقل من الثلاثين .

قال : فإن قال لك كثير ؟

قال : ادخل قوائم حماري في عينه ، وارجع إلى أهلي خائباً ، فضحك معن وساق جواده حتى لحق بأصحابه ، ونزل في منزله ، وقال لحاجبه : إذا أتاك شيخٌ على حمار بقثاء فادخل به عليٍّ ، فأتى الرجل بعد ساعة ، فلما دخل عليه لم يعرفه لهيبته وجلاله وكثرة حشمه وخدمه ، وهو متصدر في دسته[1] والخدم قيامٌ عن يمينه وشماله وبين يديه . فلما سلّم قال : ما الذي أتى بك يا أخا العرب ؟

قال : أمّلت فضل الأمير ، وأتيته بقثاء من غير أوانه .

فقال : كم أمّلت فينا ؟

قال : ألف دينار .

قال : كثير

---

[1] ـ دسته : صدر المجلس .

قال في نفسه : والله لقد كان ذلك الرجل شؤماً عليّ ، ثم قال : خمسمائة دينار .

قال : كثير .

ثم ما زال به إلى أن قال : خمسين ديناراً .

فقال له : كثير .

فقال : لا أقل من الثلاثين .

فضحك معن . فعلم الاعرابي أنه صاحبه .

فقال : يا سيدي ، إنّ لم تجب إلى الثلاثين فالحمار مربوط بالباب وها هو ذا معن جالس .

فضحك معن حتى استلقى على فراشه ثم دعا بوكيله .

فقال : أعطه ألفاً ، وخمسمائة ، وثلاثمائة ، ومائة ، وخمسين وثلاثين ، ودع الحمار مكانه[1] .

---

١ ـ قصص العرب : محمد جاد المولى وآخرون ج٣/٢٤٥ ، ٢٤٦ .

رجل يسمي طفله معناً

ويبدو أن أخبار جوده دفعت بعض الناس إلى التفنن في استدرار عطفه وإثارة أريحيته فقد ورَّد عنه أن أعرابياً أتاه يحمل نطعاً[1] فيه صبي حديث الولادة فوضعه أمام معن وأنشد :

سميت معناً بمعن ثم قلت له ... هذا سَمِّي فتىً في النّاس محمود

أنت الجواد ومنك الجود أوّله ... فإن فُقدت فما جود بموجود[2]

أضحت يمينك من جود مُصوَّرة ... لابل يمينك منها صورةُ الجود[3]

قال معن : كم الأبيات ؟

قال : ثلاثة .

قال : أعطوه ثلاثمائة دينار . لو كنت زدت لزدناك .

قال : حسبك ما سمعت ، وحسبي ما أخذت [4] .

وقد وردت هذه الرواية بشكل آخر[5] قيل أن صاحبها كان من جُلاس معن ثم انقطع عنه فلما حضر على عادته سأله معن عن تأخره فأخبره بأنه شُغل بمولوده الجديد فسأله عن اسمه فقال له : سميت معناً وذكر بيتاً من الشعر هو :

---

١ ـ النطع : الجلد .

٢ ـ ورد هذا البيت في رواية اخرى هكذا (أنت الجواد ومنك الجود نعرفه : ما مثل جودك معهود وموجود)

٣ ـ ورد هذا البيت في رواية اخرى (أمست يمينك منها صور الجود : لا بل يمينك منها صور الجود)

٤ ـ تاريخ بغداد ـ الخطيب البغدادي ج١٣/ ٢٣٩.

٥ ـ المختار من نوادر الأخبار للانباري : شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد المنوي المكتبة العصرية بيروت (١٩٩٤) تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ج١/٢٥٤ .

وانظر الامالي لأبي علي اسماعيل القاسم القالي البغدادي ج١/٢٥٣ ، دار الكتب العلمية .

ويقال أن الشاعر الذي قال هذه الابيات هو أبو بكر الانباري .

سميت معناً بمعن . ثم قلت له   هذا سميٌ عقيد المجد والجود

فقال معن لغلامه أن يعطيه ألف دينار ، وسأله أن يقول غير هذا البيت فقال :

سما بجودك جود الناس كلهم   فصار جودك محراب الأجاويد

فأمر غلامه باعطائه ألفاً أخرى وسأله أن يقول بيتاً آخر فقال :

أنت الجواد ومنك الجود أوله   فإن فقدت فما جود بموجود

فأمر له بألف آخر وطلب أن يقول بيتاً آخر فقال :

من نور وجهك تضحى الأرض مشرقةً   ومن بنانك يجري الماءُ في العود

قال : يا غلام أعطه ألف دينار ، وقل بيتاً آخر ، فقال الغلام : لا تقل شيئاً بعد ذلك ، والله لم يبق في بيت المال إلا ما أخذت ، ثم انصرف بأربعة آلاف[1] .

أم اسماعيل بن جامع ومعن بن زائدة

ويكنى ابن جامع أبا القاسم ، وأمه امرأة من بني سهم ، وتزوجت بعد أبيه رجلاً من أهل اليمن . فذكر هارون بن محمد بن عبدالملك الزيات عن عون حاجب معن ابن زائدة قال : رأيت أم ابن جامع وابن جامع معها عند معن بن زائدة وهو ضعيف يتبعها ويطأ ثوبها وكانت من قريش ومعن يومئذٍ والياً على اليمن .

فقالت : أصلح الله الأمير . إن عمي زوجني زوجاً ليس بكفء ففرِّق بيني وبينه .

قال : من هو ؟

قالت : ابن ذي مناجب .

قال : عليَّ به .

---

١ ـ المختار من نوادر الأخبار للأنباري ، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد المنوي/ المكتبة العصرية ، بيروت (١٩٩٤م) تحقيق الدكتور أنور أبو سويلم ج١/٢٥٤ .

قال : فدخل أقبح من خلق الله وأشوهه خلقاً .

قال : من هذه منك ؟

قال : امرأتي .

قال : خلِّ سبيلها ففعل .

فأطرق معن بن زائدة ساعة ثم رفع رأسه فقال :

لعمري لقد أصبحت غير محبَّب ... ولا حسن في عينها ذا مناجب

فمالتها لما تبينت وجهه ... وعيناً له حوصاء من تحت حاجب

وأنفها كأنف البكر يقطر دائباً ... على لحية عصلاءَ شابت وشارب

أتيت بها مثل المهاة تسوقها ... فيا حسن مجلوبٍ ويا قبح جالب

وأمر لها بمائتي دينار ، وقال لها : تجهزي بها إلى بلادك [1]

معن بن زائدة وابن أبي سبرة

أمر مَعن بن زائدة لأبي بكر بن عبدالله بن أبي سبرة بأربعة آلاف دينار . فلما قبضها قال : إنَّ لله خزائن وإنك من خزائنه [2] .

عتاب معن بن زائدة لمحمد بن عبدالله بن المقفع

عاتب معن بن زائدة ، محمد بن عبدالله بن المقفع على أمر بلغه عنه ، وهو ساكت ، فلما قضى كلامه قال : جعلني الله فداك ذنب مضى وأدب مستقبل[3] .

---

١ ـ الأغاني / للأصفهاني ج٦/٣٠٥ .

٢ ـ أخبار القضاة / لوكيع ، محمد بن خلف بن حيان (ت٣٠٦هـ) عالم الكتب ، بيروت (د.ت) ج٣/٢٥٣ ، ٢٥٤ .

٣ ـ الفاضل في صفة الأدب الكامل / للوشاء ، ابو الطيب محمد بن احمد (ت ٣٢٥هـ) تحقيق يوسف يعقوب مسكوني ، بغداد ١٩٧٠ ص ٩٧ .

معن بن زائدة وصاحب الخشبة

ذهب أحد الشعراء إلى معن بن زائدة ، فأقام ببابه يوماً فلم يأذن له أحد بالدّخول ، فقال لبعض غلمانه ما بال الأمير لم يركب .

قال : إنه في البستان مُختلٍ ، فأتى الشاعر إلى البستان فوجد نهراً من الماء داخلاً إليه ، فأخذ خشبة وكتب عليها بيتاً من الشعر :

أيا جود معن ناج معناً بحاجتي   فما لي إلى معن سواك رسول

ثم ألقاها في الماء الذي يدخل البستان ، وكان معن جالساً على رأس النهر فلما رأى الخشبة أخذها وقرأها فأمر بدخول صاحبها وقال له : كيف قلت ؟ فأنشده البيت فأعجبه كثيراً ودفع له مائة ألف درهم ، ثم وضع الخشبة تحت بساطه ، فلما كان في اليوم الثاني أخرجها وقرأها ، ودعا بالرجل فدفع له مائة ألف درهم ، فلما كان في اليوم الثالث قرأها ودعا به فدفع له مائة ألف درهم ، فلما أخذها تفكر في نفسه ، وقال أخاف أن يرتجعها مني فأخذ المال وذهب فلما كان اليوم الرابع أخرجها وقرأها وطلب الرجل فأخبر أنه انصرف فقال : ما أقل سعده من شاعر لقد وجبَّ عليَّ أن لا يكون في خزائني درهم إلا ملكته إياه [1] وقد أورد التنوخي رواية (جعل معناً فيها والياً على البصرة) وهي تتعلق بكرمه وهذا خطأ تاريخي [2] والظاهر أن هذه القصة مفتعلة إذ لو كان الشاعر معروفاً لاشتهرت هذه القصة ، ولكانت هناك قصيدة لا بيت واحد فكيف بشاعر مجهول ينال كل هذه الأموال ببيت واحد ؟

---

١ ـ المختار من نوادر الاخبار للانباري / ٧٤ ، ٧٥ .

٢ ـ المستجاد من فعلات الاجواد للتنوخي / ١٧٤ .

معن بن زائدة وصاحب العيال

وذُكر عن صاحب شرطة معن(١) قال : بينما أنا على رأس معن إذا هو براكب مجدٍّ يريد النزول بساحة معن فقال لحاجبه : لا تحجبه فجاء به ثم مثل بين يديه وقال أصلحك الله ثم أنشد :

أصلحـــك الله قـل مـــا بيـدي	فمـــا أُطيـق العـيال إذا كثـروا
ألح دهـــــر رمـــى بكلكلـــه	فأرســلـوني إليـك وانتظـروا

فقال معن : لاجرم والله لأُعجّلن أوبتك(٢) ثم قال : يا غلام ناقتي الفلانية وألف دينار ، فدفعها إليه وهو لا يعرفه(٣) .

معن بن زائدة والاعرابي

وقف أعرابي لمعن بن زائدة في طريقه فأنشده :

يــا واحـــد الــعرب الــذي	أضحـــى وليـس لـــه نظـير
لو كـــان مثلـك في الـــورى	ما كـــان فـي الدنيـا فقيـر

فأمر له بألفي درهم .

ومن (حكاياته أن رجلاً قال له إني جعلت فضلك سببي إليك وكرمك وسيلتي عندك قال : سل .

---

١ ـ الحكاية ذكرها ابن عبد ربــه في العقد الفريــد ج١/ ٣٠٨ ، ٣٠٩ صاحب القصــة هو خالد بن عبدالله القسري .

٢ ـ أوبتك : رجعتك .

٣ ـ تاريـخ بغـداد ، الخطيب البغـدادي ج١٣ / ٢٣٥ وانظر كتـاب الفاضـل في صفة الأدب الكامل للوشاء ص ٩٧ .

قال : الف درهم .

قال معن : قد أربحتني أربعة آلاف درهم وإني حدثت نفسي أن اعطيك خمسة آلاف .

فقال : أنت اكبر من أن تربح على مؤملك فأعطاه خمسة آلاف درهم وأنشده الأعرابي :

كتبت نعم ببابك حين تدعو ... إليك الناس مسفرة النقاب

وقلت ألا عليك بباب غيري ... فإنك لن ترى أبداً ببابي

فأعطاه ألف دينار(١) .

حلم معن بن زائدة

أما حلم معن ، فمعروف في كتب الأدب والسير فقد كان واسع الحلم ، واسع الصدر في غير مواطن الضعف والذلة ، وكثيراً ما قرنوا حلمه بحلم الأحنف بن قيس سيد بني تميم في صدر الاسلام فقالوا : « أحلم من أحنف ، وأحلم من معن بن زائدة » وقد غالى بعضهم في وصف حلمه ، فصاغ فيه الطرائف الأدبية وزعموا أن بعض معاصريه كان يراهن على جُعل لمن يستطيع إخراجه عن حلمه إلى طور الغضب مائة بعير فقال أحد الشعراء أنا اغيظه لكم ولو كان قلبه من حجر ، فراهنوه على مائة بعير يأخذها إن استطاع أن يُغضب معن ودفع مثلها إن لم يستطع ، فعمد الرجل إلى جمل فذبحه

---

١ ـ غرر الخصائص الواضحة وعرر النقائض الفاضحة للعلّامة الامام أبي اسحاق برهان الدين الكتبي المعروف بالوطواط ، دار صعب ، بيروت (د.ت) ص ٢٦٨ .

وسلخه ولبس الجلد مثل الثوب ، وجعل اللحم من الخارج والشعر من الداخل ، والذباب يقع عليه ، ولبس برجليه نعلين وجلس بين يدي معن على هذه الصورة ومدَّ رجليه في وجهه وقال :

أنـــا واللــــه لا أُبـــدي ســـــلاماً   علـى معـــن المســمَّى بالأميــــر

فقال له معن : السلام لله إن سلَّمت رددنا عليك ، وإن لم تسلِّم ما عتبنا عليك فقال الشاعر :

ولا آتـــــي بـــلاداً أنــت فيهـــا   ولو حـزتُ الشــآم مــع الثغــور

فقال له معن : البـلاد بـلاد اللــه إن نزلت فمرحـباً ، وإنْ رحلـت كان الله في عونك . فقال الشاعر :

وأرحل من بــلادك ألــفَ شــهرٍ   أجدُّ الســير فــي أعلـى القفــور

فقال له معن : مصحوباً بالسلامة . فقال الشاعر :

أتذكر إذ قميصــك جلــدُ شــاةٍ   وإذ نعــلاك مـــن جلـــد البعيــر

فقال له معن : أعرف ذلك ولا أنكره .

فقال الشاعر :

وتهـــوى كـــل مصطبةٍ وســوق   بلا عبـــــدٍ لديـــك ولا وزيـــر

فقال له معن : ما نسيت ذلك يا أخا العرب .

فقال الشاعر :

ونومـــك في الشـــتاء بـلا رداءٍ   وأكـــلك دائمـــاً خبــز الشــعير

فقال معن : الحمد لله على كل حال .

فقال الشاعر :

وفــي يمنـــاك عكـــازٌ قـــويٌّ   تذود بـه الكــلاب عــن الهريــر

فقال معن : ما خفي عليك خبرها اذهبي كعصا موسى [1] عليه السلام .

فقال الشاعر :

فسبحان الـذي أعطـاك ملكـاً　　　وعلّمك القعـود علـى السـرير

فقال له معن : بفضل الله لا بفضلك .

فقال الشاعر :

فعجِّـل يا ابـن ناقصـةٍ بمـالٍ　　　فإني قـد عزمـتُ على المسـير

فأمر له معن بألف دينار .

فقال الشاعر :

قليـلٌ مـا أمـرتَ بـه فإنـي　　　لأطمـع منـك بالشـيء الكثـير

فأمر له معن بألف دينار أخرى .

فقال الشاعر :

فثلِّث ، إذا مُلكـت الملـك رزقاً　　　بـلا عقـلٍ ولا جـاهٍ خطيـر

فأمر له بثلاثمائة دينار

فقال الشاعر :

ولا أدبٍ كسـبت بـه المعالـي　　　ولا خُلـقٍ ولا رأيٍ مُنـيـرِ

فأمر له بأربعمائة دينار

فقال الشاعر :

فمنـك الجـودُ والإفضـالُ حقـاً　　　وفيض يديـك كالبحـر الغزيـر

---

١ ـ اعـلام الناس بما وقـع للبرامكـة مع بني العباس ، الاتليدي محمـد دياب ، دار صـادر بيـروت ط١٩٩٠/١ ص ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

فأمر له معن بخمسمائة دينار .

وهذه رواية أخرى من بحر الآداب أن الذي عمد إلى معن بن زائدة ليخرجه عن حلمه أعرابي بعد أن لبس جلد شاة وأنشأ يقول :

أتذكر إذ لحافك جلد شاة وإذ نعلاك من جلد البعير

فقال معن : أذكره ولا أنساه

فقال الاعرابي :

فسبحان الذي أعطاك ملكاً وعلمك الجلوس على السرير

فقال معن : إنّ الله يعز من يشاء ويذل من يشاء .

فقال الاعرابي :

فلست مسلِّماً إن عشت دهراً على معن بتسليم الأمير

فقال معن : السلام خير . وليس في تركه ضير[1]

فقال الاعرابي :

سأرحلُ عن بلادٍ أنت فيها ولو جار الزمانُ على الفقير

فقال معن : إن جاورتنا فمرحباً بالاقامة ، وإن جاوزتنا فمصحوباً بالسلامة .

فقال الأعرابي .

فجد لي يا ابن ناقصة بمالٍ فإني قد عزمت على المسير

فقال معن : أعطوه ألف دينار تخفف عنه مشقة الأسفار فأخذها

وقال :

---

١ ـ ضير : ضرر .

قليـــل مــا أتيــت بــه وإنـــي لاطمـع منك في المـال الكثيـر[١]
فثـن فقـد أتـاك الملـك عفـواً بــلا عقــل ولا رأي منيـــر

فقال معن : أعطوه ألفاً ثانية ، كي يكون عنا راضياً ، فتقدم الأعرابي إليه وقبّل الأرض بين يديه وقال :

سـألت اللـه أن يبقيـك دهــراً فمالــك في البريــة من نظيـر
فمنـك الجـود والافضـال حقــاً وفيض يديـك كالبحـر الغزيـر

فقال معن : أعطيناك على هجونا ألفين فليعط أربعة على مدحنا فقال الأعرابي : بأبي أيها الأمير ونفسي ، فأنت نسيج وحدك في الحلم . ونادرة دهرك في الجود ، وإنك لعلى خلق عظيم ولقد كنت في صفاتك بين مصدق ومكذب ، فلما بلوتك صغر الخبر الخُبرُ[٢] ، وأذهبَ ضعف الشك قوة اليقين وما بعثني على ما فعلت إلا مائة بعير جُعلت لي على اغضابك .

فقال له الأمير : لا تثريب[٣] عليك ، ووصله بمائتي بعير نصفها للرهان والنصف الآخر له : فانصرف الأعرابي داعياً له ، شاكراً لهباته ، معجباً بأناته[٤] .

ولعل المتأمل في هذه القصة أن يرى فيها شيئاً من المبالغة والصنعة ، وإن أُعدّت بإحكام ، إذ جُعل الرجل في القصة قد تراهن على إغضاب معن مع أصحابه لكي

---

١ ـ وفي رواية اخرى [قليل ما مننت به وإني لاطمع منك بالشيء الكثير]
فقال معن أعطه ألف دينار أخرى فلما أخذها الاعرابي قال :
فثلّث قد ملكت الارض طُرّاً بلا عقل ولا لبّ خطير

٢ ـ المخبر .

٣ ـ لالوم عليك

٤ ـ قصص العرب : محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، منشـورات المكتبـة العصريـة بيروت (د.ت) ص ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

يدخل عليه بالهيئة التي ذكرت ، وان يسمعه ما كان قد أعدّ من شعر ، ولكي يستساغ قبولها أو تكون القصة قد أعدت مقدماً بعلم معن لاضحاكه ، وايناسه وبذلك تكون أشبه بتمثيلية تقام أمامه ثم بالشكل الذي أوردتها كتب الأسمار . إذ أن ما يدعو إلى الشك فيها أن معناً كما سيظهر ذلك في بعض القصص القادمة التي وقعت له كان حذراً ، وكان حاجبه لا يمكّن كل طارق من الدخول عليه إلا بعد استئذان ، فكيف دخل الرجل على تلك الهيئة ؟! وكيف لم يمنعه أصحاب معن من حرس وحُجَّاب وخدم وأصحاب اعتادوا السمر عنده وسماع الشعر والأحاديث[1] لعل لمعن بن زائدة قصصاً واقعية حدثت له أبدى فيها ضروباً من الحلم والتعقل هي التي انتشرت بين الناس فأصبح بوساطتها مضرب المثل بالحلم ، ولقد رأينا مصداقاً لهذا ما نقله القلقشندي عن بعض الأمور المعروفة بالبداهة مثل .. حياء العذراء في خدرها وشفقة الوالدة على ولدها ، وحلم معن بن زائدة الشيباني .

معن بن زائدة وابن جريج

ومن أخباره باليمن ما رواه عنه ابن جريج وهو أبا خالد عبدالملك بن عبد العزيز ، وكان إمام أهل الحجاز في عصره ، ويُعدّ أول من صنَّف التصانيف في العلم بمكة ، وهو رومي الأصل من موالي قريش ، مكي المولد والوفاة ، مات سنة (١٥٠هـ) ، قال خرجت إلى اليمن أريد معن بن زائدة في دينٍ ركبني ، قال : فلما نزلت عليه رحّب بي وسهّل ، وقال : ما أقدمك هذه المدرة ؟ فقلت : دين ركبني لم تف به جائزة أمير المؤمنين ؛ فضاق ذرعي فلم أر له سواك فخرجت إليك : فقال :

١ - صبح الأعشى : للقلقشندي : ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ) تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٨٧) ج١٤ / ١٢٦ .

قدمت خير مقدم ، يُقضى دينك وتنصرف محبوراً إلى وطنك قال : فأقمت عنده شهوراً في أحسن مثوى وأكرم ضيافة ، فإني لخارج من عنده يوماً إذ رأيت الناس يتأهبون للحج ، فأدركتني وحشة ، ولم أملك العبرة ، وحَنَّت نفسي إلى الوطن ، فرجعت إليه وقد اغرورقت عيناي بالدموع ، فقال لي : مالك ؟ قلت : رأيت الناس في أهبة الحج والخروج إلى مكة ، فذكرتُ أبياتاً لعمر بن أبي ربيعة حملتني على ما ترى ، قال : وأي أبيات عمر هي ؟ فقلت : قوله :

هيهات من أمة الوّهاب منزلنا	إذا نزلنا بسيف البحر من عدن
واحتلّ أهلك أجياداً فليس لنا	إلا التذكر أو حظٌّ من الحزن
بل ما نسيتُ غداة الخيف موقفها	وموقفي ، وكلانا ثمَّ ذو شجن
وقولها للثريا وهي باكية	والدمع منها على الخدين ذو سنن
بالله قولي له في غير معتبة	ماذا أردت بطول المكث في اليمن
إن كنت حاولت دنيا أو رضيت بها	فما أخذت بترك الحج من ثمن

فقال : أتعزم على الرحيل والرجوع إلى وطنك ؟ قلت : نعم . قال : صحبتك السلامة ، ورزقت العافية ، وخرجت من عنده فما وصلت إلى موضعي حتى سبقني خمسة عشر بغلاً عليها عصبُ اليمن(1) ودراهم ، وضروب من الخير ، فقضيت ديني وتأثلتُ منه كنزاً(2) مما بيدي اليوم (3) .

---

١ ـ نوع من الغزل اليمني المشهور .

٢ ـ كثيراً .

٣ ـ بهجة المجالس وأنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس ، تأليف الامام أبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي [ت ٤٦٣هـ] تحقيق محمد مرسي الخولي ، دار الكتب العلمية ، بيروت [د.ت] ج٢ : ٨٠٧ ، ٨٠٨ ، ٨٠٩ .

رجل يوّسط معن أن يكلم له أمير المؤمنين

أتى رجل معن بن زائدة ، فسأله أن يكلم له أمير المؤمنين ، فوعده أن يفعل ، فلما قام الرجل ؛ قال بعض من حضر . إنه ليس بمستحق لما وعدته .

فقال له معن : إن كنت صدقت في وصفك إيّاه ؛ فقد كذبت في ادعائك مودَّتنا ، لأنه إن كان مُستحقاً كانت اليد موضعها ، وإن لم يكن مستحقها ؛ فما زدت على أن أعلمتنا بمغيبنا مثل الذي حضرت به من غاب من إخواننا(1) .

معن بن زائدة وصاحب الحقائب

قيل ، دخل أعرابي على معن فمدحه ، ثم خرج منتظراً جائزته خلف بابه ، فطال مقامه وقد عزم على الرحيل ، فإذا معن قد خرج راكباً فقام الأعرابي إليه وأمسك بزمام دابته وأنشد :

وما في يديك الخير يا معن كله ... وفي الناس معروف وعنك مذاهب

ستدري بنات العم ما قد أتيته ... إذا فتشت عند الاياب الحقائب

فأمر معن باحضار خمس نوق من كرام إبله وأوقرهن له ميرة وبراً وثياباً وقال : انصرف يا ابن أخي في حفظ الله إلى بنات عمك فلئن فتشن الحقائب ليجدن فيها ما يسرهن ، فقال له : صدقت وبيت الله(2) .

---

1 ـ المجالسة وجواهر العلم : تصنيف أبي بكر احمد بن مروان بن محمد الدنيوري القاضي المالكي [ت ٣٣٣هـ] وثق نصوصه أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان جمعية التربية الاسلامية / دار بن حزم ط١ / ١٩٩٨ بيروت . المجلد /٣/٥٦ .

2 ـ المستجاد من فعلات الاجواد للتنوخي ، ١٨٦ ، ١٨٧ ، وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان ج٥/٢٤٤ ,٢٤٥ وقد وردت الأبيات في كتاب المستجاد كالتالي :

فما في يديك الخير يا معن كله ... وفي الأرض أسباب وفيها مذاهب

ستأتي بنات العمر ما أنت صانع ... إذا فُتشَت عند الاياب الحقائب

معن بن زائدة والاسرى

قيل أتى معن بن زائدة بأسرى ، فعرضهم على السيف ، فقال له بعضهم : نحن أسراك أيها الأمير ونحتاج إلى شيءٍ من الطعام ، فأمرلهم بذلك ، فأتى بأنطاع فبسطت وأتي بالطعام . فقال لاصحابه : أمعنوا في الأكل ومعن ينظر إليهم ويتعجب منهم ، فلما فرغوا من الأكل . قام غلام منهم فقال : أيها الأمير قد كنا قبلُ أسراك ونحن الآن أضيافك ، فانظر ماذا تصنع بأضيافك ، فعفى عنهم وخلى سبيلهم ، فقال : لـه بعض مـن حضـر ما تدري أيهـا الأمير أي يوميك أشـرف يوم ظفرك أو يوم عفوك [١] ، وأورد صاحب العقد الفريد رواية بهذا الخصوص ، أن معن بن زائدة قد أمر بقتل جماعة من الاسرى فقام إليه أصغر القوم سناً فقال له : يا معن أتقتل الاسرى عطاشاً ؟ فأمر لهم بالماء ، فلما سقوا قال : يا معن ، أتقتل أضيافك ؟ فأمر معن باطلاقهم [٢] .

فتى يتوسّل بالله أمام معن بن زائدة

روي عن معن بن زائدة أنه أذن اذناً عاماً ، فدخل عليه كل رجل يمت بوسيلة وذكر حاجته ، ثم دخل في آخرهم فتىً فقال له معن :

من أنت وما سببك ؟

---

١ ـ المستجاد من فعلات الأجواد للتنوخي / ١٩١ .

٢ ـ العقـد الفريـد لابن عبدربـه ج٢/٤١ ، وانظـر نثر الـدر للآبي ابو سـعد منصور بن الحسـين [ت٤٢١هـ] تحقيق محمد علي القرنة وعلي محمد البجاوي القاهرة ، ١٩٨٠ : ج٤ / ١١٠ .

فقال الفتى هذين البيتين :

أتاك بي الرحمـن لا شـيء غيره وفضل واحسـان عليـك دليـل
فشـفع كريمـاً سـيداً متفضـلاً فليـس إلـى ردَّ الجليـل سبيل

فقال معن : يا فتى لقد توسـلت بأجّل من توسـل به أحد فأعطاه وفضلّه على سائر من أعطى[1] .

رجل يطلب معن بن زائدة دابة تحمله

وردً عن الصاحب بن عبّاد[2] أنه قال : « قرأت في أخبار معن بن زائدة أن رجلاً قال له : أحملني أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغل وحمار وجارية ثم قال : لو علمت أن الله سبحانه وتعالى خلق مركوباً غير هذا لحملتك عليه . وقد أمرنا لك من الخزّبجُبّه ، وقميص ، وعمامة ودراعة وسراويل ومنديل ومطرف ورداء وكساء وجوارب وكيس ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخزّ لاعطيناكه »[3] .

معن بن زائدة والخليفة المنصور

دخل معن بن زائدة على المنصور ، فقال له : يا معن ، إلى أي حالٍ صيّرك الكبر ؟ قال : إلى أن أعثر ببعرة ، وتقيّدني شعرة : قال : كيف حالك في المأكول والمشروب والنوم ؟ قال : إن جعت جررت ، وإن أكلت ضجرت ، وإن كنت في ملأ نعست ،

---

١ ـ تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي ج١٣/٢٣٩ .

٢ ـ الصاحب بن عبـاد : هو اسـماعيل بن عباد وزير غلـب عليه الأدب فكـان من نوادر الدهر علماً وفضلاً له تصانيف جليلة [ت ٣٨٥هـ] انظر الاعلام للزركلي ج١ / ٣١٢ .

٣ ـ معجم الادباء للحموي ج٢/٢٠٧ وانظر المستجاد من فعلات الاجواد : ٢٣٦ .

وإذا صرت إلى قوامي شتى أرقت . قال : كيف حالك مع النساء ؟ قال : أما القباح فلست أريدهن وأما الملاح فليس يردنني . قال : لا يحل أن يستثاب مثلك أضعفوا رزقه وأكرموا منزله يركب إليه الناس ولا يركب إلى أحد [١] .

معن بن زائدة وبعض فصحاء العرب

يقال أن بعض فصحاء العرب دخل على معن بن زائدة ، فقال : أصلح الله الأمير ، لو شئت أن أتوسل إليك ببعض ما يثقل عليك لوجدت ذلك سهلاً ممكناً ، ولكني استشفعت إليك بقدرك ، واستعنت عليك بفضلك ، فإن رأيت أن تضعني من كرمك حيث وضعت نفسي من رجائك ، فإني لم اكرم نفسي عن مسألتك فاكرم وجهك عن ردي ، قال : سل حاجتك ، قال : ألف درهم ، قال : ربحت عليك ربحاً بيّناً ، قال مثلك لا يربح على سائله ، قال معن : اضعفوا له ما سأل [٢] .

بين قثم العباسي وأعرابي

ولى أبو جعفر المنصور أحد العباسيين (وهو قثم) فأتاه أعرابي فقال :

يا قثم الخير جزيت الجنة ... أكس بنياتي وأُمهنّه

أقسم الله لتفعلنّه

فقال : واللّه لا أفعل .

---

١ ـ ربيع الابرار ونصوص الاخبار لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري [ت ٥٣٨هـ] تحقيق عبد الأمير مهنا ، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ط١ / ١٩٩٢ بيروت ج٣/٣٦ .

٢ ـ تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي ج١٣ / ٢٣٨ ، ٢٣٩ .

فقال الأعرابي : لكن لو أقسمت على معن لأبر قسمي : فبلغت الكلمة معناً فبعث إليه بألف دينار[1] .

رجل جاء بعد خروج قومه

وفد قومٌ على معن بن زائدة فوصلهم وأعطاهم إلا رجلاً جاء بعدما خرج قومه من عنده ، قال فكتب الرجل إلى معن قائلاً :

بأي الخلتين عليك أثني | فإني بعد منصرفي مسول
أبا لنعمى وليس لها ضياء | عليَّ فمن يصدق ما أقول

فقال له معن بن زائدة : لا أحد والله ، وأمر له بعشرة آلاف درهم [2] .

معن بن زائدة ورجل من بني شيبان

دخل رجل من بني شيبان على معن بن زائدة . فقال له معن : ما هذه الغيبة المسيئة ؟

فقال الرجل : أبقى الله الأمير في نعم زائدة وكرامة دائمة ، ما غاب أيها الأمير عن العين من ذكره القلب . وما زال شوقي إليك شديداً وهو دون ما يجب لك عليَّ . وذكري لك كثير وهو دون قدرك عندي ، ولكن جفوة الحجاب وقلة بشر الغلمان يمنعاني من اتيانك فأمر بتسهيله وأحسن مثواه [3] .

---

١ ـ تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج١٣/٢٣٨ .
٢ ـ المصدر نفسه ج١٣ / ٢٣٩ .
٣ ـ الفاضل في صفة الأدب الكامل / الوشاء ١١٤ .

رجل يستهدي معناً خطراً

كتب رجلٌ إلى معن بن زائدة ـ وهو والي اليمن ـ يستهديه خطراً[1] فأرسل إليه معن بن زائدة بجراب خطر ، وفي الخطر ألف دينار وكتب إليه أن اختضب بالخطر وانتفع بنخالته . وكان الرجل قبل أن يكتب إلى معن قد سأل أبي العباس خطراً ولم يعطه فلما ورد عليه الخطر من معن أنشأ يقول :

أتانا أبو العبـــاس ضـــن بخطـره	كتبنـا إلى معن فأهـدى لنا خطـراً
وأهدى دنانيراً وأهــدى دراهمــاً	وأهدى لنا بزاً وأهـدى لنا عطــراً
وما النــاس إلا معدنــان فمعــدن	قريش وشيبان التي فرعت بكــراً

معن بن زائدة يقسّم السلاح

جلس معن بن زائدة يقسّم سلاحاً في جيشه فدفع إلى رجل سيفاً رديئاً فقال : أصلح الله الأمير ، أعطني غيره ، قال معن : خذه فإنه مأمور ، فقال : فإنه مما أمر به ألاّ يقطع شيئاً أبداً ! فضحك معن وأعطاه غيره [2] .

أعرابي ينحر ناقته على باب معن بن زائدة

يقال أن ابن أبي العاصية السُّلَمّي لما قدم على معن بن زائدة بصنعاء نحر ناقته على بابه ، فبلغ ذلك معناً فتطيّر وأمر بإدخاله ، فقال : ما صنعت ؟ قال : نذرتُ أصلحك الله ! قال : وما هو ؟ فأنشده من أبيات :

---

١ ـ الخطر : نبات يختضب به . تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي ١٣ / ٢٤٠ .

٢ ـ نثر الدر للآبي ج٢ / ١٨٥ .



نذرٌ عليَّ لئــن لقيتــك ســالماً　　　أن يســتمرَّ بها شــفارُ الجــازر

فقال معن : أطعمونا من كبد هذه المظلومة[1] .

معن بن زائدة والمنتوف

أورد ابن قتيبة ، وكرر ذلك الآبي مع الاختلاف في العبارات خبراً عن معن بن زائدة أنه بعث إلى الاخباري الكوفي عبدالله بن المنتوف الهمداني « صاحب الشعبي » المتوفي عام « ١٥٨هـ » ؛ بألف دينار وكتب إليه ، قد بعثت إليك بألف دينار اشترِ بها دينك فاقبض المال واكتب إليَّ بالتسليم . فكتب إليه ، قد قبضت الدنانير وبعتك بها ديني خلا التوحيد لما عرفت من زهدك فيه [2].

رجل يمدح معن بن زائدة بشعر لبيد العامري*

أورد المبرد أن رجلاً عاد معناً في مرضه فقال له : « لولا منَّ الله به من بقائك ، لكنا كما قال لبيد :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم　　　وبقيت في خلفٍ كجلد الأجرب

---

١ ـ خزانة الأدب : للبغدادي : ج٣ / ٣٩ وانظر الموشح للمرزباني : ٣٩٢ ، ٣٩٤ .

٢ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة : ج١ / ٣١٨ وانظر نثر الدر للآبي : ج٢/١٧٠ .

* ـ لبيد العامري : شــاعر فارس شــجاع مخضرم عاش قبل الاسلام وعاش في العهد الاسلامي توفي عام « ٤١ » هـ [انظر طبقات الشعراء لابن سلاّم : ٢٩ ، ٣٠]

فقال له معن : إنما تذكر أني سدت حين ذهب الناس فهلا قلت كما قال نهار بن توسعة * :

قلَّدته عُرى الأمـور نـزارٌ   قبل أن تهلك السّراة البحور[1]

أعرابي يستجدي معن بن زائدة

قدم أعرابي من بني كنانة على معن بن زائدة ، وهو باليمن فقال : « إني والله ما أعرف سبباً بعد الإسلام والرّحم ، أقوى من رحلة مثلي من أهل السِّن والحسب إليك من بلاده ، بلا سبب ولا وسيلة إلا دعاءك إلى المكارم ، ورغبتك في المعروف فإن رأيت أن تضعني من نفسك بحيث وضعتُ نفسي من رجائك فافعل » فوصله وأحسن إليه [2] .

معن بن زائدة ومجالس الطرب عند ابن رامين

ابن رامين هو عبدالملك بن رامين مولى عبدالملك بن بشر بن مروان ، كان عنده جوارٍ مغنيات عازفات على آلات الطرب عرفنا منهن سعدة ، وربيحة ، وسلاّمة

* نهار بن توسعة : من بني بكر بن وائل : شاعر بكر في خراسان توفي سنة (٨٣هـ)
[انظر الاعلام للزركلي ج٩/٢٤] .

١ ـ الكامل للمبرّد : ج٣/١٣٩٥
ج٤/٣٣ .

٢ ـ جمهرة خطب العرب / احمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية بيروت (د.ت) ج٣/٢٦٣ .

٣ ـ الدرة : عشرة آلاف درهم .

الزرقاء ، وكان ظراف أهل الكوفة وادباؤها يلازمون بيته لقراءة الشعر ، وسماع الغناء من تلك الجواري . وكان فيمن يحضر تلك المجالس الكاتب المغني الشاعر محمد بن الأشعث القرشي ثم الزهري من فتيان أهل الكوفة . وكان فيمن يحضر تلك المجالس معن بن زائدة ، وروح بن هاشم ، وابن المقفع . وجعفر بن سليمان العباسي (كان أبوه والي البصرة) وفي أحد هذه المجالس غنت سلاّمة الزرقاء فطرب لها كل من حضر فلما انتهت من غنائها بعث معن إليها بـدرة [1] فصبها بين يديهـا وفعل فعله روح بن حاتم وصـب بدرة أخرى ، ثم أرسل لها ابن المقفع بصك ضيعته فأعطاها [2] .

هذه هي الحياة التي انصرف إليها معن بن زائدة بعد حياة الجد والحرب ولعله لم يقتصر على مجالس ابن رامين فقط ، بل كانت هناك مجالس زريق ابن منيح مولى عيسى بن موسى (والي الكوفة) وكان كما وصف شيخاً سخياً كريماً نبيلاً يجتمع إليه أشراف الكوفة من كل حي وكان بعضهم يتنقل ما بين الدارين مثل محمد بن الاشعث الذي يقول في ذلك :

يا ابن رامين بحت بالتصريح	في هواها سحيقة ابن منيح[3]
قينة عفة ومولى كريم	ونديم من اللباب الصريح
ربعي[4] مهذب أريحي	يشتري الحمد بالفعال الربيح
نحن منه في كل ما تشتهي الأنفس	من لذة وعيش نجيح
عند قرم[5] من هاشم في ذراها	وغناء من الغزال المليح
في سرور وفي نعيم مقيم	قد أمنا من كل أمر قبيح

١ ـ الدرة : عشرة آلاف درهم .

٢ ـ المستطرف من أخبار الجواري / السيوطي جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ) تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب ، بيروت (د.ت) ٣٠ ، ٣١ .

٣ ـ سحيقة : جارية زريق .

٤ ـ ربعي : منسوب إلى ربيعة والاربحي الذي يهتز للكرم .

٥ ـ القرم : السيد ، وهو يقصد أحد الذين يلمون بهذه المجالس .

وقد وصف الشعراء ابن رامين وبيته وجواريه ذاكرين استمتاعهم بالشعر والغناء والدعة والدعابة التي تحصل عفو الساعة . ويبدو أن هناك أخباراً وقعت لمعن وهو في اليمن . وقد ذكر ابن الأثير أخبار تولية المنصور لمعن على اليمن ، وكرر قول من سبقه إلى ضرورة هذا التعيين بعد أن حدثت الاضطرابات هناك ثم أشار إلى أن الناس قصدوا معناً من أقطار الأرض لإشتهار جوده[1] .

وقد كثرت الروايات عن جوده ، ونقلها الرواة والراجح أن أغلبها حدث في اليمن حيث تقاطر الناس إلى معن من أقطار الأرض كما أورد ابن الأثير للحصول على جائزته . ولكن نستثني من هذه الأخبار ما قيل فيه من رثاء إذ أن قتل معن كان في سجستان وهذا يقضي أن يكون بعض من رثاه من الشعراء قريبين منه . والمهم أن بقاء معن تسع سنوات في اليمن والياً ، صاحب مجالس عامرة وكريماً يشتري المجد والذكر الحسن أدى إلى شيوع أخباره على ألسنة الشعراء ، وهي تنشد وتقال في كل مجلس من مجالس الأدب وفي مجالس الخلفاء والامراء عند المسامرة .

وفي اليمن وخلال المدة المذكورة كان بإمكان معن وهو الأمير أن يعطي ، وأن يهب مما لديه من مال . أما بعد عزله عن اليمن فإنه لم يمكث في بغداد إلا مدة يسيره قد تصل إلى سنة فقد عاد سنة (١٥٠هـ) وعين في السنة نفسها أو التي تلتها (١٥١هـ) وقتل في آخرها أو في أوائل سنة (١٥٢هـ) .

---

١ ـ الكامل في اللغة والأدب للمبرّد أبو العباس محمد بن يزيد (ت٢٨٥هـ) مكتبة المعارف بيروت (د.ت) ج٦/٢٤ .

معن بن زائدة والفتيات

قيل كان معن بن زائدة في بعض صيوده فعطش فلم يجد مع غلمانه ماءً ، فبينما هو كذلك ، وإذا بثلاث جوارٍ قد أقبلن حاملاتٍ ثلاث قربٍ فسقينه ، فطلب المال من غلمانه ، فلم يجده ، فدفع لكلّ واحدةٍ منهن عشرة أسهم من كنانته ، نصولها من ذهب فقالت إحداهن ويلكنّ لم تكن هذه الشمائل إلا لمعن بن زائدة ، فلتقل كل واحدة منكن شيئاً من الأبيات فقالت الأولى :

يركّبُ في السهام نصول تبرٍ ويرمي للعدا كرماً وجوداً
فللمرضى علاجٌ من جراحٍ وأكفانٌ لمن سكن اللُّحودا

وقالت الثانية :

ومحاربٍ من فرط جود بنانه عمّت مكارمُه الأقارب والعدا
صيغت نصولُ سهامه من عسجد كي لا يقصرًّ في العوارف والندى

وقالت الثالثة :

ومن جوده يرمي العداة بأسهم من الذهب الإبريز صيغت نصولها
لينفقها المجروح عند انقطاعه ويشتري الأكفان منها قتيلُها[1]

---

١ ـ اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس / محمد الاتليدي : ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

معن بن زائدة وشاعر

وقف شاعر بباب معن بن زائدة حولاً لا يصل إليه ، وكان معن شديد الحجاب ، فلما طال مقامه سأل الحاجب أن يوصله رقعة ، فأوصلها فإذا مكتوب فيها :

إذا كان الجواد له حجابٌ فما فضلُ الجواد على البخيل

فألقى معن الرقعة إلى كتّابه وقال : أجيبوه عن بيته ، فخلطوا وأكثروا ، ولم يأتوا بمعنى فكتب معن فيها :

إذا كان الجواد قليل مالٍ ولم يعذر تعلل بالحجاب

فقال الشاعر : إنا للّه أيؤسني من معروفه ، ثم ارتحل منصرفاً فسأل معن عنه فأخبره بإنصرافه ، فاتبعه بعشرة آلاف وقال : هي عندنا في كل زورة[1] .

من أخبار معن بن زائدة

كان معن بن زائدة في دار المنصور فسقط حائط أو حدث أمرٌ تقوّض له النّاس ، وكان يحدّث ورجل يستمع حديثه لم يقم عنه مع من قام فلما انصرف إلى منزله وكلَّ بالرجل من أتاه به فأمر له بكسوةٍ وألف دينار ، وقال له : هذا لحسن استماعك حديثي وإيناسك إياي .

ومن أخباره أيضاً كان معن بن زائدة مع ابن هبيرة فاستأمن هو وطارق بن قدامة ، فلما قُتل ابن هبيرة كان معه بالكوفة قد وجّه ببشارة فتح واسط وصلح ابن هبيرة ، فأقام في أهله فنجا وقُتل طارق ، ثم ظهر من مناصحة معن ما قدّم به على

١ ـ تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي ج١٣/٢٣٧ .

جميع القواد ، فولاه المنصور مصر ، وكان كاتبه محمد بن عبدالله بن المقفع ، وكان جواداً حلواً ظريفاً أتاه رجلٌ بكتاب مزوّر لم يجفّ طينه ، فقرأه ثم كلم فيه معناً فولاه ولاية سنيَّة أفاد فيها مالاً ، فلما انصرف أتى محمداً فقال له : إني أريد العراق ، فأمر له بألف دينار وقال له : إن كان من رأيك العودة إلينا فافعل ، وإن كتب لك صديقنا إلينا كتاباً فانتظر أن يجفّ طينهُ ثم قال له : إنّ حسن ظنك والله بنا أعظم الوسائل لك عندنا ومات محمد بمصر ، وولي معن اليمن [1] .

معن بن زائدة وسفيان الثوري

بعث معن بن زائدة إلى سفيان الثوري بثلاثمائة دينار ، قال : فقال للرسول : قم إلى ذلك الطاق انظر ما عليه ، قال : فوجد أربعة دوانيق[2] قال : هذه عندي منذ ثلاثة أشهر ، ولا أدري ما أصنع بها فما أصنع بدنانيرك[3] .

---

١ ـ أنســاب الاشراف / البلاذري ، ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ) تحقيق الدكتور احسان عباس ، بيروت (١٩٧٨) ج٤/١٧٣٢ .

٢ ـ دوانيق : جمع دانق ، والدانق سدس درهم كل درهم ستة دوانيق ، والدرهم يزن (٢,٩٧٥) غراماً .

٣ ـ الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع / للامام الحافظ الكبير المؤرخ أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت٤٦٣هـ) ، حققه الدكتور محمد عجاج الخطيب مؤسسة الرسالة ط١٩٩١/١م ، ج١ / ص٥٦٦ .

معن بن زائدة والأعرابي

(حكي) أن أعرابياً وفد على معن بن زائدة ، فلما مثل بين يديه .

قاله : ممن الرجل .

قال : رجلٌ من العرب وهم أصلك وقومك فلا تشغلني بالسؤال عمّا هم فيه من سوء الحال .

قال : فما حاجتك .

قال : نأي بلدي وكثرة ولدي وضعف جلدي وقلة ذات يدي فأتيتك يا مغيث اللهيف وجابر الضعيف آملاً لجودك راجياً لزودك .

قال : فهل من قرابةٍ تمتُّ بها أو يدٌ تتوسل بمثلها .

قال : أنت أفضل من أن يبتدئ مثلي يداً إلى مثلك أو يتوسل إليك بغير فضلك أو تتحمل الحيل عليك بذلك وقد قلت في ذلك شعراً .

قال : هاته

فأنشد :

أيا جود معن ناج معناً بحاجتي　　فمالي إلى معن سواك شفيع

قال : إذاً لا أشفعه فيك .

فقال الاعرابي : ما أنت بالبخيل فاوجه الذم إليك ولا أوليت ما يحسن ثنائي عليك ثم انصرف وهو يقول :

بأيِّ الخصلتين عليك أثني　　فإني عند منصرفي سؤل

أبا لحسنى وليس لها ضياء　　عليٌّ فمن يصدّق ما أقول

أم الاخرى تكون فتلك عارٌ　　على من دأبه الفعل الجميل

فرّق له معن وأجزل صلته(١).

---

١ ـ غرر الخصائص الواضحة / للوطواط ص ٢٦٣

معن بن زائدة و الجارية

يقال أن معن بن زائدة ومخارق بن عفار في فوارس لقيا رجلاً في بلاد الشرك ومعه جاريةٌ لم يُرَ مثلها شباباً وجمالاً ، فصاحوا به : خلِّ عنها ، ومعه قوسٌ له ، فرمى بعضهم فجرحه ، فهابوا الإقدام عليه ؛ ثم عاد ليرمي فانقطع وتره ، فأسلم الجارية وأسند في جبلٍ كان قريباً منه فابتدروا الجارية وكان في أُذنها قرطٌ وفيه دُرَّة ، فانتزعه بعضهم فقالت : وما قدر هذا ؟ فكيف لو رأيتم دُرَّتين في قلنسوته ؟ فاتّبعوه ، فقال : ما لكم ، ألم أدع لكم بغيتكم ، ، قالوا : ألقِ ما في قلنسوتك ، فرفع قلنسوته فإذا فيها وترٌ للقوس كان قد أعدَّه وأُنسيه من الدّهش ، فلما رآه عقده في قوسه فولّى القوم ليس لهم همّه إلا أن ينجو بأنفسهم وخلوا عن الجارية[1].

معن بن زائدة و رجل من بني قيس

قال معن بن زائدة : ما فاخرت رجلاً قط الا فخرته بفرسان بني شيبان غير رجل واحد من قيس ، فإنه فاخرني فلم ينتصف واحدٌ من صاحبه ، فلما طال الفخار بيني وبينه قال : يا أبا الوليد ها هنا كلمة لعلها أن تفصل بيني وبينك ، فقلت : هاتها ، قال : أخبرني عن الرجل إذا كان فارساً شجاعاً كيف يقال : كأنه من فرسان قيس ، أو كأنه من فرسان بني شيبان ؟ قال : لا ، بل يقال : كأنه من فرسان قيس فأقررت فتفرقّنا وفي ذلك يقول مروان بن أبي حفصة :

ألم ترَ قيساً لا تزال حليفةً	يرى فيهم يوماً أغرَّ مُحَجَّلا
معاقلنا قيس ولم نر مثلهم	لن يبتغي حُزن المعاقل معقلا[2]

---

١ ـ التذكرة الحمدونية / تصنيف ابن حمدون جزء ٨ ص ٢٣١

٢ ـ كتاب الديباج / للامام أبي عبيدة معمر بن المثنى اليتمي (ت ٢٠٩ هـ) تحقيق الدكتور عبد الله بن سليمان الجربوع والدكتور عبد الرحمن بن سليمان العثيمين ط١ / ١٩٩١م الناشر مكتبة الخانجي/ القاهرة ص ١٤٢ ، ١٤٣.

معن بن زائدة و الحُمر الوحشية

قال عمر بن فرج : حدثني أبي قال : كنت مع أبي زياد في معسكر معن في جملة من سباه من الرخجّ ، وكان قد سبى شيئاً كثيراً ، وغنم غنائم جليلة ، فنزل وعسكر وحطت الأثقال ، ونُزعت السروج عن الدوّاب فبينما هم كذلك أبصروا غباراً ساطعاً ، وظنوا أنه الطلب ،فأمر معن بقتل الاسرى ،فقتلوا نحواً من أربعة الآف ؛ قال : فأخذني أبي فجعلني تحت الأُكف[1] وقام في وجهي ، وقال : لعلك إن قُتلت أن تسلم أنت ، فنظروا ، فإذا هي حمير وحش ، والغبار لها ، وقد قتل بسببها أربعة الآف أسير[2].

معن بن زائدة وجارية

أحضرت بين يدي معن بن زائدة جارية من سبي قيس فأنشد معن متمثلاً قول أبي حنش إلى سلمة بن عمرو بن الحارث :

ليس بيني وبين قيس عتابُ　　　غير طعن الكُلى وضرب الرِّقاب[3]

---

١ ـ الاكف : جمع أكاف وهو من المراكب شبه الرحل والقتب .

٢ ـ كتاب الوزّراء والكتّاب : لابي عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري (ت ٣٣١هـ) حققه ووضع فهارسه مصطفى السقا وابراهيم الابياري وعبد الحفيظ شلبي / طبعة ١٩٨٠ صفحه ٢٧٠ + ٢٧١ .

٣ ـ التبيان في علم المعاني والبديع والبيان لشرف الدين حسين بن محمد الطيبي ص ٢٩٧.

معن بن زائدة و ثارات قديد*

قال السري بن عبدالله : إني بمكّة مع أبي جعفر المنصور والنّاس يذكرون معناً وإراقته الدماء باليمن ، فقلت : يا أمير المؤمنين غلامٌ من غلمان بني شيبان ، ماله يدٌ تأصرك[1] عليه ، ولا رحم يعطفك عليه ، قال : فبسر[2] في وجهي بسرةً تمنيت أن الارض انشقت لي فدخلتُ فيها . قال : فمكث أياماً ثم أتيته ، فسألني عن تخلّفي ، فاعتذرت إليه ، فقال لي : اتعرف رجلاً كان يصلي عن يمين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فأخبرته به،ونسبته إلى عثمان ؛ فقال : ما فعل ؟ قلت : قتل بقديد . قال : فآخر كان يصليٌ قريباً منه ؟ قلت : نعم ذاك ابن أخيه . قال : فما فعل ؟ قلت : قتل يوم قديد . قال : فآخر كان يصلي في موضع كذا ؟ قلت : نعم . ونسبته إلى الزبير . قال : فما فعل ؟ قلت : قتل يوم قديد ، فما زال يقترع[3] المجالس يذكر فيها رجلاً قريعاً[4]ويسألني عنه ؛ فأقول : قتل يوم قديد ، فقال لي : لا أكثر الله في عشيرتك مثلك . عجزت عن ثأرك أن تطلب به ، حتى إذا قام هذا الغلام الشيبانيُّ ، فإذا بك تنفس عليه الرٌفعة .

قيل : وكان معن يبسط الأنطاع باليمن ، ثم يدعو بأبناء اليمانية الذين حضروا قديداً ، فيضرب أعناقهم ، وكلما ندر[5] رأس عن رقبته قال معن بن زائدة : ياالثارات قديد[6]*.

---

١ ـ تأصرك : تعطفك (اللسان : أصر) ٢ ـ فبسر : عبس

٣ ـ يقترع : يختار (اللسان : قرع) ٤ ـ القريع : السيد المختار في قومه (اللسان : قرع)

٥ ـ ندر : سقط ٦ ـ نثر الدر للآبي ج٣ ص ٨٦ ـ ٨٧ .

* قديد : اسم موضع قرب مكة : قال ابن الكلبي : لمّا رجع تبعٌ من المدينة بعد حربه لأهلها نزل قديداً ، فهبت ريح قدّت خيم أصحابه فسمي قديداً (معجم البلدان / ياقوت الحموي ج٤ / ٣١٣) وقال صاحب كتاب الأغاني أن قتلى وقعة قديد بلغ الفين ومائتين وثلاثين رجلاً منهم من قريش اربعمائة وخمسون رجلاً ومن الانصار ثمانون ومن القبائل والموالي الف وسبعمائة ، الأغاني ج٢٣ ص ٢٤٥ .

عمر بن الخطاب ومعن بن زائدة

أورد الدكتور عبد الرحمن عميرة في كتابه رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآناً[1] تحت عنوان (عمر مع الرعيّة) قال : انتقش رجل يقال له معن بن زائدة على خاتم الخلافة فأصاب مالاً من خراج الكوفة أيام عمر بن الخطاب فبلغه ذلك ، فكتب إلى المغيرة بن شعبة : إنه بلغني أن رجلاً يقال له معن بن زائدة انتقش على خاتم فأصاب به مالاً من خراج الكوفة فإذا أتاك كتابي هذا فنفّذ أمري وأطع رسولي .

فلما صلى المغيرة العصر وأخذ الناس مجالسهم ، خرج ومعه رسول عمر ، فاشرأب النّاس ينظرون إليه حتى وقف على معن . ثم قال للرسول : إنّ أمير المؤمنين أمرني أن أطيع أمرك فيه فمرني بما شئت . فقال الرسول : أُدع لي بجامعة أعلّقها في عنقه . فأُتي بجامعة فجعلها في عنقه وجبذها جبذاً شديداً ثم قال للمغيرة : « احبسه حتى يأتيك فيه أمر أمير المؤمنين » .

وكان السجن يومئذ من قصبٍ فتحمل معن للخروج وبعث إلى أهله أن ابعثوا لي بناقتي وجاريتي وعباءتي ففعلوا ، فخرج من الليل وأردف جاريته ، فسار حتى إذا قرب الصبح أناخ ناقته وعقلها ، ثم كمن حتى كفّ عنه الطلب ، فلما أمسى أعاد على ناقته العباءة وشدّ عليها وأردف جاريته ، ثم سار حتى قدم على عمر بن الخطاب وهو يوقظ المتهجدين لصلاة الصبح ومعه دُرته . فجعل ناقته وجاريته ناحية ثم دنا من عمر فقال :

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أمير المؤمنين » .

فقال عمر : . وعليك من أنت ......؟

قال : معن بن زائدة جئتك تائباً .

---

١ ــ رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا للدكتور عبد الرحمن عميرة : ج٥/١٣٨ . ط ٢ - ١٩٩٠ - دار الجليل - بيروت .

قال : أبت فلا يُحيِّك الله ، فلما صلى الصبح قال للناس : مكانكم فلما طلعت الشمس قال : « هذا معن بن زائدة انتقش على خاتم الخلافة فأصاب فيه مالاً من خراج الكوفة فما تقولون فيه » ؟

فقال قائل : اقطع يده .

وقال قائل : اصلبه .

وعليٌّ بن أبي طالب ساكت ، فقال له عمر : ماذا تقول يا أبا الحسن ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، رجلٌ كذب كذبة . فضربه عمر ضرباً شديداً وحبسه فكان في الحبس ما شاء الله ، ثم أرسل إلى صديقٍ له من قريش أن كلم أمير المؤمنين في تخلية سبيلي ، فكلمه القرشي فقال : « يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، قد أصبته من العقوبة بما كان له أهلاً . فإن رأيت أن تخلي سبيله ؟

فقال عمر : ذكرتني وكنت ناسياً ، عليّ بمعن ، فضربه ثم أمر به إلى السجن فبعث معن إلى كل صديقٍ له ، لا تذكروني لأمير المؤمنين فلبث محبوساً ما شاء الله .

ثم إن عمر انتبه فقال : معن . فأُتي به ، فقاسمه وخلى سبيله[1] .

أيها القارىء الكريم إن المتتبع لأحداث هذه القصة عن معن بن زائدة أن معن المقصود بهذه القصة غير صاحبنا معن بن زائدة الشيباني فربما يكون هناك تشابهاً في الأسماء لأن معن بن زائدة الشيباني ولد في سنة «٧٠» للهجرة كما مرّ معنا سابقاً وعمر بن الخطاب رحمه الله توفي في سنة «٢٣»هـ ، حتى وإن كانت هذه القصة صحيحة فكيف يستطيع رجل من العامة أن يلجأ إلى حيلة كهذه ويستولي بها على بعض الأموال العامة ويسمع عمر بما حدث فيطلب من واليه أن يحبسه حتى يأتيه أمره ولكن الرجل يفرّ من سجنه ويذهب برجليه إلى عمر معتقداً أن عمر عندما يسمع بتوبته سيعفو عنه[2] .

---

١ ـ الإصابة في تمييز الصحابة ، ابن حجر ، احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م) ج٥/٥٢٨ ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د.ت) .

٢ ـ رجال ونساء أنزل الله فيهم قرآنا / للدكتور عبد الرحمن عميرة ج٥/١٣٩ .

معن بن زائدة وعامله على مقري[1]

هذه القصة وقعت لمعن عندما كان والياً على اليمن . فيقال أنه كان لمعن عامل على مُقري من أهل العراق ، وكان العامل جواداً منخرق الكف[2] فأشخصه معن ليحاسبه ، فوجد عليه فضل الوف الدنانير ، قال له : أين هذا المال ؟ قال : سقط علي منه شيء ! قال : فأغرم ؟ قال : الأمير يعرف أن لا شيء معي ، وخلفي من الضياع والعقار ما هو أعرف به ، فإن يحب الأمير أن يكتب إلى وكلائه بقبضه فليفعل ، قال: لا يكون بمُضيّك ، ولا مضيّ لك إلاّ بكفيل يوجهك ، قال : أنا أكفل لك من خدمك قال : وهل من خدمي من يحمل هذا المال إن عجزت ؟ .

قال : فما يعرفني أحد سواهم ! قال : أنا أدُلك على من يكفل بك منهم ، قال : ومَنْ ؟ قال : عليك بعبّاد بن محمد فهو عربي كريم ولن يجبهك في ذلك ، فمضى إليه العامل وكلّمه ، فأنعم له ودخل معه على معن ، فقال له : أتكفل بوجهه ؟ قال : نعم ، أيد الله أمير المؤمنين ، أتكفّل بوجهه بالمال الذي عليه ، قال : طَلَبْنَا لوجهه اكثر من المال ،قال : أنا أكفل به وأثق به ، إذ هو من عشيرة الأمير ومن خدمه ، فبعث معن لوجوه العدول من أهل صنعاء فأشهدهم عليه ، وضربوا له أجلاً محدوداً ، على أنه إذا تأخر غير يوم واحد ، فقد أحلّ عبّاد بطش الأمير به وبولده وبمنزله يحكم فيه بما رأى ، فقبل ذلك عبّاد . ومضى الرجل . فلما انقضت المدة غير يوم ، بعث إليه معن أن أحضر إلينا غداً الرجل . فورد إليه ما غمّه وهاله ، فاجتمع إليه إخوانه وباتوا سميراً عنده[3] قال ابن القهبي : وكان عمّ أبي ممن بات معه ، قال : فبتنا وبات في حالة ضيقّة ، فلما كان في السحر ، إذ بالرجل يضرب الباب فنظر الخدم من هو ،

---

١ ـ مُقري : زنة معطي ، مخلاف مشهور من مخاليف اليمن ، وهو ما يسمى اليوم مغرب عنسى وتقع غرب مدينة دفار .

٢ ـ منخرق الكف : كناية عن الاسراف في العطاء .

٣ ـ الاكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير / للهمذاني ، لسان اليمن الحسن بن احمد بن يعقوب تحقيق محمد بن على الاكوع ـ مركز الدراسات ـ والبحوث اليمن/صنعاء ط ٣ / ١٩٨٣ ج١/٣٦٨ .

فإذا الرجل قد قدم مفرداً بنجيب[1] وقد سبق عليه مراحل لئلا يبدر إلى عبّاد مايكرهه، قال : فيالها ليلة متباينة الطرفين بويل أليل ، وجزل جزيل[2] ، ودخل الرجل فسلّم على عبّاد وعلينا وخبَّر أنه قد أتى بالمال وبدر لمشهد[3] الأجل ، قال : وكان معن يكون أياماً في دار الرحبة[4]وأياماً في دار الإمارة في قبلة المسجد الجامع بصنعاء ، وكان يحضر الصلوات ، قال : فصلى عبّاد معه ، فلما قضى صلاته تقدّم إليه فصبَّحه وأعلمه أن خادمه قدم ، وسأله أن يأذن له في تقديمه إليه ، فقال : أكرم مثواه حتى أبعث لك وله ثم بعث بعد ثلاثة أيامٍ أو أربعة ، وأحضر المال وأحضر الشهود للبراءة ، فلما انقضت الشهادة ، قال معن : لاكنت أدون الثلاثة ! أما أنت ، يريد العامل فأقبض مالك فقد سوغتكه[5] ، وأما أنت ياعبّاد بن محمد فوفت ذمتك وقد أنفذت طلبك واسعفت سفاعتك في كل ما طلبت فيه لك أو لغيرك ، فدعاله وشكر ، وقال : أيها الأمير ! إنَّ هذا الرجل قد برَّني ببرٍّ ولم استحسن أن آخذ على ذمتي حباءً وردُّه يسمج بي ، وقد أحبُّ من الأمير أن يقبله هو ومني المكافأة ، فقال : أقبل ونقبل ، فقال معن : وما هذا البرّ ؟ قال : أحمال وأعكام[6] لا أدري ما فيها . قال : فصيرٌ في كل حملٍ عديله وإلينا عديله ، قال : وكره العامل أن يعود لمعن في عمل وأحب الإنصراف فعرض عبّاد ضيعة يقال لها : الفغار ، فباعها بمالٍ جزيل ، واشترى به من طرائق اليمن ما كافأ به العامل ، فبلغ ذلك معن ، فـأقسم على عبّاد ليسترجعنَّ ضيعته ودفع المال من عنده ، ولم يزل كل واحدٍ من عبّاد ومعن وداً لصاحبه بعدها ، وقد كان عبّاد بن محمد رفع إلى العراق ثم اصطنع[7].

---

١ ـ النجيب من الأناسي ، والنوق : ذو الحسب والفاضل النفيس .

٢ ـ الويل : حلول الشر والهلاك ، والأليل : الشديد ، والجزل : الفرح ، والجزيل : الكثير .

٣ ـ الاكليل / للمهذاني جزء ١ ص ٣٦٩ .

٤ ـ دار الرحبة : مكان يقع شمال صنعاء كثير الشجر وعيون الماء .

٥ ـ التسويغ : هو إباحة الشيء والاذن بامتلاكه .

٦ ـ الاعكام : هو كل شيء معلوم ومسدود ومختوم .

٧ ـ الاكليل / للهمذاني جزء ١ ص ٣٧٠ ـ ٣٧١ .

معن بن زائدة وإبن أبي سبرة

لـمّا ولى المنصور جعفر بن سليمان[1] على المدينة ، قال له بيننا وبين أبي بكر رحم وقد أساء وأحسن ، فإذا قدمت المدينة ، فأطلقه وأحسن جواره (وقال سعيد : فأمره بإطلاق ابن أبي سبرة وأوصاه به ، وقال : إن كان قد أساء فقد أحسن) .

فأطلقه جعفر ، فسأل جعفر أن يكتب له بوصاة إلى معن بن زائدة وهو إذ ذاك على اليمن فكتب له بوصاة إليه . فلقي الرابحي . فقال : هل لك في الخروج معي إلى العمرة ؟

فقال : أما واللّه ، ما أخرجني من منزلي إلا طلب شيءٍ لأهلي فما تركت عندهم شيئاً ، فأمر له إبن أبي سبرة بنفقة ، أنفذها إلى عياله وخرج معه ، فلما قضيا عمرّتهما ، قال للرابحي : هل لك أن نأتي معن بن زائدة ؟

قال : نعم

فأمر له بنفقة أنفذها إلى عياله ، وأخرجه معه ، حتى قدما على معن بن زائدة ، فدخل عليه ابن أبي سبرة وحده ، فدفع إليه كتاب جعفر بالرّضى عنـه ، فلما قرأه ، قال : كان جعفر أقدر على صلتك منيّ ، انصرف ، فليس لك عندي شيء ، فانصرف مغموماً فلما انتصف النهّار ، أرسل إليه ، فجاءة ، فقال له : يا ابن أبي سبرة ما حملك على أن قدمت عليّ ، وأمير المؤمنين عليك واجد ؟[2].

ثم سأله : كم دينك ؟

قال : أربعة الآف دينار . فأعطاه أربعة الآف دينار ، وأعطاه الفي دينار أخرى ، وقال : اصلح بهذه أمرك . فانصرف إلى منزله ، وأخبر الرابحي بما صنع معه معن ، فراح الرابحي إلى معن ، فأنشده :

---

١ ـ جعفر بن سليمان بن علي العباسي : ابن عم المنصور ، ولي المدينة في سنـة ١٤٦هـ على أثـر مقتل النفس الزكية ، وعُزل في سنة ١٥٠هـ ، وولي مكة والطائف واليمامة وتوفي في سنة ١٧٧هـ وهو أمير البصرة للرشيد (أنظر الكامل في التاريخ لابن الاثير ج٥ /٥٧٦ ، ٥٩٣ ، ج٦ /٥٦ ، ١٤٠ ، ٢١٤).

٢ ـ الفرج بعد الشدة / للتنوخي ج٢ / ٢٢ ، ٢٣ .

الرّابحي يقول في مدح لأبي الوليد أخي النّدى الغمر
ملك بصنعاء الملوك له ما بين بيت اللّه والشحر[1]
لو جاورته الرّيح مرسلة لجرى بجودٍ فوق ما تجري
حملت به أُم مباركة وكأنها بالحمل لا تدري

فقال له معن : فكان ماذا ويحك ؟

فقال :

حتى إذا ما تمّ تاسعها ولدته مولد ليلة القدر

فقال له معن : ثم ماذا ويحك ؟

فقال :

فأتت به بيضاً أسرّته يرجى لحمل نوائب الدّهر
مسح القوابل وجهه فبدا كالبدر بل أبهى من البدر
فنذرن حين رأين غرّته إن عاش أن يوفين بالنذر
للّه صوماً شكر أنعمه واللّه أهل الحمد والشكر[2]

فقال له معن : ثمّ ماذا ؟

فقال :

فنشا بحمد اللّه حين نشا حسن المروءة نابه الذّكر

فقال معن : ثمّ ماذا ؟

فقال :

حتى إذا ما طرّ شاربه خضع الملوك لسيّد بهر[3]

١ ـ الشحر : صقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن بين عدن وعُمان (معجم البلدان ٣/٣٦٣) .
٢ ـ الفرج بعد الشدة / للتنوخي ج ٢ / ٢٤ .
٣ ـ بهر : فاق أقرانه .

فإذا وهـــي ثغــر يقـــال لــه   يا معـن أنــت ســـداد ذا الثغــر

فقال معن : أنا أبو الوليد ، أعطوه ألف دينار .

فأخذها ورجع إلى ابن أبي سبرة ،فخرجا جميعاً ، إلى مكة فقال إبن أبي سبرة : أمّا الأربعة الآف دينار ، فلقضاء ديني ، وأمّا الالفان الفاضلة ، فلك منها ألف .

قال الرّابحي : قد أعطاني الف دينار ، وهي تجزيني ، فلا تضيّق على نفسك في الألفي دينار .

فقال له : أقسمت عليك لتأخذنها ، فأخذها ، وأنفق عليه حتى أتى المدينة . ونما الخبر إلى المنصور ، فكتب إلى معن : ما حملك على أن أعطيت[1] ابن أبي سبرة ما اعطيته ، وقد علمت ما صنع ؟

فكتب إليه معن : إنّ جعفر بن سليمان كتب إليَّ يوصيني به ولم أظن أن جعفراً يكتب في رجل لم يرض عنه أمير المؤمنين فكتب المنصور إلى جعفر ، يبكّته بذلك .

فكتب إليه جعفر : أنت ، يا أمير المؤمنين أوصيتني به ، ولم يكن في استيصائي به شيء أيسر من كتاب وصاة إلى معن بن زائدة .

١ ـ الفرج بعد الشدة / للتنوخي ج ٢ / ٢٤ .

معن بن زائدة وثلاثة شعراء

اجتمع عند معن بن زائدة ، إبن أبي عاصية وإبن أبي حفصة والضمّري ، فقال : لينشدني كلّ رجل منكم أمدح بيت قاله فيّ .

فأنشده إبن أبي حفصة :

مسحت ربيعةُ وجه معنٍ سابقـاً   لـمّا جرى وجرى ذوو الاحساب

فقال له معن : الجواد يعثر فيمسح وجه من العثار والغبار وغيرها .

وأنشد الضّمري قائلاً :

أنـت امـرؤٌ همـك المعـالـي   ودون معـروفـك الـربيـع

قال : ما أحسن ما قلت ! ولكن لم تسمّني ولم تذكرني ؛ فمن شاء انتحله .

فقال إبن أبي عاصية :

إن زال معـن بن شريـك لـم يـزل   لنـدىً إلى بلـد بعيـرُ مسـافـرُ

ففضّله عليهم[1].

---

١ ـ الموشح / للمرزباني ، ص ٣٩٥ .

مدح الشعراء لمعن بن زائدة

يقول الجاحظ : « ما أعلم في الأرض نعمة ، بعد ولاية الله ، أعظم من أن يكون الرّجل ممدوحاً » ، وقد كان « معن بن زائدة » ممن أحظاهم الشعر ، والواقع أن معن كان في مقدمة الأمراء الممدوحين .

ولا شك في أن جودة وحسن ما قيل فيه ، يعزى إلى نبله وبأسه وفتوّته إذ لا يجد الشاعر في مدحه تكلفاً وتصنّعاً في البحث عن المعاني التي تناسبه ، أما الوفرة فمبعثها بشاشته للشعر الجيد ، وتقديره للشعراء وقلة احتجابه عنهم . مع ذلك الفيض الزاخر من العطاء الذي يغدقه عليهم بغير حساب . وكأن واحدهم يجد ضالته المنشودة بين يديه من ترحيبٍ وإكرام وتقدير للصنعة وعطاءٍ جزيل ، وهذا ما يتمناه الشعراء من ممدوحيهم ، فكان بعضهم يلازمه في حله وترحاله ، وله أُعطيات سنوية معينة يتقاضاها منه ويقصده البعض في المناسبات فيمدحه ، ويأخذ ما تيسر من ماله . وفيهم من مدحه مرة أو مرتين في ظروف خاصة عابرة ، وما كان معن من كبار الموسرين ، ولا من ذوي الموارد الدائمة . بل كان ـ كما نعلم ـ قائداً له علاوة من خزانة الدولة ، ونصيب من أعطيات الخليفة ؛ يغزو ويجاهد الأعداء وراء الحدود ، فيربح حصته من المغانم والمكاسب ، ومن هذه الموارد المحدودة ينفق على نفسه وحاجاته ، ويجود بالباقي على مادحيه وقاصدي فضله والمستغيثين به من ذوي الحاجات ، وكثيراً ما كان بذله هذا يأتي على ما في خزانته من المال ، فلا يجد بعدها ما يكفي لسدّ نفقاته الواسعة .

كان يأيته الشاعر المجيد ، وهو في حالة يسرٍ فيعطيه عن كل بيت الف دينار ، ويأتيه آخر وهو في حالة عسر فيجمع ما في خزانته فلا يجد فيها أكثر من مائة دينار فيدفعها له ، ويحلف بأنه لا يملك غيرها فيتقبلها منه بقبول حسن ، ثم تكون مناسبة أُخرى فيأتيه شاعر ثالث فيمدحه ، فلا يجد لديه نقداً ، فيسوق إليه إبلاً كانت بين يديه أو كسوة ... الخ .

وبعد أن تولى معن اليمن تقاطر عليه الشعراء بعد أن بلغهم كثرة عطاياه وقد كان لجوائزه السنيّة أثرٌ في بروز بعض الشعراء وعلو صيتهم وإنشادهم عيون الشعر ،

وقد اختلف مقدار شعرهم فيه ما بين مقل ومكثر . وما بين قولٍ مألوف في المدح وغرر أثارت حسد خلفاء بني العباس . وسارت بها الركبان ، وتناقلتها كتب الأمالي ومجاميع الشعر وكتب الأدب ، **ومن هؤلاء الشعراء :**

(١) ودقة الاسدي

دخل ودقة الأسدي على معن ومعه ابن عيّاش وحبيب بن بديل يستعين بهما . فقال : إن رأيت اكرمك الله أن تضعني من نفسك بحيث وضعت نفسي من رجائك ، فإنك قد بلغت حالاً لو أعتقني الله بكرمك مِن تنصّف الرّجال بعدك لم يكن كثيراً ، وإني قد قدَّمت الرجاء وأحسنت الثناء ولزمت الحفاظ ثم أنشأ يقول :

يا معن انـك لم تنعم على أحـد	فشاب نعمـاك تنغيص ولا كـدر
فانظر إليَّ بطرف غير ذي مرضٍ	فربمـا صح لي من طرفـك النظر
أيام وجهك لي طلق يخبرنـي	إذا سكت بما تخفي ويضمر
ومن هـواك شفيـع ليس يغفلنـي	وإن نأيت وان قلت بي الـذكـر
قـد كنت أثرت عنـدي مـرة أثراً	فقـد تقارب يعفـو ذلك الأثـر
فاجبـر بفضلك عظماً كنت تجبره	واجمـع بفعلك ما قد كاد ينتشر
ما نازع العسر في اليسر مذ علقت	كفـي بحبلك إلأظفـر اليسـر
وقد خشيت وهذا الدهر ذو غير	بأن يـدال لطول الجفوة العسر
وإنَّ ما كان من عسـر وميسـرة	فإن حظك منـه الحمـد والشكـر

فقال معن : او ما كنا أعطيناك شيئاً ؟

قال : لا

قال : أما الذهب والفضة فليس عندنا ، ولكن هات تختاً[١] من ثيابي ياغلام فدفعه إليه كما دفع لكل من صاحبيه تختاً من الثياب[٢].

---

١ ـ التخت من الثياب : وعاء تصان به الثياب .

٢ ـ الآمالي للمرتضى ج١ / ١٦١ .

(٣) علي بن خليل الكوفي

هو رجل من أهل الكوفة موّلى لمعن بن زائدة الشيباني ، ويكنى أبا الحسن وكان يعاشر صالح بن عبد القدوس لا يكاد يفارقه ، وهو من جيل مطيع بن اياس ، ويحيى ابن زياد يتصاحبون على المجون والخلاعة والشراب اتهم بالزندقة وأُخذ مع صالح ثم أُطلق لـمّا انكشف أمره[١].

دخل عليٌّ بن الخليل ذات يوم إلى معن بن زائدة فحادثه وناشده ، ثم قال لـه معن : هل لك في الطعام ؟

قال : إذا نشط الأمير ، فأُتيا بالطعام ، فأكلا .

ثم قال : هل لك في الشراب ؟

قال : إن سقيتني ما أريد شربت ، وإن سقيتني من شرابك فلا لي فيه ، فضحك معن ثم قال : قد عرفت الذي تريد ، وأنا اسقيك منه ، فأُتي بشراب عتيق فلما شرب منه وطابت نفسه أنشأ يقول :

يا صاح قد أنعمت إصباحي	ببارد السَّلسال والراح
قد دارت الكأس برقراقة	حياة أبدانٍ وأرواح
تجري على أغيدَ ذي رونقٍ	مهذَّب الأخلاق جحجاح[٢]
ليس بفحّاش على صاحب	ولا على الراح بفضَّاح
تسره الكأس إذا أقبلت	بريح أُترجٍّ وتُفَّاح
يسعى بها أزهر في قُرطق	مقلَّد الجيد بأوضاح
كأنها الزُّهرة في كفِّه	أو شعلة في ضوءِ مصباح[٣]

١ ـ الأغاني / للاصفهاني ج١٤ ص ١٨٠ ، ١٨١ ، وانظر معجم الشعراء للمرزباني ص ١٣٦ .

٢ ـ الجحجاح : السيد الكريم .

٣ ـ الأغاني / للاصفهاني ج ١٤ ص ١٨٠ ـ ١٨١

(٣) مطيع بن إياس

شاعر مخضرم عاش في أواخر الدولة الأموية وأوائل الدولة العباسية ، ولد ونشأ في الكوفة فكان من ظرفاء أهلها ومجّانهم ، وكان طريفاً خليعاً حلو العشرة ، مليح النادرة ماجناً متهماً في دينه رُمي بالزندقة ولم يكن من فحول الشعراء ، كان جميل الصورة حسن الوجه ، تولى الصدقة في عهد المهدي بالبصرة ، توفي فيها سنة ١٦٩هـ وقيل سنة ١٦٦هـ[١].

وقد مدح مطيع بن إياس معن بن زائدة بهذه القصيدة الرائعة :

أهلاً وسهلاً بسيّد العرب ... ذي الغُرر الواضحات والنّجُبِ

فتى نزارٍ وكهلها وأخي الـ ... جود حوى غايتيه من كثبِ

قيل أتاكم أبو الوليد فقا ... ل الناس طُرّاً في السهل والرّحب

أبو العُفاة ، الذي يلوذ به ... من كان ذا رغبةٍ وذا رهب[٢]

جاء الذي تفرجُ الهموم به ... حين يُلزُّ الوضينُ بالحقب

جاء وجاء المضاءُ يقدُمُه ... رأيٌ إذا همَّ غيرُ مؤتشب[٣]

شهمٌ إذا الحربُ شبَّ دائرها ... أعادها عودةً على القطب

يُطفئ نيرانها ويوقدها ... إذا خبتْ نارُها بلا حطب

إلاّ بوقع المُذكَّرات يُشـ ... ـبهن إذا ما انتضين بالشُّهب

لم أرَ قِرناً له يُبارزُه ... إلا أراه كالصَّقر والخرب[٤]

ليثٌ بخفَّان قد حمى أجَمًا ... فصارَ منها في منزل أشب[٥]

شبلاه قد أُدّبا به فهُما ... شبهاهُ في جِدّه وفي لعب

١ ـ الأغاني / للاصفهاني ج١٣ ص ٣٠٠ .

٢ ـ العفاة : جمع عافٍ وهو الضيف وكل طالب رزق .

٣ ـ مؤتشب : غير متردد .

٤ ـ الخرب : ذكر الحبارى وهو طائر .

٥ ـ خفان : موضع قرب الكوفة (معجم البلدان / للحموي ج ٢ ص ٣٧٩).

قـد ومقـا شكلـه وسيـرتـه ... وأحكمـا منـه أكـرم الأدب[1]

نعـم الفتـى تُقْـرَنُ الصِّعـاب بـه ... عند تجاثي الخصوم للرُّكـبِ[2]

ونعـم ما ليلـة الشتـاءِ إذا استُـ ... ـنبح كلبُ القرى فلـم يُجِـبِ

•لا ونعـم عنـده مخـالفـة ... مثل اختلاف الصعود والصَّبب

يحصـرُ من لا فـلايُهـمُّ بهـا ... ومنه تضحى نَعَمْ على أرب[3]

تـرى له الحلـم والنُّهى خُلُقـا ... في صولـة مثل جاحـم اللَّهـب

سيـف الإمـاميـن ذاك وذا إذا ... قَـلَّ بُنـاة الـوفـاءِ والحسـب

ذا هـودةٍ لا يـخـاف نبـوتهـا ... ودينُـه لا يُشـابُ بالرِّيَـب[4]

فلما سمعها معن قال له : إن شئت مدحناك كما مدحتنا وإن شئت أثبناك . فاستحيا مطيع من اختيار الثواب على المديح وهو محتاج إلى الثواب فأنشأ يقول لمعنٍ :

ثنـاءٌ من أميـرٍ خيـرُ كسـبٍ ... لصاحـب فاقـةٍ وأخـي ثـراءِ

ولكـن الزمـان بـرى عظـامـي ... ومـا مـثـلُ الدراهـم من دواءِ

فضحك معن حتى استلقى وقال : لقد لطفت[5] حتى تخلَّصت منها ، صدقت لعمري ما مثل الدراهم من دواء ! وأمر له بثلاثين ألف درهم ، وخلع عليه وحمله[6].

---

١ ـ ومقا : أحبا .

٢ ـ التجاثي : الجلوس على الركبتين .

٣ ـ يحصرُ : يضيق صدره .

٤ ـ الهودة : التوبة والرجوع إلى الحق .

٥ ـ لطف : رفق .

٦ ـ الأغاني للاصفهاني ج ١٣ ، ٣٤٨ ـ ٣٤٩ ـ ٣٥٠.

(٤) الحسين بن مطير الأسدي

هو الحسين بن مطير بن مكمل، مولى لبني أسد بن خُزيمة، ثم لبني سعد بن مالك بن ثعلبة بن دودان بن أسد، وكان جده مكمل عبداً، فأعتقه مولاه. وقيل بل كاتبه، فسعى في مكاتبته حتى أدّاها وأعتق. وهو من مخضرمي الدولتين: الأموية والعباسية، شاعر متقدم في القصيد والرجز فصيح، قد مدح بني أمية وبني العباس وهو من ساكني زبالة وهي قرية عامرة فيها أسواق بين واقصة والثعلبية وتقع بطريق مكة من الكوفة وقيل تقع بعد القاع من الكوفة وقبل الشقوق[١]، وتوفي الحسين بن مطير في سنة (١٦٩هـ، ٧٨٥م)[٢]، ويعد من فحول المحدثين يشبه كلامه كلام الأعراب وأهل البادية. وذلك بيِّن في شعره.

وفد على معن بن زائدة لما ولي اليمن وقد مدحه، فلما دخل عليه أنشده:

أتيتك إذ لم يبق غيرَك جابر   ولا واهب يعطِي اللُّها والرغائبا[٣]

فقال له معن: يا أخا بني أسد، ليس هذا بمدح، أنما المدح قول نهار بن توسعة[٤] أخي بني تيم الله في ثعلبة في مسمع بن مالك[٥]:

قلدتّه عُرا الأمور نزار   قبل أن تهلِك السراة البحور[٦]

---

١ ـ معجم البلدان: ياقوت الحموي ج ٣ ص ١٢٩.

٢ ـ الاعلام: الزركلي ج٢ ص ٢٦٠.

٣ ـ اللُّها جمع لهوة وهي العطية، دراهم وغيرها.

٤ ـ نهار بن توسعة: من بني بكر بن وائل، شاعر بكر في خراسان هجا قتيبة بن مسلم، فطلبه فهرب واستجار بأُم قتيبة، له أبيات في رثاء المهلب بن أبي صفرة، قال الآمدي له ديوان، كان أبوه توسعه، من شعراء بكر بن وائل / الأعلام ج ٨ / ٤٩.

٥ ـ مسمع بن مالك: من قبيلة بكر بن وائل، ولاه عبد الملك بن مروان على سجستان ومات فيها انظر تاريخ الطبري ٦ / ١٦٩، ٢٩٨.

٦ ـ السراة: أشراف الناس، وأحدهم سريّ.

وأول هذا الشعر :

اظعني من هراة قد مر فيها	حجج مذ سكنتها وشهور[1]
اظعني نحو مسمع تجديه	نعم ذو المنثنى ونعم المَزور
سوف يكفيك إن نبت بك أرض	بخراسان أو جفاك أمير
من بني الحِصن عامل بن بريح	لا قليلُ الندى ولا منزور
والذي يفزع الكماة إليه	حين تدمى من الطعان النحور
فاصطنع يا بن مالك آل بكرٍ	واجبر العظم إنه مكسور

فغدا إليه بأرجوزته التي مدحه بها ، وأوّلها :

حديث ريا حبّذا إدلالُها
تسأل عن حالي وما سؤالها
عن امرئ قد شفّه خيالها
وهي شفاء النفس لو تنالها
سلٌ سيوفاً محدثاً صِقالُها
صاب على أعدائه وبالها
وعند معن ذي الندى أمثالها

فاستحسنها معن وأجزل صلته وأصبح الحسين بن مطير كنظيره مروان بن ابي حفصة يقول مدائحه في معن حياً وميتاً مما أثار غيرة الخلفاء عليه كما سنرى[2] .... فيما بعد إلا أن علاقة الحسين بمعن لم تكن علاقة ملازمة بل كان يلم به ويمدحه في أوقات متباعدة ولابدَّ أن يكون شعره قد ضاع .

---

١ ـ هراة : مدينة عظيمة مشهورة من أُمهات مدن خراسان . فيها بساتين كثيرة ومياه خربها التتار في سنة ٦١٨ ، وهراة أيضاً مدينة بفارس قرب إصطخر كثيرة البساتين (معجم البلدان : ياقوت الحموي ج٥ : ٣٩٦) .

٢ ـ الاغاني / للاصفهاني ج ١٦ ص ٢٤ - ٢٥ .

(٥) سَلْمُ الخاسر

هو سلم بن عمرو مولى بني تيم بن مرّة ، ثم مولى أبي بكر الصّديق ، بصري شاعر مطبوع متصرّف في فنون الشعر ، من شعراء الدولة العباسية وهو راوية بشّار بن بُرد وتلميذه ، عنه أخذ ، ومن بحره اغترف ، وعلى مذهبه ونمطه قال الشعر .

ولُقّب سلمٌ بالخاسر ـ فيما يقال ـ لأنه ورث من أبيه مصحفاً ، فباعه واشترى بثمنه طُنبوراً . وقيل بل خلّف له أبوه مالاً ، فأنفقه على الأدب والشعر ، فقال له بعض أهله : إنك لخاسرٌ الصفقة فلقّب بذلك[١] ولا تذكر المصادر تاريخ ولادته ، ويقال أنه قضى فترة قصيرة من شبابه متنسكاً ثم رجع إلى حياة الخلاعة والمجون[٢].

وقد مدح معن بن زائدة بهذه الأبيات :

أبلـــغ الفتيــــــان مألكـــةً	أنَّ خيـــر الـــوُدّ ما نفعـــا
أن قـرمـاً مـــن بنـــي مطـــرٍ	أتلفـت كفّـــاه مـا جمعـــــا
كلّمــا عُدْنــا لنــائِلـــــه	عـاد في معروفــه جَـــذَعـــا[٣]

وله قصيدة أُخرى في رثاء معن بن زائدة واثنين من اصحابه سنوردها لاحقاً في باب رثاء معن بن زائدة .

١ ـ الأغاني / الاصفهاني ج١٩ ص ٢٧٦ .

٢ ـ شعراء عباسيون / غُربناوم غوستاف ڤون ، ترجمها واعاد تحقيقها الدكتور محمد يوسف نجم ، والدكتور احسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٥٩ ص ٧٧ .

٣ ـ الأغاني / للاصفهاني ج ١٩ ص ٢٩٨ .

(٦) ابن الدمينة

الدُّمينة أمُّه ، وهي الدُّمينة بنت حذيفة السَّلولية ، واسم ابن الدمينة عبدالله بن عبيد الله بن احمد (بن الدمينة) أحد بني عامر بن تيم اللّه بن مبشرٍ بن أكلُب بن ربيعة بن عفرس بن حلف بن أفتل وهو خثعم بن أنمار بن إراش بن عمرو بن الغوث بن نبت بن مالك[1].

وقد مدح معن بن زائدة في هذه القصيدة التي تعد من عيون الشعر :

يا للرِّجـال هـوى أُميمـة قاتلي	بعد الجلالـةِ والشَّـفيـق العـاذل
وحوادثٍ تُسلي المُحبَّ عن الهوى	ونوائـبٍ عـذَّبننـا وشـواغـلَ
وتجـاربٍ منهـا فأحلـى قائـل	بلسانـه قيـلاً وأمطـلُ ماطـلَ
أأُقيـم هل أُخبـرت متبـولاً بكـىَ	ممَّا تضمَّـن من هـوىً للتّـابـلَ
أو تعلمين ـ هُديتِ ـ من صافٍ لهُ	وُدُّ الكـرام ولا يـجـودُ بنـائـلَ
وزعمت أنِّي منك أهلُ كرامةٍ	فرجوتُـهُ أَمـلَ الحيـا فـي قابـلَ
ولقد صحبتُك ـ لو جزيت مؤدَّةً	وخلائقـاً ليست بذاتِ غوائـلَ
عامـاً فعامـاً ثـمَّ آخـر ثالثـاً	فبلـوتُ ذلك مثل قيـلِ البـاطـلَ
وعـداً كبـارق خُلَّـبٍ لسمائـهِ	سـدٌّ وأكـذبُ منظـراً للخـائـلَ
أيام أضمَـرَ من تـذكّـرك ، الحشـا	في غمـرةٍ من لهونـا وغيـاطـلَ
شغفـاً تأوّبنـي إلـى خطـراتـه	مُطـواءُ ذاتُ هماهـم وملائـلَ
وكذلك سكراتٌ تخايـل للفتـى	ما ليـس للصّاحيـن بالمتخـايـلَ
قالت أميمـةُ قد وعدنـك نسـوةٌ	ملقـىً وهُنَّ قـرائبي وخلائلـيَ
فاضـرب لنـا أجـلاً فقـد أبرمتني	يُعقبـن بعـد رسائـل برسائـلَ
فهممـتُ أن أنأى وقلت : يعبنني	حسـداً لهـا وتحمـلاً لوسائلـيَ
وعلمـتُ أنـيً إن صفالي عنـدهـا	وُدٌّ فليـس لقيلـهـنَّ بزائـلِ

1 ـ الاغاني : ابو الفرج الاصفهاني جزء ١٧ ص ٩٨ .

إن عبنني حسداً لها علمت به | طبّاً بهن وهنّ غيرُ غوافل
وجعلت موعدهن ليلة أسعدٍ | ملقى المُحبِّ عن الغيور الغافل
حتّى إذا وافيتُ لا بُمقصِّرٍ | عمّا رقبنَ لهُ ولا بالعاجل
وافيتُ مجلسَ بُدَّنٍ قُطُف الخُطا | هيف البُطُون ذوات شطبٍ كاملِ
يبسمن عن بردٍ أحمَّ رُضابُهُ | كالشّهد لا رصفٍ ولا مُتشاعلِ
يفترُّ روضَ حناتم صيفيَّةٍ | بين الدُّجى وغُروب كلِّ أصائل
عجباً لبهجة ذات دلّ فضلُها | بادٍ وهُنَّ ذواتُ دلّ فاضل
لمّا تراجعنا الحديث نكُفُّهُ | بالخفض بعد تحيَّةٍ وتساؤلِ
والمقترات من الكلام ولم يكُن | بتجارم جِداً ولا بتباذلِ
صافحنني بنواعم مخضوبةٍ | شبه البَّنات من النَّقا المتهايلِ
يا نعم ذلك مجلساً ولُبانةً | لو كان يومك ليلُهُ يتطاولُ
طرب الفؤادُ إلى نواح حمائم | لا يرعوين إلى حزين واجلِ
نجمّن أنواءَ الرَّبيع بجانبٍ | خصبٍ فساكنُهُ بعيش باجلِ
والصَّيف حتّى استنَّ فوق متانهِ | وهجُ السَّمائم بالمسيل الحافلِ
وجرى السَّرابُ على الحدابِ كأنَّه | موجٌ يُرجِّعُ في جنوب السَّاحَلِ
ثم اقتربن إلى المناهل وانقضى | زرعُ المصيف من البُطُون الضاهلِ
حتىً إذا وقع الخريفُ لمسولِ | فلذي قضين إلى بياض جُلاجلِ
قرَّبن للأحمالِ كلَّ مُضَبَّرٍ | كالقصر فعم المنكبين قُنابلِ
نهد الملاط جُرا شع حيزوقُهُ | جثلُ الضُّلوع ، شديدُ شعب الكاهلِ
عيرانةٍ هملت وظاهَرَ نيهّا | عشبٌ تجثَّلَ من ربيع هاطِلِ
حتّى إذا خشَّعنها بأزمَّةٍ | من صنُع ماهرةِ الأكفِّ جوادل
وارين عرض جسامهنَّ وطولها | بُمحبَّرٍ من رقمهنَّ غُدافلِ
وعلوتهنَّ بكلِّ أحوى قاترٍ | كالطرِّف لاجافٍ ولا متُضائلِ

بمحجَّبٍ بالأرجوان مُقنّع ... بالرِّيط رهّاف السَّديف مُخايل
حتّى إذا هيَّأْنَ أحسن منظر ... حالاً بلا عُنفٍ ولا بتواكل
فوق الجمال تبوّأت أخدارها ... خردٌ ملاحُ الدَّلّ غيرُ عواطل
من كُلِّ بهكنةٍ يجولُ وشاحُها ... عن خصرها،والخصرُ ليس بجائل
رعبوبة نفحُ العبير بجيبها ... عبقٌ، ولا تصلُ المُحبَّ بطائل
إلاّ بـ «غلٍّ» و «سوف» قيل بُعده ... خلْفٌ وليس خيالها بُمزايلي
هذا وخيرُ مِدحَةٍ لمُمدَّح ... بفضائل معدودة ونوافل
لفتى معدٍ ذي الوفاءِ بعهده ... وأخي السِّياسة والقضاء الفاصل
والمنتضى لنكال من شقَّ العصا ... يوم التَّزايل بالوشيج الذَّابل
واعص العواذلَ واقرهّما ضائقاً ... منع الرُّقاد نجاءَ حرفٍ بازل
يا معنُ يا بن كرام من وطئ الحصى ... إلاَّ النُّبوَّة ثمَّ أكرمَ وائل
حسباً وأكرهم إذا حمي الوغى ... بأساً وأصبرهم لحق نازل
وأشدَّهم دفعاً وأخلص وائل ... نفعاً وأطولهُم مناط حمائل
كم من أمير كريهةٍ ممّن طغى ... ومقنَّع شاكي السِّلاح مُباسِل
ضار بأسلاب الفوارس معلق ... نفعاً تحرَّبهُ بصدر العامل
أشعرت نافذةً تجيشُ بناحطٍ ... زبدٍ معانده، وآخر سائل
ورميت ذا يمن بشيبانَّية ... طحنت جناجن من طغى بكلا كل
ووطئت عسكر كُلِّ ثغر حازهُ ... أهلُ المخبَّة وطأة المتثاقل
ومشرَّدٍ خاف العدوَّ بجانبٍ ... والجور، منقطع إليك موائل
آمنتَ خيفته، ويوم كريهةٍ ... فرَّجت غُمتها فكم من قائل
إنَّ الوفود من القبائل كلّها ... فمَّن تضعضع ما لُهُ والخامل
طلبوا ندى معن فأوثق راحل ... بنجاح حاجته، وأجمد قافل
سمحُ المودَّة في العطاءِ حريمُهُ ... عند الثُّريَّا من يد المتناول
ما اليمُّ من بحر الفُرات إذا طمى ... بالسَّيل بين جداولٍ ومحافل

بَأعــمَّ نفعـاً من نــداك لمـن بغى	فضـلاً وأثمـلَ للضّعيـف العائـلِ
لـولا رجاؤك لـم أسـر من بيشـةٍ	عـرض العـراق بفتيـة ورواحـلِ
كـم قـد قطعـن إليـك من داويّـةٍ	سهـل يظـلُّ دليلُهـا كالجاهـلِ
مـوصـولـةٍ بتنائـفٍ موصـولـةٍ	أقطـارهـنَّ بسبسـب متمـاحـلِ
وزمـان آفـاتٍ قطـعـن تمـاديـاً	وخببن في الحُزّان ذات هـزائـلِ
يا بـن الغطارفـة الذين سمت لهم	قلـلٌ ذوات أرومـةٍ وعُـدامـلِ
ثبتـت رواسيهـا وزان فـروعهـا	فضـلٌ يمّنـعُ من تعاطى الحاصلِ
حقّق ـ فداك أبي ـ مغيظة حاسدي	وسـرور معتـرّ لسيبـك آمـلِ
لجمـال منقلـبٍ بـزعـم ، ناظـرٍ	لنداك إنَّك ذو ندىً وفـواضـلِ(١)

(٧) عباءة الراتجي

هو عباءة بن عمر الراتجي ، ذكره المرزباني في معجم الشعراء (٣٠٤) وقال لحق الدولة العباسيّة ومدح معن بن زائدة بهذه الأبيات :

مسـح القـوابـل وجـهـه فبـدا	كالبـدر أو أبهـى من البـدر(٢)
فنشـا بحـمـد اللّـه حيـن نشـا	غمـر المـروءة نابـه الـذكـر
حتـى إذا مـا طـرّ شـاربـه	خضـع الملـوك لسيـدّ قهـر(٣)

---

١ ـ ديوان ابن الدمينة : صنعه أبي العباس ثعلب ومحمد بن حبيب تحقيق احمد راتـب النفّـاخ ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة (د . ت) (من صفحة ٦٩ ـ ٧٩) .

٢ ـ القوابل : جمع قابلة وهي التي تتلقى الولد عند ولادته من بطن أمه .

٣ ـ ربيع الابـرار : الأمـام محمـد بن عمر الزمخشري ج٢ تحقيق الدكتور سليم النعيمي ، منشورات وزارة الأوقاف العراقية ص ٤٥٧ .

(٨) مروان بن أبي حفصة
« ١٠٥ هـ ـ ١٨٢ هـ »

هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة ، وكنيته أبو الهِنْدام أو أبو السمط ولقبه ذو الكمر ، وفي أصله خلاف ، إذ يذهب أهله إلى أن جده يزيد الذي يكنى أبا حفصة من موالي عثمان بن عفان ، في حين يجمع أهل المدينة على أنه كان من موالي السموأل بن عاديا اليهودي[١].

وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الدولتين الأموية والعباسية ، ومروان شاعر مجوّد من أهل اليمامة ، قصد معن بن زائدة باليمن وانقطع إليه . وقال فيه مدائح ومراث عجيبة خلدت ذكر معن على مرّ الدهور وكان معن يجود على صاحب هذه المدائح بالنفحات الكبيرة والسخاء الكريم حتى أن صنيعه هذا أثار عليه حفيظة أبي جعفر المنصور ، وأخذه على كثرة عطائه له ، ثم قدم بغداد ومدح الخليفتين المهدي والرشيد قيل أنه قال الشعر وهو غلام لم يبلغ العشرين[٢] من عمره توفي سنة ١٨٢هـ وقد حاول بعض الباحثين أن يستشف الأسباب الخفية التي دفعت مروان بن أبي حفصة إلى الذهاب إلى اليمن والإنقطاع إلى معن ، ونظم قصائد المدح فيه وجعلها كالآتي[٣] :

١ ـ كان مروان محتاجاً إلى المال ، وكان محباً له ... فقصد معناً .
٢ ـ أنه كان يقصد الأمويين بالشام لنيل جوائزهم وقد ذهبوا فكان لا بدًّ أن يبحث عن مرعى خصب ، فكان ديوان معن هذا المرعى .
٣ ـ إن الصلة الوثيقة التي كانت تربط كلاً من معن ومروان بالأمويين في الأيام الغابرة مهدّت أمام الشاعر طريق الوصول إلى الأمان والغنى .
٤ ـ إنّ صلة مروان وآله ببني أُمية كانت سبباً في تريثه في القدوم على العباسيين .

---

١ ـ شعر مروان بن أبي حفصة / للدكتور حسين عطوان ص٧ .
٢ ـ تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي ج١٣ ص ١٤٢ .
٣ ـ مروان بن ابي حفصة وشعره / للدكتور قحطان رشيد التميمي ، مطبعة دار النعمان بالنجف ١٩٧٢ ص ٦٨ .

أما كيف ابتدأت هذه الصلة بين الشاعر والأمير ، فتوضّحها رواية أوردها الأصفهاني خلاصتها أن مروان بن أبي حفصة كان ماراً باليمامة فسمع رجلاً من باهلة ينشد قوماً شعراً يمدح به مروان بن محمد آخر خليفة أموي ، وأنه كان قد أعدَّ له هذا الشعر قبل أن يبلغه مقتله على أيدي العباسيين وأول هذه القصيدة :

مـروان يا ابن محمد أنـت الـذي　　زيـدت بـه شرفـاً بنـو مـروان

فأعجبته القصيدة ، فأمهل الباهلي حتى قام من مجلسه ثم أتاه في منزله وأخبره بإعجابه بالقصيدة ، وأن من قيلت فيه قد مات ، وأن الشاعر قد خسر ما قد أمّل من جائزة ، ثم طلب منه مروان أن يبيعه هذه القصيدة لكي ينتحلها ، وهكذا اشتراها بثلاثمائة درهم . وحلّفه بالطلاق ثلاثاً وبالأيمان المحرجه أن لا ينتحلها ولا ينسبها إلى نفسه ولا ينشدها وانصرف بها إلى بيته فغيّر فيها أبياتاً وزاد فيها وجعلها في معن بن زائدة وقال في ذلك البيت الذي سمعه عندما كان مجتازاً بالباهلي :

معـن بن زائـدة الـذي زيـدت بـه　　شرفـاً على شـرف بنو شيبـان

ووفد بها على معن بن زائدة فملأ يديه ، وأقام عنده مدة حتى أثرى واتسعت حاله . فكان معن أوَّل من رفع ذكره ونوَّه به . وقد جازاه مروان بن أبي حفصة بتخليد اسمه بغرر القصائد[1].

يبدو أن هذه القصة موضوعة لا سيما عن بداية صلة مروان بمعن خاصة إذا علمنا أن عائلة الشاعر مروان كانت عائلة شعراء يتوارثون الشعر كابراً عن كابر . وأنهم على صلة بالخلفاء الأمويين وولاتهم[2] ولا يمنع أن يبرز مروان بمدائحه لمعن ، وقد انضجته الأيام وزادته خبره ، ومعرفة بالشعر . وذكر المرزباني في موشحه قصة

---

١ ـ الاغاني / للاصفهاني / ج١٠ / ص ١٠٤ ، ١٠٥ .

٢ ـ مروان بن أبي حفصة / للدكتور قحطان التميمي ص ٤٥ .

تشبه سابقتها وهذا مروان نفسه يحدثنا بما جرى :

قال : خرجتُ أُريد معن بن زائدة فضمنّي الطريق وأعرابياً ، فسألته : أين تريد ؟

فقال : هذا الملك الشيباني

قلت : فما أهديت إليه ؟

قال : بيتين من الشعر

قلت : فقط !

قال : إني جمعت فيهما ما يسرّه

فقلت : هاتهما

فأنشدني :

معن بن زائدة الذي زيدت به — شرفاً على شرف بنو شيبان

إن عُدّ أيام الفعال فإنما — يوماه يوم ندىً ويوم طعان

قال : ولي قصيدة حكتها بهذا الوزن

فقلت : تأتي ، رجلاً قد كثرت غاشيته ، وكثر الشعراء ببابه فمتى تصل إليه ؟

قال : فقل

قلت : تأخذ مني ما أمّلت بهذين البيتين وتنصرف إلى رحلك .

قال : فكم تبذل ؟

قلت : خمسين درهماً .

قال : ما كنت فاعلاً ؛ ولا بالضعف !

قال : فلم أزل أرفق به حتى بذلت له مائة وعشرين درهماً فأخذها وانصرف

فقلت : إني اصدقك

قال : والصدق بك أحسن

قلت : إني حكتُ قافيةً توازن هذا الشعر وإني أُريد أن أضم هذين البيتين اليهما

قال : سبحان اللّه ! لقد خفت أمراً لا يبلغك أبداً

فأتيت معن بن زائدة ، وجعلت البيتين في وسط الشعر وأنشدته ، فأصغى نحوي ، فواللّه ما هو إلا أن بلغت البيتين فسمعهما ، فما تمالك أن خرَّ على فراشه حتى لصق بالارض ، ثم قال : أعد البيتين ، فأعدتهما ، فنادى : يا غلام ، إئتني بكيس فيه الف دينار ! فما كان إلا لفظه وكيسه .

فقال : صبّها على رأسه !

ثم قال : هات عشرين ثوباً من خاصٌ كسوتي ، ودابتّي الكذا ، وبغلي الكذا .

قال : فانصرفت بحباءِ الاعرابي لا بحباء معن[1].

وقد قال مروان بن أبي حفصة هذه القصيدة مادحاً معن بن زائدة وتعتبر من غرر القصائد :

هاجت هـواك بواكـر الأظعـان	يـوم اللّوى فظللـت ذا أحـزانِ
عـادات عينـك أن تظـل دموعهـا	منهـلــة لتفـــرق الجيــــران
لـولا رجـاؤك ما تخطَّت ناقتـي	عـرض الدّبيـل ولا قُرَى نجـرانِ
نِعـمَ المُنـاخُ لراغـــبٍ ولراهـبٍ	فـمَّـن تُصيـبُ جوائـحُ الأزمـانِ
معـنُ بـن زائـدة الذي زيـدت بـه	شرفـاً على شـرفٍ بنـو شيبـانِ
جبـــلٌ تلـوذ بـه نـزارٌ كلَهــا	صعـبُ الـذُّرى مُتمنعٌ الأركـانِ
إن عُـدٌ أيَـامُ الفعـــالِ فإنَّمـــا	يـومـاهُ يـومُ نـدىً ويـومُ طِعـانِ
تمضـي أسنَّتُـهُ ويُسفُـر وجـهُـهُ	فـي الـروّع عنـد تغيـرٌ الألـوانِ
يكسـو الأسـرَّةَ والمنابـرَ بهجـةً	ويـزينُـهـــا بجـهـــارةٍ وبيـــانِ
والخيـزران يطيـبُ حيـن يَمَسـه	منـه بأطيـب راحــة وبـنـــانِ

١ ـ الموشح / للمرزباني : ٣٩٣ ، ٣٩٤ .

كلتا يـديـك أبا الوليد مع النَّـدى خُلقـت لقائـم مُنصُـل وعنـانِ

جلـب الجيادَ من العـراق عوابسـاً قُـبٌ البُطـونِ يُقـدنَ بالأرسـانِ

جُـرداً مُحنبـةً تعاضدُ في السُّرى بالبيـدِ كُـلٌ شملَّـةٍ مِذْعَـانِ

مـن كـل سلهبـةٍ يبـين بنحـرهـا وقـعُ القنـا وأقـبٌ كـالسِّـرحـان

حتَّى أغـرنَ بحضرمـوت شـوازبـاً مُقـورةً ككـواسـر العِقبـانِ

مطـرٌ أبُـوك أبو الأهِلَّةِ والنَّـدى بالسَّيـفِ حـازَ هجـائِنَ النُّعمـان

نفسي فـداءُ أبـو الوليـدِ إذا عـلا رهـجُ السَّنابِكِ والرِّمـاحُ دوانـي

مـا زلـتَ يـومَ الهـاشمية مُعلمـاً بالسَّيـف دُون خليفـةِ الرَّحمن

فمنعـتَ حـوزتـهُ وكُنت وقـاءهُ مـن وقـع كُـلِّ مهنَّـدٍ وسنـان

أنـتَ الـذي تـرجُـو ربيعـةُ سيبهُ وتُعـدُّهُ لنـوائـبِ الحَـدَثَـانِ

فُـتَّ الـذين رجوا نـداك ولم ينـلْ أدنـى بنـائـكَ في المكارم بانـي

إنـيٌ رأيتُـكَ بالمحـامِـدِ مُغـرمـاً تبتـاعُهـا بـرغـائِـبِ الأثمـانِ

فإذا صَنَعْـتَ صنيعـةً أتممْتَهَـا ورَبَبْتَهَـا بفـوائِـدِ الإحسـان[1]

بدأ الشاعر قصيدته على جاري عادة الشعراء بذكر الاطلال ومفارقة الأحبة والجيران ثم عرّج على غرضه في مدح معن بن زائدة وعشيرته شيبان ،ووصفه بالعظمة وأنه كالجبل العالي ، ولهيبته كان يكسو المنابر التي يرتقيها والأسرّة التي يجلس عليها مهابة ويزينها بحسن بيانه ، ثم وصف مجيئه مع من جلبه معه من العراق إلى اليمن وهم يقطعون الصحراء ليلاً ونهاراً ، ولم ينس أن يُذكرٌ بهذا البطل الذي كان لوقفته يوم الهاشمية دور حاسم في حماية الخليفة المنصور وانقاذه من الراوندية ، وأنه كريم يشتري المحامد بالأثمان الغالية ، وأنه أبو الوليد ممن يُقرٌ له بالإقدام في الحروب لأنه فارس خُلقت يداه للسيف ولأعنة الخيول ،كيف لا وهو بطل ربيعة المرجي للنائبات ، ثم يذكر جده الأسبق مطر الذي كان له مع الملك النعمان ملك الحيرة ذكر .

---

١ ـ شعر مروان بن أبي حفصة للدكتور حسين عطوان : ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٠٨ .

وفي قصيدته هذه تظهر مقدرة مروان الشعرية من انتقاء أجزل الالفاظ كي تكون هذه الالفاظ أداة فاعلة في نقل عواطفه وانفعالاته فالإشادة بالمفاخر والبطولات ومقارعة الخصوم السياسيين تحتمان على الشاعر مروان أن يختار الالفاظ الفخمة القوية لتوازي معانيه القوية وهكذا اصبحت قصيدته هذه في الذروة في اسلوبها الخالد وعباراتها الجيدة[1].

شاعت هذه القصيدة كغيرها من شعر مروان الذي قاله في معن خاصة أن معناً قد أجزل العطاء لمروان حتى قيل إنه أعطاه مائة الف درهم . وهذا ما أدى بالخليفة إلى عتابه ، وقد وردت صور العتاب لدى أهل الأدب بأشكال منها ما أورده الشريف الرضي بقوله « فلما حضر عند المنصور قال له : هيه يا معن !! تعطي مروان ... على أن قال لك :

معن بن زائدة الذي زيدت به ... شرفاً على شرف بنو شيبان
إن عدَّ أيام الفعال فإنما ... يوماه يوم ندىً ويوم طعان

فقال كلا يا أمير المؤمنين ولكن أعطيته على قوله :

ما زلتَ يومَ الهاشمية مُعلماً ... بالسّيف دُون خليفةِ الرّحمن
فمنعتَ حوزتهُ وكُنت وقاءَهُ ... من وقع كُلِّ مهنَّدٍ وسنان

فقال له المنصور : أحسنت يا معن[2].

ويبدو أن الخليفة قد عزل معناً بسبب كثرة عطاياه ، ولم يكتف بعتابه وقد مرَّ بنا كيف اتهمه بالخيانة ، وأنه لا يشبه الحجاج في وفائه واخلاصه للخلفاء الأمويين . فإذا علمنا من سيرة المنصور حرصه على جمع المال وعدم تبذيره ليستطيع مواجهة أحداث عصره ، وليؤسس كياناً ثابتاً يدوم بعده ، تأكد لدينا سبب عزل معن عن اليمن .

---

١ – مروان بن أبي حفصة وشعره / قحطان التميمي ، ص ١٩٣ .
٢ – مروج الذهب / للمسعودي / ج٣ / ص ٢٨٦.

ومن جيد قول مروان في مدح معن بن زائدة[1] :

مامن عَدوٌ يـرى معنـاً بسـاحته	إلاّ يظـنُّ المنـايا تسبـق القَـدَرَا
يُلفىَ إذا الخيلُ لم تقدم فوارسهـا	كالليْـثِ يـزدادُ إقـداماً إذا زُجـرا
أغرُّ يُحسـبُ يـومَ الـرَّوع ذا لِبدٍ	ورداً ويُحسَبُ فوق المنْبرَ القَمَـرا

ففي هذه الأبيات يمدح معناً ويصفه كالأسد في ساحات الحرب ، وأن أي عدو يراه في ساحة المعركة يعرف سلفاً بأنه هالك لبأسه وشجاعته ، إلاَّ أن هذا الفارس تراه بعيداً عن الحروب وأهوالها إذا ما ارتقى منبراً . كأنه أسد لهيبته وجمال منظره .

وممّا قاله فيه بعد عودته من اليمن إلى بغداد ، وقد أتاه النّاس مرحبين به ، والدار غاصة بأهلها وبمن ألم بها ، وقد أخذ بعضادتي الباب وفاجأ الناس وهو يرفع صوته منشداً قصيدته العينية التي يصفه بها بالشجاعة وبأنه حامي قبة الاسلام من خطر الأعداء حيث أقام بالثغور وهي مكمن الخطر الذي يأتي منه الاعداء[2] .

قوله في مدح معن بن زائدة :

أرى القلبَ أمسى بالأوانس مُولعاً	وإن كان من عهدِ الصِّبا قد تمتعّا
ولـمَّا سـرى الهـمُّ الغريبُ قريتُهُ	قـرى من أزال الشَّكَّ عنه وأزمعـا
عزمتُ فعجَّلت الرَّحيـل ولم أكُنْ	كـذي لوثـة لا يُطلـعُ الهمَّ مطلعـا
فأمَّت ركابي أرض معن ولم تزلْ	إلى أرض معـن حيثما كان نُـزَّعـا
نجائـبُ لـولا أنَّهـا سُخِّـرت لنـا	أبـت عِـزةً من جهلهـا أن تـوزَّعـا
كسـونـا رحال الميس منها غواربـاً	تـدارك فيهـا النَّيُّ صيفاً ومربعـاً
فما بلغـتْ صنعاءَ حتَّى تواضعت	ذُراها وزال الجهـلُ عنهـا وأقلعـا
وما الغيـثُ إذ عَـمَّ البـلادَ بصوبـهِ	على الناس من معروف معن بأوسعا

١ ـ شعر مراون بن أبي حفصة للدكتور حسين عطوان ، ص ٤٤ .

٢ ـ المرجع نفسه ص ٦٣ ـ ٦٤ .

تـدارك معنٌ قُبَّةَ الـدِّين بعـدمـا ... خشينـا على أوتـادها أن تُنـزَّعـا
أقـام على الـثَّغـر المَخُـوفِ وهاشـمٌ ... تساقـى سِمَامـاً بالأسنَّـة مُنْقَـعَـا
مُقام امرىءٍ يأبى سوى الخُطَّةِ التي ... تكون لدى غبٍّ الأحاديثِ أروعا
وما كـان فيهـا مثـل مُعـطٍ دنَّيـةً ... بها العَارَ أبقى والحفيظـة ضيَّـعـا
وما أحجـم الأعـداءُ عنـك بقيَّـةً ... عليك ولكن لم يروا فِيك مَطمَعَا
رأوا مُخـدراً قـد جرَّبـوهُ وعاينـوا ... لدى غيله منهم مَجَـرّاً وَمَصْـرَعـا
إذا عَجَمَتهُ الحربُ لم تُـوهِ عظمـهُ ... وفـلَّ شبا الأنيـابِ منهـا فأسـرعـا
وليـس بثانيـه إذا شـدَّ أن يَـرَى ... لـدى نحـرهِ زُرْق الأسنَّـة شُـرَّعَـا
له راحتـان الحتفُ والغيثُ فيهمـا ... أبـى اللّـهُ إلاَّ أن تضُـرَّ وتنفعـا
لقـد دوَّخ الأعـداء معنٌ فأصبحوا ... وأمنعُهُـم لا يـدفـع الـذُّلَّ مدفعـا
نجيـبُ منـاجيـبٍ وسيِّـدُ سـادةٍ ... ذُرَا المَجْـد من فرعي نزار تـفـرَّعـا
فبانتْ خصالُ الخير فيه وأُكمِلَـتْ ... وما كمُلـتْ خمسٌ سنُـوه وأربعـا
لقد أصبحتْ في كُلِّ شرق ومغربٍ ... بسيفـك أعنـاقُ المُرِيبيـن خُضَّعـا
وطئت خـدود الحضـرميين وطـأةً ... لها هُـدَّ رُكنَـا عزِّهـم فتضعضعـا
فأقعـوا على الأذنابِ إقعـاءَ معشر ... يـرون لـزوم السِّلم أبقى وأودَعَـا
فلو مُدَّت الأيدي إلى الحربِ كُلُّها ... لكفُّوا وما مَدُّوا إلى الحرب إصبعا
رأيـتُ رجـالاً يـوم مكَّـة أجلبُـوا ... عليـك فرامُـوا منك طوداً مُمنَّعـا
على غير شيءٍ غير أنْ كُنتَ منهُمُ ... أعَـفَّ وأعطى للجزيـل وأشجعـا
فأصبحتَ كالعضْبِ الحُسام وأصبحوا ... عباديـدَ شتىً شملُهُم قد تصدَّعـا
أخذتُ بحبل من حبالك مُحصَدٍ ... متينٍ أبتْ منهُ القُوى أن تقطَّعـا[1]

---

١ ـ شعر مروان بن أبي حفصة / الدكتور حسين عطوان ص ٦٥ .

ومدح مروان بن أبي حفصة معناً ووصفه بأنه ملاذ كل خائف أراد به اللّه الأمان،إذ جعله مجاوراً لمعن ،وهو من يشتري العز بأغلى الثمن ،ومن يوفي بعهده[1] :

قد أمَّنَ اللّهُ من خوفٍ ومن عدم — من كان معنٌ له جاراً من الزَّمن
معنُ بن زائدة الموفي بذمَّته — والمشتري المَجْدَ بالغالي من الثَّمن
يرى العطايا التي تبقى محامدُها — غُنماً إذا عَدَّها المُعْطي من الغبن
بنى لشيبان مَجْداً لا زوالَ لَهُ — حَتّى تزول ذُرى الأركان من حضن

ومدح مروان معناً وجعله مقصود الخائف والمرتجى الذي يقطع الصحارى والفيافي من أجل الوصول إليه[2] :

ويوم عسولِ الآل حام كأنَّما — لظى شمسه مشبوبُ نار تلهَّبُ
نصبنا له منَّا الوجوه وكنَّها — عصائبُ أسمالٍ بها تتعصَّبُ
إلى المُجتَدى معن تخطَّت ركابُنا — تنائفَ فيما بينها الرِّيحُ تلغبُ
كأنَّ دليلَ القوم بينَ سُهُوبها — طريدَ دم من خشيةِ الموتِ يهربُ
بدأنا عليها وهي ذاتُ عجارفٍ — تقاذفُ صُعراً في البُرى حينَ تُجذَبُ
فما بلغت صنعاء حتّى تبدَّلتْ — حُلوماً وقد كانت من الجهل تشغبُ
إلى بابِ معن ينتهي كُلُّ راغبٍ — يُرجِّي النّدى أو خائفٍ يترقَّبُ
جرى سابقاً معن بنُ زائدة الذي — به يفخرُ الحيَّان بكرٌ وتغلبُ
فبَّرز حتىَّ ما يجارى وإنَّما — إلى عرقِهِ يُنمى الجوادُ ويُنسبُ
مُحالفُ صولات تُميتُ ونائل — يريشُ فَما ينفكُّ يُرجى ويرُهبُ[3]

ومدح مروان معناً بقصيدةٍ أُخرى مُظهراً أخلاقه وشجاعة قومه بني مطر أهل السيادة والرأي الصائب الذين يجيبون الداعي ، ويحسنون إلى المطالب ويحمون الجار وهم من بعد ذلك ذوو حُلم ، وهذه القصيدة أُعجب بها القدماء شأنهم في غيرها من

---

١ ـ شعر مروان بن أبي حفصة / حسين عطوان ص ١٠٩ .
٢ ـ المصدر نفسه ص ١٦.
٣ ـ المصدر نفسه ص ١٧.

قصائده وتناقلتها كتب الأدب[1]:

كأنَّ التي يومَ الرَّحيلَ تَعرضتْ ... لنا من ظباءِ الرَّمْل أدماءُ مُغْزِلُ
تصدُّ لمكحولِ المدامعِ لابنِ ... إذا خلَّفتهُ خلفها الطَّرفَ يُعملُ
بنو مطرٍ يومَ اللِّقاءِ كأنَّهمْ ... أُسودٌ لها في غيلِ خفَّانَ أشبُلُ
هَمُ يمنعونَ الجارَ حتى كأنَّما ... لجارهُمُ بين السِّماكين منزلُ
بها ليلُ في الإسلام سادوا ولم يكن ... كأوَّلهمْ في الجاهليَّةِ أوَّلُ
هم القومُ إن قالوا أصابوا وإن دُعُوا ... أجابُوا وإن أعطوا أطابُوا وأجزلوا
ما يستطيعُ الفاعلُونَ فعالَهُمْ ... وإن أحسنُوا في النَّائباتِ وأجملُوا
ثلاثٌ بأمثالِ الجبالِ حُبَاهُمُ ... وأحلامُهُمُ منا لدى الوزنِ أثقلُ
تَجنَّبَ « لا » في القولِ حتى كأنَّهُ ... حرامٌ عليه قولُ « لا » حين تسألُ
تَشابَهَ يوماه علينا فأشكلا ... فلا نحنُ ندري أيُّ يوميهِ أفضلُ
أيومُ نداهُ الغَمْرِ أم يومُ بأسِهِ ... وما مِنهما إلاَّ أغرُّ مُحَجَّلُ
حليف الندى معن بن زائدة الذي ... تعلُ بحوضيهِ الظماءُ وتنهلُ
شريكيةٌ صولاتُهُ مطريَّةٌ ... مجرّبةٌ فيها السِّمامُ المثملُ

ولابن المعتز رأي في هذه القصيدة نقله ابن خلكان قال : « وأجود ما قاله مروان قصيدته الغراء اللامية ، وهي التي فُضّل بها على شعراء زمانه يمدح فيها معناً » وقال ابن خلكان : إن هذه القصيدة طويلة تناهز الستين بيتاً[2] ولم أعثر إلا على هذه الأبيات ، وقد علّق ابن الاعرابي[3] (كما نقل الاصفهاني) على خبر إعطاء معن للشاعر مروان على هذه القصيدة مالاً وخلعاً وما إليها بقوله : « لو أعطاه كل ما يملك لما وفّاه حقه » وكان ابن الاعرابي يختم بمروان الشعراء وأنه ما دّون لاحد بعده شعراً[4]. أما المرتضى فقد قال عنها : إنها من صافي كلام مروان ورائقه ومما اجتمع له فيه جودة المعنى واللفظ واطراد النسج[5].

١ ـ شعر مروان بن أبي حفصة / حسين عطوان ص ٨٨ - ٨٩ .
٢ ـ وفيات الأعيان / لابن خلكان ج٥ ص ١٩٠ ، ٢٤٧.
٣ ـ ابن الأعرابي : محمد بن زياد ، راوية علاّمة في اللغة من أهل الكوفة كان يحضر مجلسه زهاء مائة انسان ، صنّف عدة كتب توفي سنة (٢٣١ هـ) (الاعلام / الزركلي ج٦ ص ٣٦٥).
٤ ـ الأغاني للاصفهاني ج١٠ ص ١١٢ . ٥ ـ الآمالي للمرتضى ج١ ص ٥٨٦ .

ومدح مروان معناً وقال بأنه موفقّ لسبيل الرشاد ، وله أخلاق بيضاء لا تشوبها شائبة من صروف الزمان وكأن سجيته الذهب الذي لا يصدأ[1] :

مُوفَّـقٌ لسبيــل الرُشــدِ مُتَّبِــعٌ ... يـزينـُهُ كـلُّ ما يأْتـي ويجتـنـبُ

تسمو العيونُ إليه كلمَّا انفرجـت ... للناس عن وجهِهِ الأبوابُ والحُجُبُ

لـه خـلائـقُ بيـضٌ لا يُغيِّرُهـا ... صرفُ الزمانِ كما لا يصدأ الذَّهبُ

ومن مدائحه وقد جعله ربيعاً لمن أجاد عليه بعطاياه لهم ، ولاعدائه باطشاً وأن الحروب لم تشهد أشرف نسباً وأكرم حسباً منه[2]:

وقـومٌ قـد جعلـت لهـم ربيعـاً ... وقـومٌ قـد جعلـت لهـم نكـالا

فما شهد الـوقـائع منـك أمضـى ... وأكـرم مـحتـداً وأشـد آلا

وقال يمدحه ايضاً[3]:

حلَّ المشيـب فلـن يحول برحـلـه ... عنـي وبـان فلـن يـؤوب شبابـي

فرعـت بنـو معـن روابـي وائـل ... متمـهليـن وهـن خيـر روابـي

قـوم رواق المكـرمـات عليهـم ... عالـي العمـاد ممهـد الأطنـاب

يلقـى العـدو لـهـم إذا ما رامـهـم ... أركـان شامخـة عليـه صعـاب

وهـم النّـضـار إذا القبـائـل ... حصلّت أنسابها ولباب كل لباب

وقال يمدح معناً وقومه بني شيبان ، ويصف النّاس من قبائل مختلفة يقصدون عطاياه ، ويشدون إليه الرّحال ، ومعيداً إلى الاذهان صفات الفروسية والشجاعة التي يمتلكها معن . ويمتلكها بنو شيبان الذين سادوا وقادوا[4] :

---

١ ـ مروج الذهب للمسعودي ج٣ص ٣٦١، وانظر شعر مروان بن أبي حفصة حسين عطوان (٢١) .

٢ ـ تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي ج١٣ ص ٢٤١ .

٣ ـ مروان بن أبي حفصة وشعره / قحطان التميمي ص ٢١٣ - ٢١٤ .

٤ ـ المصدر نفسه ص٢١٤ - ٢١٦ ، وانظر شعر مروان بن أبي حفصه / حسين عطوان ص٢٠.

قل للفؤاد الذي يعتاده الطرب ... هل للصبا إذ تولى عهده طلب

ما أصبح اليوم من قوم ذوي نعم ... إلاَّ على باب معن فهم عصب

شدوا الرّحال إلى معن على ثقةٍ ... بفيض جود فعموا بالذي طلبوا

ما يلمع البرقُ إلاَّ حنَّ مغتربُ ... كأنهُ من دواعي شوقه وصبُ

أهلاً بطيفٍ لأمّ السمط أرّقنا ... ونحن لا صددٌ منها ولا كثبُ

وُدّي على ما عهدتم في تجدُّده ... لا القلب عنكم بطول النَّأي ينقلبُ

كفى القبائلَ معنٌ كُلَّ معضلةٍ ... يُحمَى بها الدّينُ أو يُرعى بها الحَسَبُ

كنز المحامدِ والتّقوى دفاترهُ ... وليس من كنزهِ الأوراقُ والذَّهَبُ

أنت الشّهابُ الذي يُرمى العدُوُّ به ... فيستنيرُ وتخبو عندهُ الشُّهُبُ

بنو شُريكٍ هُمُ القوم الذين لهُمْ ... في كُلّ يوم رهانٌ يُحرزُ القصَبُ

إنَّ الفوارسَ من شيبانَ قد عُرِفُوا ... بالصِّدق إن نَزَلوا والموتِ إن ركبُوا

قد جرَّبَ النَّاسُ قَبلَ اليوم أنّهُمُ ... أهل الحُلوم وأهلُ الشَّغبِ إن شغبوا

قل للجواد الذّي يسعى ليُدركهُ ... أقْصرْ فمالك إلاَّ الفوتُ والطَّلَبُ

فما الشجاعة إلاَّ دون نجدته ... ولا المروءة إلاَّ دون ما يهب

شيبان فرع نزار في أرومتها ... وأنت فرع بني شيبان أن نسبوا

فرعٌ نمّاه شريك وابنه مطر ... والصّلب عمرو وبكر السادة النجب

قادوا وسادوا نزاراً في زمانهم ... عفوا ومن فرعهم تسموبك الشعب

كانوا البحور التي تروى العفاة بها ... فقد خلفتهم النّاس إذ ذهبوا

فما بقيت أصاب العرف طالبهَ ... وان ذهبت فما للعرف مطلب

عادت نزارُ نزاراً إذ تداركها ... مباركٌ من بني شيبان منتخبُ[1]

---

١ ـ ديوان مروان : التميمي ص ٢١٤ ـ ٢١٦ ، شعر مروان : د. حسين عطوان ص ٢٠ .

ومدح مراون معناً قائلاً[1]:

مسحت ربيعةُ وجه معن سابقا ... لـمّا جرى وجرى ذوو الأحساب
خلّى الطريـق له الجياد قـواصراً ... مـن دون غايتـه وهُـنّ كـوابـي
وجـرت بـه غُـرٌ سـوابـقُ زانهـا ... كـرم النِّجـار وصحّـةُ الانسـاب
قـومٌ رواقُ المكـرمـات عليهـم ... عالـي العمـاد فمـدّد الأطنـاب
وهم النُّضار إذا القبـائل حصّلت ... أنسابهـا ، ولُبـابُ كـلٍّ لُبـاب

ولّما ولي معن بن زائدة الشيباني اليمن كان يحيى بن منصور الذُهلي قد تنّسك وترك الشعر ، فلما بلغته أفعال معن وفد إليه ومدحه فقال مروان[2]:

لا تعـدمـوا راحتـي معـن فإنّهمـا ... بالجـود أفتنتـا يحيـى بـن منصـور
لمّا رأى راحتـي معـن تدفـقتـا ... بنائـلٍ من عطـاءٍ غيـر منـزور
ألقى المسوح التي قد كان يلبسُها ... وظـلّ للشعـر ذا رصـفٍ وتحبيـر

وقال ايضاً يمدحه [3]:

إذا ما تـذكّـرتُ النّظيـم ومُطـرقـاً ... حننـتُ وأبكاني النّظيمُ ومطـرقُ
تحنُّ قلوصي نحو صنعـاء إذ رأتْ ... سمـاءَ الحيا من نحو صنعاءَ تبـرقُ
تحنُ إلى مرعىً بصنعـاءَ مُخضـبٍ ... وشـربٍ رواءٍ مـاؤُه لا يـرنَّـقُ
وقد وثقت أن سوف يصبحُ ربّهـا ... إذا وردت أحـواض معـن ويـغبـقُ
تـؤمُّ شـريكـيّـاً تهـلّـل بالحيـا ... مخائلُـهُ للشـائميـن فتـصـدقُ

---

١ ـ شعر مروان : د. حسين عطوان : ٢٤ ، الحماسة المغربية ج١/ ٢٢٩ ، وقد ورد البيت الثالث في التذكرة الحمدونية ج٢ / ٣١١ كالتالي :
وسمت به غرٌّ سوابقُ زانها ... كرم النَّجار وصِحّة الأنساب
٢ ـ شعر مروان : د. حسين عطوان : ٥٧ .
٣ ـ المصدر نفسه : ٦٨ .

وله في مدحه ايضاً[1]:

أمسى المشيبُ من الشباب بديـلاً ضيفاً أقام فمـا يُريـدُ رحيـلاً

والشيبُ إذا طـرد السَّواد بياضه كالصُّبح أحـدث للظـلام أُفـولا

إنّ الغـوانـي طالمـا قتّلننـا بعيـونهـنّ ولا يـديـن قتيـلا

من كُلّ آنسةٍ كـأن حجـالهـا ضُمّنّ أحور في الكنـاس كحيـلا

أرديـنَ عُـروة والمرقـشُ قبلـهُ كُـلّ أُصيـب وما أطـاقَ ذُهُـولا

ولقـد تـركـن أبـا ذؤيـبٍ هائمـاً ولقـد تبَلْـنَ كثيـراً وجميـلا

وتركـن لابـن أبـي ربيعة منطقـاً فيهـنّ أصبـحَ سائـراً محمـولا

إلاّ أكُـنْ ممّـن قتلـن فإنّنـي ممّـنْ تـركـنَ فُـؤادهُ مخبـولا

لو كـان جـدّكُـمُ شـريكٌ والـداً للنـاس لم تلـدِ النِّسـاءُ بخيـلا[2]

وهذا شاعر مجهول يمدح معن بن زائدة فيقول[3]:

يقـول معـن لا زكـاة لمالـه وكيف يزكيّ المالَ من هو بـاذلُه

إذا حال حولٌ لم يكـن في ديـاره من المـال إلا ذكـره وجمـائلـه

تـراه ، إذا ما جئتـه متهـلّـلاً كأنـك تعطيـه الذي أنـت آملُـه

هو البحر من أيّ النواحـي أتيتـه فلجّتُه المعـروف والبـرُّ ساحلـه

تعوّد بسـط الكـف حتـى لـو أنـه أراد انقباضـاً لم تطعـه أنـاملُـه

فلـو لـم يكـن في كفـه غيرُ نفسه لجـاد بهـا فليّتـق اللـه سائلـه

---

١ ـ شعر مروان بن ابي حفصة : ٧٧ ، ٧٨

٢ ـ المصدر نفسه : ٧٨ .

٣ ـ أحسن ما سمعت : للثعالبي : ١٢٥ .

وهذا شاعر آخر يمدح معن بن زائده بقوله[1]:

أنـت أمـرؤٌ همُّـك المعـالـي ودلـو معـروفـك الـربـيـع

وأنـت مـن وائـل صـميـمٌ كالقلـب تحنـى لـه الضلـوع

في كُـلِّ عـام تـزيـد خيـراً يُشيعـه عنـك من يُشـيـعُ

فقال معن : لأصلنك صلة شائعة الذكر ، وأمر له بمائة الف درهم[2].

وقال مروان أيضاً يمدحه[3]:

إني إلى كلِّ أرض أنـت ساكنهـا صبٌّ وإن كنت عنها نازح الوطن

قلّدتني منك حبلاً فاعتصمت بـه أسبـابـه غيـر رثـاتٍ ولا وهـن

تضيق أعطانُ قـوم إن هـم سئلـوا وأنـت بالخير سهلٌ واسعُ العطـن

لو لم تكن للنـدى جـاراً فتطلقـه ما أنفك والبخل مجموعين في قرن

وقال ابن سرايا يمدح معن بن زائدة[4]:

ما فاه معنٌ بمنـعٍ في تلفُّظـه

وكيف يُضمرُ لا من قلبه نعم

---

١ ـ رسائل الجاحظ : تحقيق عبد السلام محمد هارون ج١ / ١٤٠ .

٢ ـ أنساب الاشراف للبلاذري ج٤ / ١٧٣١ .

٣ ـ المنازل والديار لأسامة بن منقذ ، تحقيق مصطفى حجازي ط٢ / القاهرة ١٩٩٢ ج١/ ص٢١١ .

٤ ـ التبيان في علم المعاني والبيان ص ٤٩٠ / شرف الدين حسني بن محمد الطيبي / عالم الكتب .

رثاء معن بن زائدة الشيباني

رثى الشعراء معن بن زائدة بعد موته كما مدحوه في حياته ، بقصائد تحمل في طيّاتها أجمل الوفاء له ، وأعطر الذكرى لحياته ، وما كانت له من مزايا وصفات . بنبرات طفحت بالأسى واللهفة ، والتفجع للمصيبة النازلة وكان من بين المتميزين برثائه الشاعران مروان بن أبي حفصة والحسين بن مطير الأسدي اللذان أثارا حسد الخليفتين المهدي والرشيد بما أضفياه من مديح لمعن بن زائدة ، كما أشادا بكرمه وجوده .

وإن من أحسن مراثي مروان في معن لاميته المشهورة المعروفة بالغرّاء التي أظهر فيها استعطافه للخطب الجلل الذي هزّ الشام والعراق وكاد أن يزيل أرض تهامة ونجد . وقد لف العراق الظلام لهذا الحدث المفزع وإذا كان معن قد مضى لسبيله فإنه خلّف وراءه كنزاً ضخماً من المآثر والمكارم الخالدات التي لا تذهب أو تبيد فقال[1]:

مضى لسبيله معنٌ وأبقى	مكارمَ لن تبيد ولن تُنالا
كأن الشمس يوم أُصيبَ معنٌ	من الإظلام مُلبسةٌ جلالا
هو الجبلُ الذي كانت نزارٌ	تَهَدُّ من العدُوِّ به الجبالا
وعُطِّلتِ الثُّغُورُ لفقد معن	وقد يُروى به الأسلَ النِّهالا
وأظلمت العراقُ وأورثتها	مُصيبتُه المُجَلِّلةُ اختلالا
وظلَّ الشامُ يرجفُ جانباهُ	لرُكن العزِّ حين وهى فمالا
وكادت من تهامةَ كُلُّ أرضٍ	ومن نجدٍ تزولُ غداةَ زالا
فإنْ يعلُ البلادَ له خشوعٌ	فقد كانت تُطولُ به اختيالا
أصاب الموتَ يومَ أصاب معناً	من الاحياءِ أكرمهُم فعالا
وكان الناسُ كلُّهُمُ لمعن	إلى أن زارَ حُفرتهُ عيالاَ
ولم يكُ طالبٌ للعُرف ينوي	إلى غير ابن زائدةَ ارتحالا
مضى من كان يحمل كُلَّ ثقلٍ	ويسبق فضلُ نائلهِ السُّؤالا

1 ـ شعر مروان بن أبي حفصة لحسين عطوان : ٧٩ ، ٨٠ .

وما عَمـدَ الوفـودُ لمثـل معـن ... ولا حطُّوا بساحته الرِّحالا
ولا بلغت أكُفٌّ ذوي العطايا ... يميناً من يديه ولا شمالا
وما كانت تجف له حياضٌ ... من المعروف مترعةٌ سجالا
لأبيضَ لا يَعُدُّ المالَ حتّى ... يَعُمَّ به بُغَاةَ الخير مالا
فليت الشامتين به فَدَوْهُ ... وليتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فطالا
ولم يَكُ كنزهُ ذهباً ولكنْ ... سُيوفَ الهند والحَلَقَ المُذَالا
وذابلةً من الخَطِّيِّ سُمْراً ... ترى فيهنَّ ليناً واعتدالا
وذُخراً من محامِدَ باقياتٍ ... وَفَضْلَ تُقىً به التفضيل نالا
لئن أمست رويداً قد أُذيلت ... جياداً كان يكرهُ أن تُذالا
لقد كانت تُصابُ به ويسمو ... بها عَقْباً ويُرْجِعها حَبَالَى
وقد حَوَتِ النِّهابَ فأحرزته ... وقد غشيت من الموتِ الظِّلالا
مضى لسبيله من كنت ترجُو ... به عثراتُ دهركَ أن تُقالا
فلست بمالكٍ عبرات عين ... أبتْ بدمُوعها إلاَّ انهمالا
وفي الأحشاءِ منك غليلُ حُزنٍ ... كَحَرِّ النَّار يشتعلُ اشتعالا
كأن الليّلَ وَاصَلَ بعد معن ... ليالي قد قُرنَّ به فطالا
لقد أورثتني وبنيَّ هَمّاً ... وأحزاناً نُطيلُ بها اشتعالا
وقائلةٍ رأت جسمي ولوني ... معاً عن عهدها قلباً فحالاَ
رأت رجلاً براهُ الحُزنُ حتّى ... أضَرَّ به وأورثهُ خَبَالاَ
أرى مروان عاد كذي نُحُول ... من الهنديِّ قد فَقَدَ الصِّقَالا
فقلتُ لها الذّي أنكرت منيٍّ ... لفجع مُصيبةٍ أنكى وعالا
وأيّامُ المُنون لها صُرُوفٌ ... تقلَّبُ بالفَتَى حالاً فحالا
يرانا النَّاسُ بعدك فَلَّ دهر ... أبى لجُدُودنا الاَّ اغتيالا

فنحنُ كأسهُم لم يُسق ريشاً | لها ريبُ الزَّمان ولانصالا
وقد كُنَّا بحوضك ذاك نروى | ولا نَردُ المصُرَّدةَ السِّحالا
فلهفُ أبي عليك إذا العطايا | جُعلنَ مُنىً كواذبَ واعتلالا
ولهفُ أبي عليك إذا الاسارى | شكوا حَلَقاً بأسوُقِهم ثقالا
ولهفُ أبي عليك إذا اليتامى | غدوا شعثاً كأنَّ بهم سُلالا
ولهفُ أبي عليك إذا المواشي | قرتْ جدباً تُماتُ بهِ هُزالا
ولهفُ أبي عليك لكُلِّ هيجا | لها تُلقى حواملُها السِّخالا
ولهفُ أبي عليك إذا القوافي | لُممتدح بها ذهبت ضلالا
ولهفُ أبي عليك لكُلِّ أمر | يقولُ لهُ النَّجيُّ ألا احتيالا
أقمنا باليمامة إذ يئسنا | مُقاماً لا نُريدُ لهُ زيالا
وقلنا أين نرحلُ بَعْدَ معن | وقَدْ ذَهَبَ النَّوالُ فلا نوالا
فإن تذهبْ فَرُبَّ رعال خيل | عوابس قد كففت بها رعالا
وقوم قد جُعلت لهم ربيعاً | وقوم قد جُعلت لهم نكالا
فما شَهدَ الوقائع منك أمضى | وأكرمُ محتداً وأشدُّ بالا
سيذكركَ الخليفة غيرَ قَالِ | إذا هُوَ في الأمور بَلاَ الرِّجالا
ولا ينسى وقائعك اللَّواتي | على أعدائه جُعلت وبالا
ومعتركاً شهدت به حفاظاً | وقد كرهت فوارسُهُ النِّزالا
حَبَاكَ أخُو أُميَّةَ بالمراثي | مع المِدَح اللَّواتي كان قالا
أَمَامَ وكانَ نحوكَ كُلَّ عام | يُطيلُ بَوَاسطِ الرَّحلِ اعتقالا
وألقى رحلهُ أسفاً وآلى | يَميناً لا يُشُدُّ له حبالا[1]

---

1 ـ شعر مروان بن أبي حفصة للدكتور حسين عطوان : ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ .

ذكرنا أن هذه القصيدة لروعتها حفظها الرواة والخلفاء وشاعت بين النّاس وأثارت حفيظة الخلفاء ، لذلك ما أن اتيح للشاعر مروان بن أبي حفصة أن يدخل على الخليفة المهدي في جماعة من الشعراء وينشده قصيدة مدح حتى سأله الخليفة عن اسمْه ، فأجابه مروان « شاعرك مروان » فقال له المهدي ألست القائل :

أقمنا باليمامة بعد معن مقاماً ما نريد له زوالا
وقلنا أين نرحلُ بَعْدَ معن وقدْ ذَهَبَ النَّوالُ فلا نوالا

وقد جئت تطلب نوالنا وقد ذهب النوال ، لا شيء لك عندنا ، جروه برجله !! فجر برجله حتى أُخرج ، فلما كان من العام المقبل تلطف حتى دخل مع الشعراء ، إذ كان الشعراء يدخلون كل عام مرة . فلما مثل بين يديه أنشده قصيدته التي يقول فيها :

طرقتك زائرة فحي خيالها بيضاء تخلط بالحياء دلالها
قادت فؤادك فاستقاد وقلبها قاد القلوب إلى الصبا فأمالها

فأنصت الخليفة حتى إذا بلغ مروان قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأكفكم أو تسترون هلالها
أو تدفعون مقالة عن ربكم جبريل بلغّها النبي فقالها
شهدت من الأنفال آخر آية بتراثهم فأردتم ابطالها

فلما وصل إلى هذا الموضع من قصيدته بلغ التأثر بالخليفة المهدي أن زحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط إعجاباً بما سمع .

وسأل مروان : كم بيتاً هي ؟

قال : مائة بيت .

فأمره بمائة ألف درهم . وكانت أول مائة الف تعطى لشاعر من قبل الخلفاء[1]

---

١ ـ تاريخ بغداد / الخطيب البغدادي ج١٣ ص ١٤٤ .

وقيل : إن مرواناً قصد الخليفة الرشيد ودخل مع الشعراء وأنشده شعراً كفعله مع المهدي وأن الخليفة سأله من يكون ، فلما أجابه بأنه مروان أمر بإخراجه لبيتيه اللذين ذكرناهما إلا أنه بعد يومين من هذا الحادث تلطف في الدخول على الخليفة وقد أعد له قصيدته التي يقول فيها :

لعمرك لا أنسى غداة المحصب ... اشارة سلمى بالبنان المخضب

وقد هدر الحجاج الا أقلهم ... مصادر شتى موكباً بعد موكب

فأعجبت الخليفة . فسأل الخليفة مروان كم بيتاً قصيدته ؟

فلما أخبره بأنها ستون (وقيل سبعون) بيتاً أمر باعطائه بعدد أبياتها ألوفاً .

لقد سقنا ما حصل للشاعر مروان بسبب قصيدته المار ذكرها في رثاء معن استكمالاً لطرافة الخبر .

فقال مروان في رثاء معن(١):

يا مَنْ بمطلع شمس ثُمَّ مغربها ... إنَّ السَّخاءَ عليكُم غَيْرُ مردَودِ

فأبكوا السخاء ومعناً طول دهركم ... إنْ السَّخاء عليكم غير موجود

قد مات معن ومات الجود فافتقدوا ... فليس معن ولا جود بموجود

قُلْ للعفْاةِ أريحُوا العيس من طلبٍ ... ما بعد معن حليفِ الجُودِ من جوُدِ

قُلْ للمنيَّةِ لا تُبقي على أحدٍ ... إذا ماتَ معنٌ فما ميتٌ بمفقودِ

وقال مروان ايضاً يرثيه(٢):

زار ابن زائدة المقابر بعدما ... ألقت إليه عُرى الأمور نزارُ

إن القبائل من نزار اصبحت ... وقلوبها أسفاً عليه جرارُ

١ ــ طبقات الشعراء لابن المعتز : ٤٧ ، وانظر شعر مروان بن أبي حفصة للدكتور قحطان التميمي ص٢٢٠ ، وانظر شعر مروان بن أبي حفصة للدكتور حسين عطوان : ٤٠ .

٢ ــ العقد الفريد لابن عبد ربه ج٣ / ٢٤٨ ، ٢٤٩ .

ودَّت ربيعـة أنهـا قسمـتْ لـه ... منها فعـاش بشطرها الأعمـارُ
فـلاّ بكيـن فتـى ربيعـة مـادجـا ... ليـلٌ بظلـمتـه ولاح نـهـارُ
ولا زال قبرُ أبـو الوليـد تجـودهُ ... بعهـادهـا وبوبلهـا الامطـارُ
قبرٌ يضـم مع الشجـاعة والنّدى ... حـلمـاً يخالطـه تُقـىً ووقـارُ
إنَّ الرزيَّـة من ربيعـة هـالـكٌ ... تـرك العيـون دموعهن غـزارُ
رحبُ السُّرادق والضياءِ جبينه ... كالبـدر شـقَّ ضيـاءهُ الاسـفـارُ
لهفاً عليـك إذا الطّعـان بمـارقٍ ... تـرك القنـا وطوالـهـن قصـارُ
خليَّ الأعنَّـة يـوم مات مِشيّـعٌ ... بطـلُ اللقـاءِ مُجّـرب مغـوارُ
يُمسي ويصبح معلماً تـذكـى به ... نـارٌ بمعتـرك وتخمـدُ نـارُ
مهمـا يمرُّ فليـس يـرجـو نقصـهُ ... أحـدٌ وليـس لنـقـضـه إمـرارُ
لو كـان خلفـك أو أمامـك هائبـاً ... أحـداً سـواك لهـا بهـا المقـدارُ

وقال مروان بن أبي حفصة يرثي معن بقصيدة أُخرى[1]:

بكى الشام معناً يوم خلّى مكانـه ... فكادت له أرض العراقين ترجـفُ
ثوى القائدُ الميمون والذّائـد الذي ... به كان يُرمى الجـانـبُ المتخـوِّف
أتى الموتُ معناً وهو للعرض صائنٌ ... وللمجـد مبتـاعٌ وللمـال مُتلـفُ
وما مـات حتى قلَّدتـه أمـورهـا ... ربيعـة والحيَّـان قيـس وخِنـدِفُ
وحتى فشا في كل شرقٍ ومغرب ... أياد لـه بالضُّـرَّ والنفـع تُعـرفُ
وكم من يـدٍ عنـدي لمعـن كريمـةٍ ... سأشكرها ما دامت العينُ تطرفُ
بكتـه الجيـادُ الاعوجيَّـةُ إذ ثـوى ... وحنَّ مع النَّبـع الوشـيج المثقـف
وقد غنيت ريح الصبّا في حيـاتـه ... قبولاً فأمست وهي نكباءُ حرجف[2]

---

١ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ج٣ / ٢٤٩ .

٢ ـ حرجف : الريح الباردة .

الحسين بن مطير يرثي معن بن زائدة

أما مراثي الشاعر الحسين بن مطير الأسدي فقد كانت من المراثي الخالدة ايضاً ، وهي لا تقل روعةً عن مراثي مروان بن أبي حفصة . وقد أثار بعضها حسدَ الخلفاء كمراثي مروان لا سيما عينيته فقد خاطب فيها قبر معن الذي كان أول قبر يدفن المكارم والجود اللذين رتع فيهما النّاس على اختلاف منازلهم وأوطانهم . وأنه ضم الجود لأنه ميت ولو كان الجود حياً لما استطاع ذلك . وبمضي معن انتهى الجود وولى . وأصبحت الساحة قفراً منه . وهذا لا يعني إنتهاء معروفه بموته بل استمر كما يستمر ماء السبيل في الوديان مرتعاً وموردا لمن يرده ويقصده وأن كرم معن لا يلحق وأن من شاء بعده اللحاق به تعب وقصّر وفيها يعزي أبا العباس ابنه زائدة ويشد من عزمه وثباته . ويذكره أن أباه باقٍ . بما خلّف بعده من ذكرى عطره[1].

لندبــك أحــزانٌ وســابــقُ عبرةٍ ... أثــرنَ دماً من داخل الجوفِ منُقعا

تجرَّعتُهــا من بعــد معن بموتــهِ ... لأعظمُ منها ما احتسى وتجرَّعـا

ومن عجبٍ أن بتَّ بالرزّءِ ثاوياً ... وبــتُّ بمــا خــوَّلتنــي مُتمتعًــا

ولو أنَّني أنصفتُك الوُدَّ لم أبِتْ ... خلافكَ حتَّى ننطوي في الردى معا

أَلِمَّا بمعــن ثُــمَّ قُــولا لقبــرهِ ... ســقتكَ الغــوادي مربعاً ثُمَّ مربعـا

فيــا قبــر معــن أنــت أوَّلُ حُفــرةٍ ... من الأرض خُطَّت للسَّماحةِ مضجعا[2]

ويا قبرَ معن كيف واريت جُودهُ ... وقــد كان منــهُ البرُّ والبحرُ مُترعـا

بلى قد وسعتَ الجُودَ والجُودُ ميِّتٌ ... ولو كان حيًا ضقت حتىَّ تصدَّعا

ولَمَّا مضى معنٌ مضى الجُوْدُ وانقضى ... واصبحَ عرنينُ المكـارم أجــدعـا

---

١ ـ معجم الأدباء : ياقوت الحموي ج ٤/ ٩٧ ، وانظر البيان والتبيين للجاحظ ج٣ / ٢٣٧ . وانظر الامالي للمرتضي ج١ / ٢٢٧ ، وانظر تاريخ بغداد : للخطيب البغدادي ج١٣ / ٢٤٠ .

٢ ـ شعر مروان بن أبي حفصة / حسين عطوان : ص ١١٤ .

وما كـان إلا الجُودَ صُورةُ وجهِـهِ فعـاشَ ربيعـاً ثُـمَّ ولَّـى وودَّعـا
وكُنتَ لدار الجُودِ يا معنُ عامراً وقد أصبحَتْ قفراً من الجُود بلقعا
فتىً عيش في معروفِـهِ بعـد موتـهِ كما كان بعـد السَّيـل مجراهُ مرتعا
تمنـىً أُنـاسٌ شـأوهُ من ضـلالـهـم فأضحـوا على الأذقان صرعى وظُلَّعا
تعَـزَّ أبا العبَّـاس عنـهُ ولا يكُـنْ عـزاؤُك مـن معـن بأن تتضعضعـا
أبـى ذكـرُ معن أن تَمُـوتَ فعـالُـهُ وإنْ كان قد لاقى حِماماً ومصرعا[1]
فما مات من كنت ابنه لا ولا الذّي لـه مثلُ ما أبقـى أبُـوك وما سـعـى
وما كـان مسبوقـاً بوتر ولـم يـدع إلى الغرض الأقصى من المجد مترعا[2]

هذه القصيدة تنازعها الشاعرين في الوزن والقافية والصحيح أن هذه القصيدة للشاعر الحسين بن مطير وليست لمروان ، وقد أشرتُ سابقاً إلى أن هذه القصيدة أثارت حسد بعض الخلفاء فقد ورد عن الخليفة المهدي أنه كان في طريقه إلى الحج فأنشده الحسين بن مطير قصيدة ، فوبّخه الخليفة لأنه لم يترك موضعاً للمدح بعد أقواله في معن[3] وقيل أن الشاعر التقى بالخليفة وكان قد خرج للصّيد وجرى له ما جرى[4] وكان مطلع قصيدته التي أنشدها للمهدي ولم ترضه :

أضحـت يمينـك مـن جـود مصـورة لا بـل يمينـك منها صورة الجـود
من حسن وجهك تضحى الأرض مشرقة ومن بنانـك يجري الماء في العـود

فما كان من الشاعر إلاّ أن قال للخليفة : « يا أمير المؤمنين إنما معن حسنة من حسناتك وفعلة من فعلاتك » ، فأمر له بألف دينار .

وقد كثر إنشاد هذه القصيدة في مجالس الخلفاء بعد المهدي لجودتها وقد ورد عن الخليفة المأمون أنه سأل عبد الله بن طاهر يوماً عن أشعر من قال شعراً في خلافة

---

١ ـ معجم الأدباء : ياقوت الحموي ج ١٠/ ١٧٠ ، ورد فيه (أبي ذكرُ معن أن تُميت فَعَالَه) .
٢ ـ شعر مروان بن أبي حفصة للدكتور حسين عطوان : ١١٥ ، ١١٦ .
٣ ـ معجم الأدباء للحموي ج٤ / ٩٧ .
٤ ـ تاريخ مدينة بغداد / للخطيب البغدادي ج١٣ / ٢٤٠ .

العباسيين ، فأجابه : « أمير المؤمنين أعرف بهذا مني » .

قال الخليفة : قل على كل حال .

قال عبد اللّه : أشعرهم الذي يقول في معن بن زائدة[1]:

أيا قبـر معن كنت أوّلَ حُفـرةٍ ... من الأرض خُطَّت للسَّماحةِ مضجعا
أيا قبرَ معن كيف واريت جُودهُ ... وقـد كان منهُ البرُّ والبحرُ مُترعـا
بلى قد وسعتَ الجُودَ والجُودُ ميِّتٌ ... ولو كان حيًا ضقت حتىًّ تصدَّعا

سْلم الخاسر يرثي معن بن زائدة واثنين من اصحابه

كان مالك وشهاب ابنا عبد الملك بن مسمع ومعن بن زائدة متواخين ، ولا يكادون يفترقون ، وكان سلم الخاسر ينادمهم ويمدحهم ويفضلون عليه ولا يحوجونه إلى غيرهم فتوفي مالك ثم أخوه ثم معن بن زائدة في مدة متقاربة فقال سلم الخاسر يرثيهم[2]:

عين جودي بعبـرةٍ تهتـان ... واندُبي من أصاب ريبُ الزّمان
وإذا ما بكيـت قـومـاً كرامـاً ... فعلـى مالـكٍ أبـي غسّـانِ
أين معـنٌ أبـو الوليـد ومـن كـا ... ن غيّـاثـاً للهـالـك الحيـران ؟
طرقتـه المنـون لا واهـي الحبـ ... ـل ولا عـاقـداً بحلـف يمـان
وشهـابٌ وأيـن مثـلُ شهـابٍ ... عنـد بـذلِ النَّدى وحرِّ الطّعان
رُبَّ خرقٍ رزئتهُ من بني قيـ ... ـس وخرقٍ رزئـت من شيبـان

١ ـ الأمالي / للمرتضى : ج١ / ٢٢٧ .

٢ ـ الاغاني / للاصفهاني : ج١٩ / ٢٩٦ .

دَرَّ دَرُّ الأيام ماذا أجنَّتْ[1] منهم في لفائف الكتانِ
ذاك معنٌ ثوى ببست رهيناً وشهابٌ ثوى بأرض عُمانِ
وهُماما هما لبذل العطايا وللفٌ الأقران بالأقرانِ
يسبقان المنون طعناً وضرباً ويَفُكّان كلَّ كبل وعان[2]

أعرابي يرثي معن بن زائدة

كان بعض الأعراب يأتي معناً فيعطيه ، ويغيب عنه فيبعث إليه بصلته فأبطأت عليه صلته مرةً فقدم من البادية فألفاه قد جاء نعيه ، وأتى ولده فلم يجد عندهم ما أحب فوقف على مجلس هم فيه مجتمعون فقال : للّه درك يا معن ، رحمك اللّه أبا الوليد ، إن كنت لمنتهى فخر عشيرتك وبدع الكرام في أهل دهرك ، فلو كنت إذ مُتَّ أبقيت لنا خلفاً منك سلّيتنا عنك ببعضك فكيف العزاء وقد ذهب كلّك ، إنا للّه وإنا إليه راجعون ، وأنشأ يقول[3]:

يا معنُ كنت بداءة الكرم وغنى المُقلٍّ وطاردَ العدم
فسطا عليك الدهرُ مقتدراً بصوائب من صرفه ، غُشُمُ
وأراك لم تترك لنا خلفاً يأوي إلى فضل ولا كرم
فعليك يا معن السلام فما أبقيت معتصماً لمعتصم

وأنشد الفضل بن زياد قائلاً[4]:

كانت سحائب معن الخير تمطرنا فقد تولى فلا معنٌ ولا مطر
من للجفان إذا عزّ القِرى رذماً وللطعان إذا ما استشعر الحصَرُ

---

١ ــ أجنَّتْ : وارت
٢ ــ الكبل : القيود ، العان : الأسير
٣ ــ أنساب الاشراف : البلاذري ج٤ / ١٧٣٣ ، ١٧٣٤ .
٤ ــ المصدر نفسه : ج٤ / ١٧٣٤ .

ربيعة الرّقي يهجو معن بن زائدة الشيباني[1]

معن يا معن ، يا ابن زائدة الكلـ	ـب التي في الذَّراع لا في البنان
لا تفاخر ، إذا فخرت ، بآبا	ئك وافخر بعمك الحوفزان
فهشامٌ من وائل في مكانٍ	أنت ترضى بدون ذاك المكان
ومتى كنت يا ابن ظبيةَ ترجو	أن تُثَنّي على ابنة الغضبان
هي حوراء كالمهاة هجّانٌ	لهجانٍ وأنت غير هجانِ
وبنات السّليل عند بني ظبـ	ـية أُفٌّ لكم بني شيبان
قيل : معنٌ لنا ، فلما اختبرنا	كان مرعىً وليس كالسَّعدان

وقد فسرَّ صاحب كتاب الأغاني أبيات الهجاء هذه ،بقصة رواها أحدهم فقال : كان عبدالله بن زائدة في طريقه ، فمرَّ بجارية تدعى « ظبية » وهي ترعى غنماً لأحد الشيبانيين من « بني نهار » فأعجبته ، فاختطفها ووقع عليها فولدت منه « زائدة » الثاني ، ابو معن ، أما « الغضبان » الذي ذُكر في الأبيات ، فهو أحد زعماء شيبان الكوفة ، ومن ولد السّليل بن الحوفزان ، تزوج معن ابنته ، وقد تكون قصة عبدالله مع « ظبية » محتملة الوقوع ، ولكننا نتقبلها بتحفّظ ، إذ كان من عادة الشعراء الهجّائين في العهد الأموي ، والعصر العباسي الأول ، الطعن بالنسب والصاق التهم والعيوب بالسلف ، إهانة للخلف المهجو ، فلو كانت هذه التهمة حقيقة حدثت ، لشاع خبرها بين النّاس ، ولرددها خصوم بني زائدة بألسنتهم وأقلامهم ، ولما بقي خبرها يتيماً يرويه شاعر واحد قد يكون مخطئاً أو مبغضاً ...

ثم أن مثل هذا الحادث يخالف العُرف العربي ، وبخاصة في صدر الاسلام ؛ كما يمنعه الدين ويحرّمه ، ويقيناً ، لو كان الأمر حقيقة ، لما زوّج « الغضبان » الزعيم ، ابنته من معن ، وهو يعلم أن أباه ثمرة سفاح وأخطر من كل هذا ، أن بيت زائدة ، أصبح في ذلك العهد،من أرفع بيوتات شيبان عماداً،حمل راية الزّعامة على ربيعة كلها

١ - شعر ربيعة الرّقي للدكتور يوسف حسين بكّار ، دار الاندلس ، بيروت ط٢ ١٩٨٤ ص١٣٤ ، وانظر الأغاني : ج ١٦ / ٢٨٢ .

زمناً طويلاً بجدارة وحق ، ولو كان زائدة من جارية ولدته اغتصاباً لأنف كرام العرب من قومه أن يلقوا مقاليد امورهم ، في أيدي أولاده وأحفاده .... ومع ذلك نرى الشاعر الكبير « أبا تّمام » يشبهه بالطود الحصين في قصيدة يمدح بها حفيداً له قائلاً[1]:

مستمطر حلّ من بني مطر بحيث حل الطراف من عَمَده
يزيد والمزيدان في الحرب « والزائدتان » الطودان من مُصُده[2]

مسلم بن الوليد يهجو معن بن زائدة[3]

كان مسلم بن الوليد قد انحرف عن معن بن زائدة بعد مدحه إياه لشيءٍ أوحشه منه ، فسأله يزيد بن مزيد أن يهبه له ، فوعده ولم يفعل فتركه يزيد خوّفاً منه . فهجاه هجاءً كثيراً ، حتى حلف له الرشيد إن هجاه لقطع لسانه ، فمن ذلك قوله فيه :

يا معن إنك لم تزل في خزيةٍ حتى لففت أباك في الأكفان
فاشكر بلاءَ الموت عندك إنّه أودى بلؤم الحي من شيبان

واعتقد أن الخليفة الذي حلف بقطع لسان هذا الشاعر إذا هجا معن لم يكن الرشيد لأن معن بن زائدة توفي قبل أن يستلم الرشيد الخلافة وإنما هو الخليفة أبو جعفر المنصور .

---

١ ـ شرح ديوان أبي تمام / إيليا الحاوي / ١٨٣ .
٢ ـ مُصُده : جمع مصاد وهو أعلى الجبل الذي يتحصن به .
٣ ـ الأغاني للاصفهاني : ج١٩ ص ٥٩ .

أقوال معن بن زائدة الشيباني

اشتهر معن بشجاعته مقاتلاً في خدمة الدولة الأموية أولاً وأبلى بلاءً حسناً ضد الخارجين عليها ، ثم خدم دولة العباسيين وولي اليمن وسجستان وكانتا تعجان بحركات الخوارج ، والمعارضين للدولة ، فخضد معن شوكتهم ووطّد الأمر لأبي جعفر المنصور ونال بذلك شهرة واسعة وبعُد صيت ثم كان لجوده أثر في تخليد ذكره في بطون الكتب ، أمّا ما نسب إليه من أقوال ، فقد وصلت إلينا نِتفٌ قليلة لم تنقل إلينا لبلاغتها وبراعتها ولكنها وصلت لأنها صدرت عن رجل مشهور مثل معن ، فمن ذلك قوله وقد ارتجّ عليه وهو فوق المنبر فقال بعد أن ضرب برجله المنبر : « فتى حروب لا فتى منابر »[1].

وقوله : « ما سألني أحد قط حاجة فرددته إلا رايت الغنى في قفاه »[2].

وأورد القلقشندي[3] أقوال السلف في مدح الكتابة والحث عليها واطنابهم في ذلك بأنهم لم يتركوا شأواً لمادح حتى قال ... وقال معن بن زائدة : « إذا لم تكتب اليدُّ فهي رجل ! » .

قال معن بن زائدة : « ما رأيت قفا رجل إلا عرفت عقله ، قيل له : فإن رأيت وجهه ؟ قال : ذاك حنيئذٍ كتابٌ أقرأه »[4].

وقال معن بن زائدة لأمير المؤمنين ، أبو جعفر المنصور : « ليس لمكتوم رأي » عندما قال له أمير المؤمنين : « يا معن إنَّ باليمن هناتٍ »[5].

---

١ ــ عيون الاخبار : لابن قتيبة ج٢ / ٢٨١.

٢ ــ المصدر نفسه : ج٣ / ١٥٦ . ٢٥٧.

٣ ــ صبح الاعشى / للقلقشندي ج١ / ٦٥.

٤ ــ البصائر والذخائر لابن حيان التوحيدي ج١ / ٩٣.

٥ ــ التذكرة الحمدونية لابن حمدون ج٣ / ٣١١.

قال معن بن زائدة قاتلنا ابن هبيرة بواسط فظفرنا وغنمنا واصابني عشرة الآف درهم فرّقتها في زوّاري واضيافي وأحرز اصحابي وكان لهم ، فلما كان الغد ظفر بنا « يعني ابن هبيرة » وأخذ ما كان مع أصحابي ، وبقي ما كان لي مننا في أعناق الرجال[1].

وقيل لمعن بن زائدة المؤاخذة بالذنب من السؤدد ، قال : لا ولكن أحسن ما يكون الصفح عمن عظم أرمه ، وقل شفعاؤه ولم يجد ناصراً[2].

أورد ابن عبدربه صاحب كتاب العقد الفريد حديثاً دار بين معن بن زائدة وهارون الرشيد ، وهذا خطأ والصحيح أن هذا الحديث دار بين معن بن زائدة وأبي جعفر المنصور والدليل على ذلك أن معن مات قبل ان يتولى هارون الرشيد الخلافة فقال أبو جعفر المنصور لمعن بن زائدة : كيف زمانك يا معن ؟ قال : « يا أمير المؤمنين أنت الزّمان ؛ فإن صلحت صلح الزمان وإنّ فسدت فسد الزّمان[3].

ومن أقواله ايضاً قوله : يحتاج الخطيب إلى تخليص المعاني وتلخيصها مع قلة حصر وجرأة على البشر ، وقال الصمت عن الكلام في موضعه عيٌّ يضع الشريف ويُهجّنه[4].

---

١ ـ نثر الدر اللآبي ج٧ / ١٨٠.

٢ ـ المستطرق في كل فن مستظرف ، شهاب الدين محمد بن احمد أبي الفتح الابشيهي المجلد الأول ٢٧٩ (ت ٨٥٠هـ).

٣ ـ العقد الفريد لابن عبدربه ج٢ / ٩ ، ١٠.

٤ ـ أنساب الاشراف للبلاذري ج٤ / ١٧٣٢.

أشعار معن بن زائدة

معن بن زائدة خطيب مفوّه ، وفصيحٌ لا تؤخذ عليه شائبة في بلاغته وحسن بيانه ، ينظم الشعر في مناسبات خاصة ، ولا يكثر منه[1] وذكر ابن خلكان أن لمعن أشعاراً جيدة ، أكثرها في الشجاعة وأن أبا عبدالله بن المنجم ذكره في كتابه البارع وأورد له عدّة مقاطع[2] رواها بعض مدوني الأدب وهي لا تتعدى المفاخرة والغزل والدعابة وورودها في المصادر القديمة قليل . ولعلها ضاعت كما ضاع الكثير غيرها للشعراء .

ومن شعره في الفخر قوله[3]:

وعاذلة تجنى في الملام ... لتحسبني من القوم الطغام

دعيني أنهب الأموال حتى ... أعف الأكَرمين عن اللئام

وله في هذا المعنى[4]:

إِني حسدت فزاد اللّه في حسدي ... لا عاش من عاش يوماً غير محسود

ما يحسد المرء إلاّ من فضائله ... بالعلم والحلم أو بالبأس والجود

وقال معن بن زائدة[5]:

لو أبصرتني وجوادي ثور ... والسرّج فيه قلقٌ ومور

لضحكت حتى تميل الكور

١ ـ يزيد بن مزيد الشيباني ، عبد الجبار الجومرد / ٧٠.

٢ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان ٥ / ٢٤٨.

٣ ـ معجم الشعراء للمرزباني ٣٢٤.

٤ ـ المصدر نفسه ص ٣٢٤ ، وانظر زهر الآداب ج١ / ٢٠٣.

٥ ـ البصائر والذخائر ج١ / ١٠٣.

وقال معن بن زائدة في الشاعر مطيع بن اياس بعد أن مدحه[1]:

أتانا يا مطيع لكم ثناءٌ كنظم الدُّرِّ فُصِّلَ بالجمان
ثناءٌ سائرٌ نفني ويبقى كما تبقى الجبال على الزمان

وورد له في الهجاء قوله مخاطباً ابن أخي عبد الجبار بن عبد الرّحمن وقد رآه يتبختر بين السماطين وكان قبل ذلك قد لقي الخوارج ففرَّ منهم[2]:

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم وصبرت عند الموت يا خطاب
نجاك خوار العنان كأنه تحت العجاج إذا استحث عقاب
وتركت صحبك والرماح تنوشهم وكذاك من قعدت به الأحساب

ومن مراثيه قوله في ابن هبيرة[3]:

ألا أن عيناً لم تجد يوم واسط عليك بجاري دمعها لجمود
عشية قام النائحات وشققت جيوب بأيدي مأتم وخدود
لفقد أخ كان الإخاءُ إخاءَهُ إذا عُدَّ أوخان الودود ودود
علا ذكر قيس الخافقين وخندقٍ أغرُّ له الغُرُّ الكرام وفُودُ
فلم أنسه إذ خندق الموت حوله عليه من الحتف المطُلّ حدود
فقيل له : اقذف بالحياة وأنجها وثاباً له طوع الفراق حدود
فقاتل حتى أعذر الحيُّ منهم وقام له بالعُذر ثمَّ شهودُ

١ ـ الحماسة الشجرية / لابن الشجري : أبو السعادات هبَّة اللّه بن علي (ت ٥٤٢هـ) تحقيق عبد المعين الملوحي واسماء الحمصي دمشق ١٩٧٠ ج٢ / ٨١٠.
٢ ـ وفيات الأعيان / لابن خلكان ج٥ / ٤٢٨.
٣ ـ الأمالي للمرتضي ج١ / ٢٢٣ وقد روى أبو تمّام هذه القصيدة في الحماسة لابن عطاء السندي وانظر ديوان الحماسة بشرح التبريزي ج٢ / ٢٩٥ ، ٢٩٦.

وفلَّ الحسام العضب والأسمر الذي ثناه وظل الطرفِ وهو بليدُ
وإنّك لم تبعد على متعهّدٍ بلى كُلُّ من تحت الترابِ بعيدُ[1]

وقال أيضاً في رثاء صديق له[2]:

تولى الكريم أبو صاعد وكل المفاخر من فخره
بعيد اللقاء على قربه غريب وإن كان في مصره

وقال أيضاً في ذكر بيته قرب « دير هند »[3]:

الأ ليت شعري هل ابيتن ليلةً لدى دير هند والحبيب قريب
فنقضي لبانات ونلقى أحبةً ويورق غصنٌ للسرور رطيب

وقال معن أيضاً[4]:

لا تيأسن من الخلافة بعدما
خفق اللواءُ على ذؤابه حزقل

١ ـ الزهرة ج٢ / ٥٢٦ ، ٥٢٧ .
٢ ـ معجم الشعراء للمرزباني : ٣٢٤.
٣ ـ الديارات لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالشابشتي ص ٣٨٩ ، ٣٩٠ / دار الرائد العربي / بيروت .
٤ ـ التذكرة الحمدونية لابن حمدون ج٥ / ١٦٤. وانظر الحماسة لابي عبادة البحتري ص ٢٤٨.

وقال معن بن زائدة يصف الغريين وقد خرب أحدهما(1):

لو أن شيئاً مقيماً لا يبيد على ... طول الزمان لما باد الغريّان

وقد خرّب الدّهر بالتصريفِ بينهما ... فكل الفٍ إلى بينٍ وهجران

---

1 ـ الغريّان : بناءان كالصومعتين بظهر الكوفة قرب مشهد أمير المؤمنين عليّ : بناهما المنذر بن امرىء القيس بن ماء السماء ، وسببه انه كان له نديمان من بني أسد ، فثملا فراجعا الملك ببعض كلامه ، فأمر وهو سكران أن يحفر لهما حفرتان ويدفنا فيهما حيّين فلما أصبح استدعاهما فأُخبر بما أمضى فيهما فغمّه ذلك ،وقصد حفرتيهما وأمر ببناء طربالين عليهما وقال: لا يمّر وفود العرب إلاّ بينهما ! وجعل لهما في السنة يوم بؤس ويوم نعيم ، يذبح يوم بؤسه من يلقاه ويغري بدمه الطربالين ، فإن وقعت لهما الوحش طلبهما بالخيل ، وإن وقع طائر أرسل عليه الجوارح ، وفي يوم نعيمه يجيز من يلقاه ويخلع عليه ، ولبث بذلك برهة من دهره ، فخرج يوماً من أيام بؤسه إذ طلع عبيد بن الأبرص الأسدي الشاعر ، جاء ممتدحاً ، فلمّا رآه قال : هلاّ كان الذبح لغيرك يا عبيد ؟ فقال بعض الحاضرين : أبيت اللعن ! عنده من حسن القريض ما هو خير ممّا تريد منه ! فاسمع فإن كان حسناً استرده وإن كان غير ذلك فالأمر بيدك . فأنزله حتى طعم وشرب وقال له أنشدني فقد كان يعجبني شعرك !

فقال عبيد : حال الجريض دون القريض !

فقال المنذر : أنشدني قولك أقفر من أهله ملحوب . فقال عبيد :

أقفر من أهله عبيدُ ... فاليوم لا يبدي ولا يُعيدُ

عنّت له منيتّةٌ نكودُ ... وحانَ منهُ لهما ورودُ

فقال المنذر : يا عبيد لا بدَّ من الموت ! ولقد علمت أن النعمان قال : لو أن ابني عرض لي يوم بؤسي لا بدلّي من ذبحه ! واستدعى له الخمر فلمّا أخذت منه نفسه وطابت وقدم للقتل أنشد :

ألا أبلغ بنيّ وأعمامهم ... بأن المنايا هي الواردة !

لها مدّةٌ فنفوس العباد ... إليها ، وإن كرهت ، قاصده

فلا تجزعوا الحمام دنا ... فللموت ما تلدُ الوالده

فأمر به ففصد حتى نزف دمه وغرّى بدمه الغريّن .

وحكي أن في بعض أيّام بؤسه وقع رجلٌ من طيّ ؛ يقال له حنظلة ، فقال له المنذر : لا بدَّ من قتلك ! سل حاجتك . فقال : أجَرني سنة حتى أرجع إلى أهلي وأفعل ما أريد ثم اصير اليك! فقال المنذر : ومن يكفلك أنّك تعود ؟ فنظر إلى جلسائه فعرف شريك بن عمرو بن شراحيل الشيباني فقال : ←

وقال معن بن زائدة[1]:

كذبتك الودَّ لم تقطر عليك دماً عيني ولم تنقطع نفسي من الحزن

وقال معن بن زائدة أيضاً[2]:

الأربَّ عين قد ذبحت لطارقٍ فأطعمتهُ من عينه وأطايبه

وقال أبو جعفر المنصور يوماً لمعن ، ما اكثر وقوع النّاس في قومك ؟

فقال : يا أمير المؤمنين :

إن العرانين تلقاها محسدة ولا ترى للئام الناس حسادا[3]

يا شريك يا ابن عمرو ويا أخا من لا أخَا له

يا أخا المنذر فُكّ اليوم رهناً قد أنى له

إن شيبان قبيلٌ أكرم النّاس رجالُه

وأبو الخيرات عمروٌ وشراحيلُ الحمالُه

ورثاك اليوم في المجد وفي حسن المقالُه

فوثب شريك وقال : أبيت اللعن ! يدي بيده ودمي بدمه ! فأطلقه المنذر ، فلما كان من القابل قعد المنذر ينتظر حنظله فأبطأ ، فقدّم شريك ليُقتل فلم يشعر إلاّ براكب قد طلع ، فإذا هو حنظلة قد تكفّن وتحنّط وجاء بنادبته . فلمّا رآه المنذر عَجب من وفائه فقال : ما حملك على قتل نفسك ؟ فقال : إن لي ديناً يمنعني من الغدر ! قال له ما دينك ؟ قال : النصرانيّة ! فاستحسن ذلك منه وأطلقهما معاً وأطلق تلك السنّة .

وكان المنذر بنى الغريين على مثال ما بناهما ملوك مصر ، وقد ورد ذكر هذين البيتين في شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان لياقوت الحموي ج٢ / ٤١٨ . وانظر ايضاً آثار البلاد وأخبار العباد لزكريا بن محمد بن محمود القزويني ،دار صادر بيروت (د.ت) ص ٤٢٦+٤٢٧+٤٢٨ .

١ ـ التذكرة الحمدونية لابن حمدون ج٤ / ٢٤٤.

٢ ـ المزهر في علوم اللغة وآدابها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي ج١ / ٣٧٥ .

٣ ـ وفيات الاعيان لابن خلكان ج٥ / ٢٤٧.

وقال الحرمازي عن أبي اليقظان ، قال : ولد لمعن : زرارةُ وكان خليفته على اليمن ـ الوليد وشراحيل وجساس ويزيد ـ ويكنى أبا داود ـ ومزيد وغيرهم فقال معن[1]:

لا تسألن أبا داود شبعته عوّل على مزيدٍ في الخبز واللبن
وفي النبيذ إذا ما جزرة نحرت فإنه بقرى الأضياف مرتهن

وقال معن بن زائدة[2]:

تمطّى بنيسابور ليلي وربّما يُرى بجنوب الرّيّ وهو قصيرُ
ليالي إذ كلٌّ الأحبَّة حاضرٌ وما كحضور من تحبّ مسرورُ
فأصبحتُ أمّا من أُحبُّ فنازحٌ وأما الأُلى أقليهمُ فحضورُ
أُرعي نجوم الليل حتىً كأنّني بأيدي عُداةٍ سائرين أسيرُ
لعل الذي لا يجمعُ الشملَ غيره يديرُ رحَى جَمع الهوَى فتدورُ
فتسكن أشجانٌ ونلقى أحبَّةً ويورق غصنٌ للشباب نضيرُ

قال معن بن زائدة لم أرَ كالشعر ، لا يواتيني جيّدة ، ولا يدعني رديّهُ ونظر معن إلى الخطاب بن يزيد يخطر في دار المنصور ، وكان قد وجّه إلى بعض الشُّراة فهرب منهزماً وقد وردت هذه الحكاية سابقاً وقد خاطب ابن أخي عبد الجبار بن عبد الرحمن فقال :

١ ـ أنساب الاشراف للبلاذري تحقيق عبد العزيز الدوري ج٣ / ٢٣٨

٢ ـ شعراء الأمكنة وأشعارهم في معجم البلدان / ياقوت الحموي بقلم جورج مارون أشرف عليه وراجعه الدكتور ياسين الأيوبي ج١ / ٣١٥ ط١ / ١٩٩٧ المكتبة العصرية .

هلا مشيت كذا غداة لقيتهم وصبرت عند الموت ياخطاب

نجّاك خوّار العنان كأنه فوت الرّماح إذا استحث عُقَاب[1]

وقال معن بن زائدة[2]:

وقدر ككفٍّ القرد لا مستعيرها يعارُ ، ولا من ذاقها يتدَّسمُ !

وقال معن بن زائدة[3]:

يحنُّ إلى الألآف قلبي وإنَه إذا شاء عن ألآفة لصبوره

وقال معن بن زائدة[4]:

إنّ الدراهم في المواطن كلها تكسو الرِّجال مهابةً وكمالا

فهي اللسان لمن أراد فصاحة وهي السلاح لمن أراد قتالا

وقال معن بن زائدة[5]:

إذا اختلفت أوصالها فكأنما يزعزعها من شدة القلي افكلُ

---

١ ـ أنساب الاشراف للبلاذري ج٤ / ١٧٣٢.

٢ ـ محاضرات الادباء / لأبي القاسم حسين بن محمد الراغب الاصفهاني منشورات دار مكتبة الحياة ج١ / ٦٦٢.

٣ ـ المحب والمحبوب والمشموم والمشروب/ السري احمد الرفاء (ت ٣٦٢هـ) حققه حبيب الحسيني ، دار الرسالة بغداد ١٩٨٢ ج٢ / ١٥٩.

٤ ـ المجموع المنتخب من المواعظ الحكم . زامل بن صالح الزامل ج١ / ٣٧١ ، دار قارة للطباعة والنشر ط١ / ١٩٩١.

٥ ـ محاضرات الادباء ج٢ / ٦٥٨ .

وقال معن بن زائدة[1]:

لئن طال في بغداد ليلي فربّما يرى بجنوب الدير وهو قصير

وقال معن بن زائدة[2]:

إذا نوبةٌ نابت صديقك فاغتنم مرمَّتها فالدهر في الناس قُلَّب
فأحسن ثوبيك الذي هو لا بسٌ وأفره مهريك الذي هو يركب
وبادر بمعروف إذا كنت قادراً زوال اقتدارٍ أو غنى عنك يذهبُ

وقال معن بن زائدة[3]:

إذا أعطيتني بسؤال وجهي فقد أعطيتني وأخذت مني

---

١ ـ الديارات لابي الحسن المعروف بالشابشتي ص ٣٩٠ .
٢ ـ الآداب الشرعية لابي عبد الله محمد بن مفلح المقدسي (ت ٧٦٣ هـ) حققه شعيب الارنؤوط وعمر القيّام ، مؤسسة الرسالة ط٢ / ١٩٦٦م ، ج٣ / ٣١٤ .
٣ ـ الوحشيات والأوابد لحمد بن ابراهيم بن عبد الله الحقيل ط١ / ١٩٨٠م ، ص ٢٧١ .

المصادر والمراجع

١٠ ـ ابن الأثير : عز الدين ابو الحسن علي بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري (ت ٦٣٠ هـ / ١٢٣٢م) .
الكامل في التاريخ ، ١٢ج ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٠م .

٢ ـ **اللباب في تهذيب الأنساب** ، ٣ج ، دار صادر ، بيروت ١٩٨٧م .
ابن الجوزي : الحافظ جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي (ت ٥٩٧هـ / ١٢٠٩م) .

٣ ـ **المنتظم في تاريخ الامم والملوك** ، ١٨ ج ،تحقيق محمد عبد القادر عطا وزميله ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧ .
ابن حجر : احمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٨م) .

٤ ـ **الاصابة في تمييز الصحابة** ، ٨ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ت) .
ابن حزم : أبو محمد بن علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي (٤٥٦هـ)

٥ ـ **جمهرة أنساب العرب** ، تحقيق عبد السلام هارون ، القاهرة (١٩٦٢م) .
ابن حمدون : محمد بن الحسن بن محمد بن علي (ت ٣٠٩هـ) .

٦ ـ **التذكرة الحمدونية** ، تحقيق الذكتور احسان عباس وبكر عباس ، دار صادر بيروت / ط١ (١٩٩٦م) .
ابن حيان التوحيدي : علي بن محمد بن العباس (ت ٤١٤ هـ) .

٧ ـ **البصائر والذخائر** ، تحقيق الدكتورة وداد القاضي ، دار صادر ، بيروت ط١ (١٩٨٨م) .
ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) .

٨ ـ **تاريخه** ، بيروت (د . ت) .
ابن خلكان : شمس الدين احمد بن أبي بكر (ت ٦٨١ هـ) .
٩ ـ **وفيات الأعيان وأنباء الزمان** ، ٨ج ، تحقيق احسان عباس ، ط٢/ دار صادر ، بيروت (١٩٧٧م) .
ابن دريد : أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري (ت ٣٢١ هـ) .
١٠ ـ **الاشتقاق** ، تحقيق عبد السلام هارون ، مكتبة المثنى ، بغداد (١٩٧٩م) .
ابن سعد : محمد بن سعيد بن منيع البصري (ت ٢٣٠ هـ / ٨٤٤م) .
١١ ـ **الطبقات الكبرى** ، ٩ج ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت (١٩٩٠م) .
ابن سلاّم : محمد بن سلاّم الجمحي (ت ٢٣١هـ) .
١٢ ـ **طبقات فحول الشعراء** ، حققه محمود محمد شاكر ، دار المعارف بمصر (١٩٥٢).
ابن الشجري : ابو السعادات هبة اللّه بن علي (ت ٥٤٢هـ) .
١٣ ـ **الحماسة** ، تحقيق عبد المعين الملوحي واسماء الحمصي دمشق (١٩٧٠م) .
ابن قتيبة : أبو محمد عبد اللّه بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ / ٨٩٠م) .
١٤ ـ **عيون الأخبار** ، ٤م ، دار الكتاب العربي ، بيروت (د . ت) .
١٥ ـ **الشعر والشعراء** ، تحقيق احمد محمد شاكر ، دار المعارف بمصر (١٣٨٦هـ ١٩٦٧م) .
ابن كثير : ابو الفداء الحافظ بن اسماعيل بن عمر الدمشقي (ت ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م) .
١٦ ـ **البداية والنهاية** ، ١٤ ج ، تحقيق احمد ابو ملحم وآخرون ، ط٣ ، دار الكتب العلمية بيروت (١٩٨٥م) .
ابن المعتز : عبد اللّه بن المعتز بن المتوكل (ت ٢٩٦هـ) .

١٧ ـ **طبقات الشعراء** ، تحقيق عبد الستّار فرّاج ، دار المعارف بمصر (١٩٥٦م) .
ابن عبد ربه ، احمد بن محمد بن عبد ربه الاندلسي (ت ٣٢٨هـ) .

١٨ ـ **العقد الفريد** ، ٦ج ، تحقيق عبد المجيد الترحيني ، ط٢ ، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٨٧م .
ابن منقذ : اسامه (ت ٥٨٤هـ)

١٩ ـ **المنازل والدّيار** ، تحقيق مصطفى حجازي . ط٢/ القاهرة (١٩٩٢).
أبي العباس : ثعلب محمد بن حبيب .

٢٠ ـ **ديوان ابن الدمينة** ، تحقيق احمد راتب النفّاخ ، مكتبة دار العروبة القاهرة (د.ت) .
الآبي : أبو سعد منصور بن الحسين (٤٢١هـ) .

٢١ ـ **نثر الدُّر** ، تحقيق محمد علي قرنه وعلي محمد البجاوي ، القاهرة ١٩٨٠م .
البسوي : ابو يوسف يعقوب بن سفيان (ت ٢٧٧هـ / ٨٩١م) .

٢٢ ـ **المعرفه والتاريخ** ، ٣م ،تحقيق اكرم ضياء العمري ، مطبعة الارشاد بغداد ١٩٧٤.
البغدادي : عبد القادر بن عمر (ت ١٠٩٣هـ / ١٦٨٢م) .

٢٣ ـ **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب** ، ج٩،تحقيق عبد السلام هارون ط١، (١٩٨٦م) مكتبة الخانجي ، القاهرة .
البكري : ابو عبيد اللّه الاندلسي (ت ٤٨٧هـ) .

٢٤ ـ **معجم ما استعجم** ، تحقيق مصطفى السّقا ١٩٤٥م .
البلاذري : ابو العباس احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ / ٨٩٢م) .

٢٥ ـ **أنساب الاشراف** ، ج١ ، تحقيق محمد حميد الله ، دار المعارف القاهرة ١٩٥٩م .

ج٢ ، تحقيق محمد باقر الحمودي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت (د. ت) .
ق٣ ، تحقيق عبد العزيز الدوري ، بيروت ١٩٧٨م .
ج١ / ق١ ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٨م .
بكّار : الدكتور يوسف حسين .

٢٦ ـ **شعر ربيعة الرّقي** ، جمع وتحقيق الدكتور يوسف حسين بكّار ، دار الاندلس ، بيروت ط٢ / ١٩٨٤م .
الاتليدي : محمد دياب .

٢٧ ـ **اعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس** ، دار صادر ، بيروت / ط١ ١٩٩٠م .
التنوخي : ابو علي بن المحسن بن علي القاضي (ت ٣٨٤هـ / ٩٩٤م) .

٢٨ ـ **الفرج بعد الشدّة** ، ٥ج ، تحقيق عبود الشالجي ، دار صادر بيروت ١٩٧٨م .

٢٩ ـ **المستجاد من فعلات الاجواد** ، تحقيق محمد كرد علي ، دمشق (١٣٦٥هـ / ١٩٤٦م) .
التميمي : قحطان رشيد .

٣٠ ـ **مروان بن أبي حفصة وشعره** ، مطبعة النعمان بالنجف ١٩٧٢ .
الجاحظ : ابو عثمان عمرو بن بحر (ت ٢٥٥هـ) .

٣١ ـ **البيان والتبيين** ، تحقيق عبد السلام هارون ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠م ، مطبعة الخانجي ١٩٦٨ .

٣٢ ـ **الحيوان** ، حققه عبد السلام هارون ، مطبعة البابي الحلبي ، مصر ١٩٦٦م .

٣٣ ـ **الرسائل** ، تحقيق عبد السلام هارون (١٣٨٤هـ / ١٩٦٤م).
الجهشياري ، ابو عبد الله محمد بن عبدوس (ت ٣٣١هـ) .

٣٤ ـ **كتاب الوزراء والكتاب** ، تحقيق مصطفى السّقا وآخرين ، القاهرة ١٣٥٧هـ / ١٩٣٧م .
جاد المولى : محمد احمد وآخرون .

٣٥ ـ **قصص العرب** ، دار الفكر ، بيروت ١٩٧٩م .
الجومرد : د. عبد الجبار .

٣٦ ـ **يزيد بن مزيد الشيباني** ، منشورات دار الطليعة ، بيروت ١٩٦١م .
الحصري القيرواني : ابو اسحاق ابراهيم بن علي (٤٥٣هـ) .

٣٧ ـ **زهر الآداب** ، تحقيق الدكتور زكي مبارك ومحمد محي الدين ، القاهرة (د.ت) .
الحموي : ابو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ / ١٢٢٨م) .

٣٨ ـ **شعراء الامكنة واشعارهم في معجم البلدان** ، بقلم جورج مارون ، اشرف عليه وراجعه الدكتور ياسين الأيوبي ،الطبعة الاولى ١٩٩٧ ،المكتبة العصرية .

٣٩ ـ **معجم البلدان** ، ٥ج ، دار صادر ، بيروت (د . ت) .

٤٠ ـ **معجم الأدباء** ، ١٩ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩١م .
الحموي : تقي الدين بن أبي بكر بن علي بن محمد بن حجّة .

٤١ ـ **ثمرات الاوراق** ، تحقيق وتعليق محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار الجيل ، بيروت ط٣/ ١٩٩٧م .
د. حسن : ابراهيم حسن .

٤٢ ـ **تاريخ الاسلام السياسي** ، القاهرة ١٩٦١ ، ١٩٦٢م .
د. حسين عطوان .

٤٣ ـ **شعر مروان بن أبي حفصة** ، دار المعارف ، القاهرة ط٣ (د . ت) .
الخطيب البغدادي : أبو بكر احمد بن علي (ت ٤٦٣ هـ) .

٤٤ ـ **تاريخ بغداد** ، ١٤ ج ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ت) .
الخولي : الدكتور احمد .

٤٥ ـ **سجستان بين العرب والفرس** ، دار حراء ، القاهرة (د . ت) .
خليفة بن خيّاط (ت ٢٤٠هـ / ٨٥٤م) .

٤٦ ـ **تاريخ خليفة بن خيّاط** ، تحقيق أكرم ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ط٢ ، بيروت ١٩٧٧.
الدوري : د. عبد العزيز .

٤٧ ـ **العصر العباسي الأول** ، مطبعة التفيض الاهلية ، بغداد ١٣٣٦هـ / ١٩٤٥م .
الراغب الاصفهاني : الحسين بن محمد (اوائل المائة الخمسة) .

٤٨ ـ **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء** ، المطبعة الشرقية ١٣٢٦هـ .
الاربلي : الصاحب بهاء الدين المنشيء (ت ٦٩٢هـ) .

٤٩ ـ **التذكرة الفخرية** ، حققها نوري القيسي وحاتم الضامن ، المجمع العلمي العراقي ١٩٨٣ .
الرفاء : السري بن أحمد الموصلي (ت ٣٦٢هـ) .

٥٠ ـ **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب** ، حققه حبيب الحسيني ، دار الرسالة ، بغداد ١٩٨٢ .
رفاعي : الدكتور أحمد فريد .

٥١ ـ **عصر المأمون** ، ط٣ ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٦هـ .
الزامل : زامل الصالح .

٥٢ ـ **المجموع المنتخب من المواعظ والأدب** ، دار قارة للطباعة والنشر ، المملكة العربية السعودية ط١ ، ١٩٩١ .

الزركلي : خير الدين .

٥٣ ـ **الاعلام** ، ١٠ج ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨٤م .

السومي : دكتور احمد عبدالله .

٥٤ ـ **أدب اليمن في القرنين الأول والثاني الهجري** (د . ت) .

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ)

٥٥ ـ **المستطرف من أخبار الجواري** ، تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب ، بيروت (د . ت) .

الشريف المرتضى : علي بن الحسين الموسوي العلوي (ت ٤٣٦هـ) .

٥٦ ـ **أمالي المرتضى** ، حققه محمد ابو الفضل ابراهيم ، دار احياء الكتب العربية القاهرة ١٣٧٣هـ ، ودار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٦٧م .

الاصبهاني : محمد بن داود (٢٩٧هـ) .

٥٧ ـ **الزهرة** ، تحقيق ابراهيم السامرائي و نوري القيسي ، مكتبة المنار الأردن ١٩٨٥م .

القسم الثاني من كتاب الزهرة حققه ابراهيم السامرائي ونوري السعيد وزارة الاعلام ، بغداد ١٩٧٥م .

الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين (٣٥٦هـ) .

٥٨ ـ **الاغاني** ، تحقيق الاستاذ عبد ، علي مهنا ، الاستاذ سمير جابر طبعة دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ـ ١٩٩٢ .

الصولي : ابو بكر محمد بن يحيى (ت ٣٣٥هـ) .

٥٩ ـ **شرح ديوان أبي تّمام** .
صفوت : احمد زكي .

٦٠ ـ **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة** ، المكتبة العلمية ، بيروت (د.ت) .

٦١ ـ **جمهرة رسائل العرب** ، المكتبة العلمية ، بيروت (د . ت) .
الطبري : أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م) .

٦٢ ـ **تاريخ الرسل والملوك** ، ١٠ ج ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم ، ط٤ ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٧ .
العباسي : عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن احمد (ت ٩٦٢هـ) .

٦٣ ـ **معاهد التنصيص** ، عالم الكتب ، بيروت ١٩٧٤م .
عمارة اليمني : نجم الدين عمارة بن علي (ت ٥٦٩هـ) .

٦٤ ـ **تاريخ اليمن (المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد)** تحقيق محمد بن علي الاكوع الحوالي ، مطبعة دار السعادة ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م) .
عميره : د. عبد الرحمن .

٦٥ ـ **رجال أنزل الله فيهم قرآناً** ، ط٢ ، دار الجليل ، بيروت ١٩٩٠م .
غربناوم ، غوستاف فوت .

٦٦ ـ **شعراء عباسيون** ، ترجمها واعـاد تحقيقهـا الدكتـور محمـد يـوسـف نجم والدكتور احسان عباس ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٥٩م .
القادلي : ابي العباس احمد بن عبد السلام الجراوي .

٦٧ ـ **الحماسة المغربية** ، حققه الدكتـور محمد رضـوان الدّايـة ، دار الفكـر المعاصر بيروت (د . ت) .
القلقشندي : ابو العباس احمد بن علي (ت ٨٢١هـ) .

٦٨ ـ **صبح الأعشى في صناعة الإنشا** ، ١٤ج ، محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط١٩٨٧م .
كحالة : عمر رضا .

٦٩ ـ **معجم القبائل العربية القديمة والحديثة** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ط٢/ ١٩٧٨م.
اللميلم : دكتور عبد العزيز محمد .

٧٠ ـ **نفوذ الاتراك في الخلافة العباسية** ، ج٢ / ١٩٨٣م .
المرزباني : ابو عبد الله بن عمران بن موسى (ت حوالي ٣٨٤هـ) .

٧١ ـ **معجم الشعراء** ، تحقيق احمد عبد السّتار فرّاج ، طبعة دار احياء الكتب العربية ،عيسى البابي الحلبي وشركاه ١٩٦٠م .
المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت ٣٤٦هـ / ٩٥٨م) .

٧٢ ـ **مروج الذهب ومعادن الجوهر** ، ٤ج ، شرحه وقدّم له مفيد قمحية ، دار الكتب العلمية ، بيروت (د . ت) .
المقدسي : المطهر بن طاهر (ت ٥٠٧ هـ / ١١١٤م) .

٧٣ ـ **البدء والتاريخ** ، ٦ج ، دار صادر ، بيروت (د . ت) .
محمد احمد جاد المولى ، علي محمد البّجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم .

٧٤ ـ **ايام العرب في الجاهلية** ، دار الجليل ، بيروت ١٩٨٨م .

٧٥ ـ **أيام العرب في الاسلام** ، دار الجليل ، بيروت ١٩٨٨م .
المبرّد : ابو العباس محمد بن يزيد (ت ٢٨٥هـ) .

٧٦ ـ **الكامل في اللغة والادب** ، مكتبة المعارف ، بيروت (د . ت) .
الانباري : شمس الدين أبي عبدالله محمد بن احمد المنوي .

٧٧ ـ **المختار من نوادر الأخبار** ، المكتبة العصريةُ ، بيروت ١٩٩٤م .
النقي : د. عصام الدين عبد الرؤوف .

٧٨ ـ **اليمن في ظل الاسلام** ، دار الفكر العربي .
النويري : شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٣هـ) .

٧٩ ـ **نهاية الأرب في فنون الأدب** ، طبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٩٣٢م .
الهمداني : أبو بكر محمد الحازمي (ت ٤٨٥هـ) .

٨٠ ـ **عجالة المبتدي وفضالة المنتهي من النسب** ، تحقيق عبد الله كنون القاهرة (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م) .
الهمذاني : لسان اليمن الحسن بن أحمد بن يعقوب .

٨١ ـ **صفة جزيرة العرب** : تحقيق محمد بن علي الأكوع ، مركز الدراسات والبحوث ، اليمن ـ صنعاء ط٣ ، ١٩٨٣م .

٨٢ ـ **الإكليل من أخبار اليمن وأنساب حمير** ، ج١ ، ج٢ ، تحقيق محمد بن علي الاكوع ، مطبعة السنة المحمّدية ، القاهرة ١٩٦٦م .
ج١٠ ، حققه محب الدين الخطيب ، الدار اليمنية للنشر ١٩٨٧م .
الوشاء : أبو الطيب محمد بن احمد (ت ٣٢٥هـ) .

٨٣ ـ **الفاضل في صفة الأدب الكامل** ، تحقيق يوسف يعقوب مسكوني بغداد ١٩٧٠م .
الوطواط : للعلامة الامام أبي اسحاق برهان الدين الكتبي (ت ٥٧٣هـ / ٥٧٨هـ) ، دار صعب ، بيروت (د.ت) .

٨٤ ـ **غرر الخصائص الواضحه وعرر النقائض الفاضحة** ، دار صعب ، بيروت (د . ت) .
وكيع : محمد بن خلف بن حيّان (ت ٣٠٦هـ / ٩١٨م) .

٨٥ ـ **أخبار القضاة** ، ٣ج ، عالم الكتب ، بيروت (د . ت) .
اليعقوبي : احمد بن أبي يعقوب بن جعفر (ت ٢٨٤هـ / ٨٩٧م) .
٨٦ ـ **تاريخ اليعقوبي** ، ٢ج ، دار صادر ، بيروت (د . ت) .

المحتوى



معن بن زائدة الشيباني

حياته وأخباره

تيسير الهواري

هذا الكتاب

معن بن زائدة الشيباني فارس من فرسان الميادين وقائد من الطراز الأول ، وفتىً من فتيان العرب الأمجاد الذين سطّروا بسيوفهم سطور الخلود وبسطوا أيديهم ركاباً للمعوزين ، ونثروا أموالهم للمعتفين ، فهذا بطل من مجموعة أسماء تاريخية أنجبتها عشيرته شيبان ، هذه العشيرة التي تدعى « غُرة العرب » التي كان لها دور بارز في الجاهلية والاسلام ، فقد كانت معظم حروبها ذات طابع تحرري ، وأن أول السيوف العربية التي امتشقت خارج الجزيرة العربية وأخذت بالفتح الاسلامي كانت من شيبان ، وأن آخر سيف عربي في صفوف بني أمية أغمد أمام سلطان بني العباس كان شيبانياً كما أن آخر زعيم بقي في القرن الثالث للهجرة يرمز إلى النضال العربي أمام النفوذ المغولي الذي بدأ يشد على خناق الخلافة العباسية كان من شيبان أيضاً ، هو معن الذي يقول :

إني حسدت فزاد الله في حسدي	لا عاش من عاش يوماً غير محسود
ما يحسد المرء إلاّ من فضائله	بالعلم والحلم أو بالبأس والجود